كتاب

شذرات جدلية في التواريخ التركية

تأليف:

تونيكوك طغرلي

سنة التأليف:

أكتوبر 2025 – جمادى الأولى 1447

مقدمة

هذه مجموعة من المقالات والتعليقات والردود التي كتبتها خلال فترات زمنية متباعدة، بعضها كتبتها انطلاقا من تأمل ومبادرة ذاتية على اثر مقالة او فيلم وثائقي شاهدته وأثارت في عقلي مجموعة من الأفكار، وبينما الأخرى كتبتها ضمن سياق رد على احدى المنشورات والمقاطع، وبعضها كانت أثناء الدخول في حوارات ومناقشات مع الاخرين ضمن طابع ديالكتيكي يجمع بين الفكرة ونقيضها وقد اختلف طابعها ما بين ودي وحاد بحسب الموقف وسياق الحوار مع الاخر، ولذلك قد تجد تكرار في بعض المواضع ما بين مختصر وموسع او مع الاضافات الجديدة، وقد تجد نبرة حادة شديدة في بعضها وقد حاولت تخفيفها بعد المراجعة، وبعضها كتبتها ضمن سياق الإلزام للطرف الاخر وليس شرطا أنني كنت حينها مقتنعا بذلك، وبعض الاستنتاجات التاريخية التي توصلت إليها بعد التحليل قد زادت قناعتي بها مع مرور الوقت وذلك بعد الاطلاع على معطيات جديدة تؤكدها أكثر، وبعضها الآخر قد ضعف اقتناعي بها او تلاشى كليا بسبب انكشاف ضعفها او ظهور معطيات جديدة اقوى منها.
ولقد احببت جمع هذه الشذرات المتفرقة في كتاب ليشكل بذلك باكورة كتبي في عالم الكتاب والثقافة.

يشكل الاتراك جزء اساسي من شعوب المنطقة حيث يمثلون اقليات كبيرة في بعض دول الهلال الخصيب ولهم وجود معلوم في بعض المناطق ببعض دول المنطقة، وهم موزعين ما بين ناطقين بالتركية او بالعربية، وبالاضافة الى وجود دول مستقلة لهم في منطقة الشرق الأوسط والعالم الاسلامي، وهم شركاء في تاريخ هذه المنطقة وصنعوا الكثير من احداثه خلال الألف سنة الماضية، والحديث عنهم لا يشكل حديثا عن غرباء أجانب او كائنات فضائية وإنما عن مكون مندمج ومتفاعل مع ثقافة وتاريخ هذه المنطقة.

لقد كثر الجدال التاريخي بين نخب المنطقة حول تاريخ الأتراك خلال المائة عام الماضية، ما بين مشيطن لهم أو ناكرا لوجودهم او معظم لهم إلى حد المبالغة، وما بين هذه التيارات المتناحرة ضاعت الحقيقة التاريخية، والأجدر بالباحث والمفكر الحر أن يشق طريقه بنفسه وفق المنهج العلمي ليبحث عن الحقيقة بعيدا عن هذه التجاذبات.
ولذلك شكل هذا الموضوع هاجسا كبيرا في نفسي منذ سنوات ودفعني نتيجة عوامل معرفية ونفسية وفضولية نحو الاهتمام بهذا الموضوع المتشعب والبحث في أعماقه وتلمس جذوره وسياقاته وما هي مآلاته على تاريخنا وواقعنا.
وبطبيعة الحال فإن المحصلة التي يتوصل إليها القارئ والباحث تتكشف في كتاباته وحواراته وردوده، فما ينحبس في النفس تكشفه العين ويلفظ به اللسان ويظهر مع حركات الأيدي والأرجل.
وكان الجدل يمتد الى مواقع وقنوات تنشر بلغات اخرى ولذلك بعض من التعليقات والردود قد ترجمتها من العربية إلى الانجليزية وذلك تعليقا او ردا على بعض المقاطع والمنشورات المنشورة باللغات غير العربية ولم احتفظ بأصلها العربي وحاولت ترجمتها مرة اخرى الى العربية مع تهذيبها حتى تخرج بصورة مناسبة.

ختاما أتمنى أن يستمتع القارئ بالكتاب ويجد فيه ما يلبي تطلعاته المعرفية.

هل توجد حضارات تركية ؟

لقد جادلني احدهم بعناد شديد وأصر على عدم وجود أية حضارة للأتراك خلال تاريخهم واضطررت ان ارد عليه بتعليق طويل ومدعم بالصور بعد بحث شاق في مصادر مختلفة وذلك عن معلومات كنت اعرفها مسبقا وبعد نشر التعليق تراجع ذلك الشخص عن مزاعمه.
مقدمة لابد منها:
ان قيام اية حضارة مهما كانت مستواها يتطلب وجود ظروف موضوعية جغرافية ومناخية ونحوها، ولا توجد حضارة تنشأ هكذا من العدم او ان شعب معين يريد بمزاجه عمل حضارة او لا يريدها، وإنما هذه الظروف الموضوعية تلعب دورا حتميا في نشوء الحضارة وتحديد مستواها سواء كانت كبيرة او متوسطة او صغيرة.
ولقد ظهرت الحضارات اولا في المناطق النهرية الكبيرة التي تتمتع باراضي خصبة واسعة في النيل والفراتين والغانج والسند والاصفر ثم انتقلت الى المناطق الساحلية المعتدلة مثل منطقة البحر المتوسط المعتدلة ومن ثم انتقلت الى الواحات واعالي الجبال وهكذا دواليك.
ونظرا لأن أسلاف الشعوب التركية عاشوا في مناطق قاسية مناخيا في اسيا الوسطى وسهوب اوراسيا مثل حوض تاريم الصحراوي وفي السهوب الاوراسية الباردة ولذلك ظهرت الحضارة في اواخر الالفية الاولى قبل الميلاد وهذا امر بديهي.
ومثلا لو عاش اسلاف الاتراك في مصر لكانت الحضارة المصرية القديمة لها هوية تركية.
او لو عاش اسلاف الاتراك في بلاد الرافدين لكانت حضارة الرافدين القديمة لها هوية تركية.
ولو عاش اسلاف المصريين في البلاد التركية لكان وضعهم مختلفا.
لقد عاش اسلاف الاتراك في بيئة صعبة وقاسية سواء في اسيا للوسطى او في السهوب الاوراسية وهذا تطلب منه تراكمات طويلة عديدة ومعقدة حتى ظهرت لديهم الحضارة.
يبلغ عمر الحضارة التركية بحساب الممالك التي ظهرت واوائل المستوطنات الحضرية والتعاطي مع الطرق التجارية وغيرها بأكثر من الفين ومائتين سنة.
ومثلا منطقة التبت المجاورة للصين وهي منطقة حضارية وتتميز بعمارتها ومذهبها الديني ونظامها الصارم يبلغ عمر حضارتها بحوالي الفين سنة وبينما عمر الحضارة في الصين اكثر من خمسة آلاف سنة بينما في التبت.
لماذا؟
لأن الصين باختصار منطقة شديدة الخصوية وفيها نهرين كبيرين وتتميز بمناخ معتدل فالظروف فيها مهيأة تلقائيا لظهور حضارة كبيرة وضخمة ومعقدة.
بينما منطقة التبت جبلية ووعرة وقاسية لذلك تأخر فيها ظهور الحضارة عن الصين.

بعد المقدمة سوف اتحدث عن الحضارة التركية والتي هي ليست مجرد حضارة واحدة وإنما هي عدة حضارات مختلفة ولكل حضارة منها نسقها الخاص، وذلك عن طريق الصور حيث نعيش في عصر الصورة وهي تغني عن الف مجلد واكتفي بنقل بعض المعطيات من بعض المناطق وبعض الممالك وبعض الامبراطوريات.

ولقد تطلب الامر مني بحث لعدة ساعات في المصادر التي اعرفها مسبقا عن الحضارة التركية وترتيبها والانتقاء منها وفق معايير معينة.

1- اطلال مدينة قاراهوجا العاصمة اليوغورية في منطقة تورفان بحوض تاريم المعروف تاريخيا باسم تركستان الشرقية:



2- معبد كيزليك البوذي في منطقة تورفان المنحوت في الصخر ويتكون من حوالي 77 معبد:



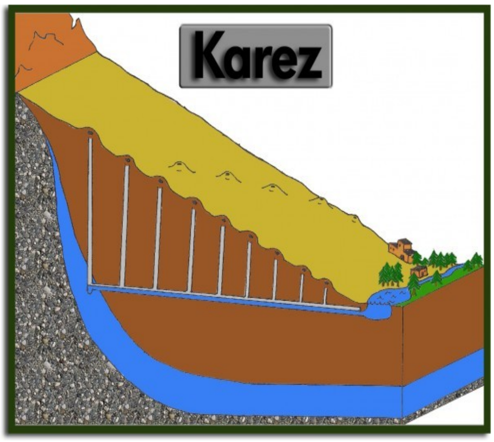
وهذا متحف ياباني يعرض احدى جدرايات المعبد المرممة:



3- قناة توربان المائية والتي تعد اكبر قناة مائية قديمة في الشرق واسيا الوسطى:







4- اطلال مدينة اوردو باليق في منطقة اورخون في السهوب القاسية بوسط منغوليا:



5- نقوش أورخون الرونية:

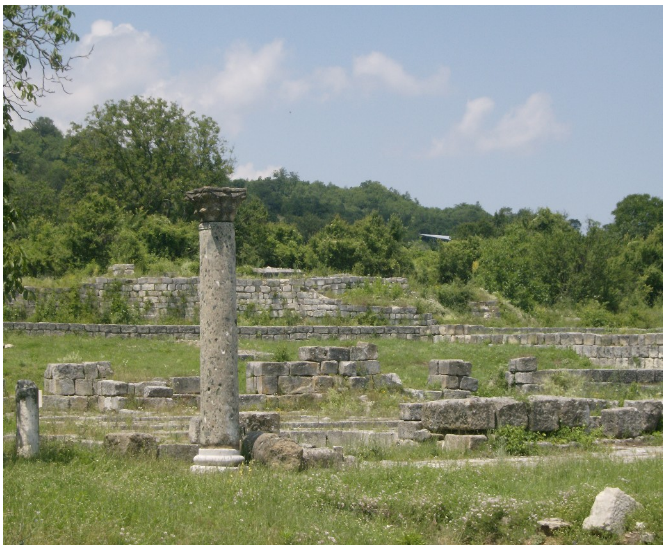


6- بقايا اطلال احدى مدن الامبراطورية الخزرية في دلتا نهر الفولغا:



7- أطلال عاصمة مملكة بلغار الدانوب:





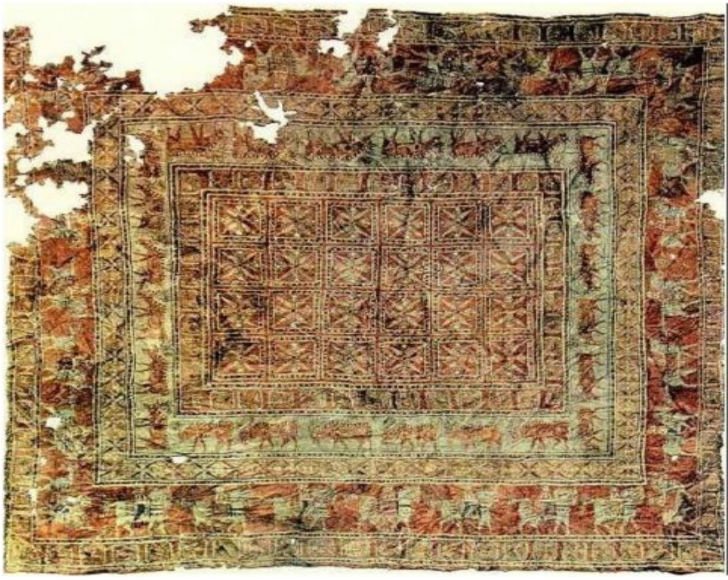
8- أعمال حرفية من حضارة السهوب:





9- ثقافة بازيريك في منطقة جبال التاي بجنوب سيبيريا:





والذي يهمني في هذه الثقافة التي حيرت العلماء أنهم اكتشفوا أقدم سجادة معروفة في التاريخ وكما اكتشفوا المومياوات في مقابر تلال الكورغانات.

في احدى حلقات مسلسل قيامة ارطغرل تتكلم احدى السيدات وتفتخر انها تبيع سجادها باغلى الاثمان في الاسواق وان سجادها يفرش في قصور البندقية وباريس.

لقد كان السجاد هي سلعة الاتراك الفاخرة في العصر الوسيط كما كانت قيمة الحرير عند الصين ونبات اللبان عند العرب.

ورغم ان مواده متوفرة ويمكن الحصول عليها بسهولة ولكن نظرا لانها صناعة توارثها الاحفاد عن الاجداد ولذلك ابدع فيها الاتراك وغزوا فيها الاسواق العالمية خلال العصر الوسيط.

والقبيلة التركية كما ذكر المؤرخين القدماء مثل مصنع متكامل يعمل كخلية النحل فمجموعات تصنع السجاد ومجموعات تصنع الاقمشة ومجموعات تصنع الاسلحة ومجموعات تصنع الجلود ويستمر العمل بشكل تعاوني بين الافراد، وحتى ان الرحالة القدماء اندهشوا من حجم هذا العمل الذي لا يستطيع تاديته الا عمال متخصصين وبعضهم لا يعود الا وتزوج تركية او تترية من شدة الاعجاب بعملها المتواصل.

10- العمارة التيمورية في مدينة سمرقند جنة العالم:



11- اندماج العمارتين القاراخانية و التيمورية في مدينة بخارى عاصمة العلم في العصر الوسيط:



12- معلم اثري من العمارة القاراخانية في مدينة طراز:



13- برج بوران من اطلال مدينة بالاساغون في العصر القاراخاني:



14- من اطلال مدينة فاراب/اوترار التي شهدت كبرى المواجهات بين الخوارزميين والمغول:



15- ضريح الشيخ الصوفي يسوي من مدينة تركستان وهي اكبر قبة في اسيا الوسطى:



16- اطلال مدينة مدينة كهنه غرناج عاصمة الامبراطورية الخوارزمية:



17- مدينة كاشغر القديمة:



18- صورة قديمة لعاصمة خانية تتار القرم:



19- من اثار امبراطورية السلاجقة العظام:



20- من اثار سلطنة سلاجقة الروم:



21- من اثار سلطنة دلهي:



22- من اثار السلطنة البابورية التيمورية في الهند:



23- من اثار الامبراطورية العثمانية:



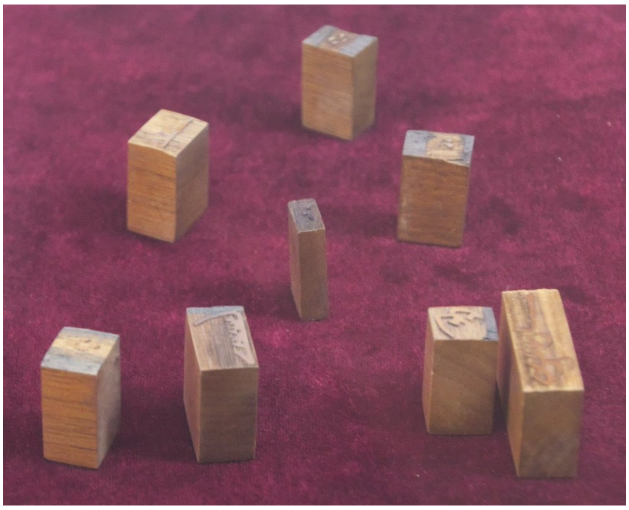
24- كتاب تركي قديم بالخط الروني قبل 1200 عام على حسب التقديرات:



25- كتاب تركي ويغوري قديم:

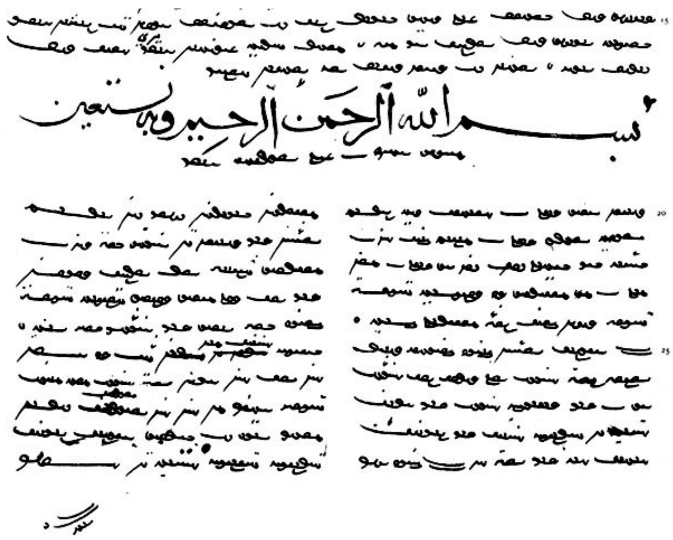


26- الة طباعة ويغورية قديمة:



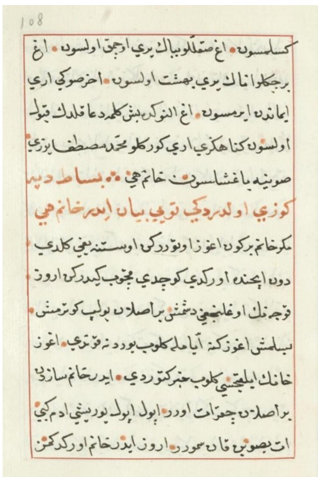
وهذا يبين بشكل قاطع وصريح ان أمة الترك قد تحولوا الى أمة كتاب قبل اعتناقهم الجماعي لدين الاسلام في القرن الرابع الهجري وفرض سيادة الحكم التركي على العالم الاسلامي.

27- كتاب قوتادغو بيليك من العهد القاراخاني بالخط اليوغوري:



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

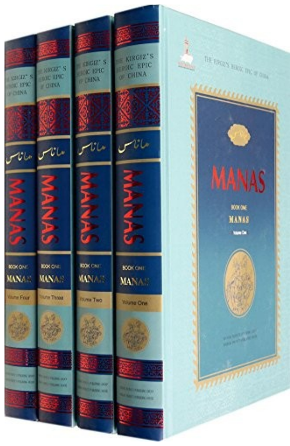
28- ملحمة ديدي كورت الادبية:



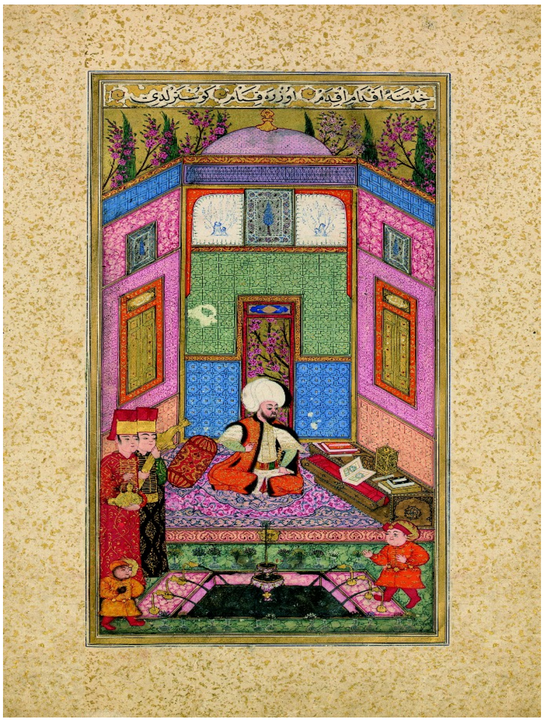
108

كسلمسون • اغ صقلو بباك يري اوجمق اولسون • اغ
برجكلوا ناك يري بهشت اولسون • اخرصوكي اري
ايماندن ايرمسون • اغ النوكربش كلمه دعا قلدك قبول
اولسون كناهكزي اري كوركلو محمد مصطفا يوزي
صونيه باغشلسون خانم هي • بساط دبه
كوزي اولدردكي توبي بيان ايدر خانم هي
مكر خانم بركون اغوزا ونوردكي اوستنه يغي كلدي
دون ايجنده اوركدي كوجدي مجوب كيدردكي اروز
قوجه نك اوغلنجغي دشمنش براصلان بولپ كوترمش
بيلمش اغوزكنه آيا مل كلوب بوردنه قوتري • اغوز
خانك ايلجيسي كلوب خبر كتوردي • ايدر خانم سازدي
براصلان جمرات اوردي • ايول ايول يورينيي ادم كبي
ات بصونين قان سوردي • اروز ايدر خانم اوركدكمز

30- ملحمة ماناس الادبية والتي تعتبر من كبريات الملاحم العالمية:



31- من التراث العثماني:



32- من التراث الجغطائي:



33- من التراث المغولي الهندي:



ويعود الفضل إلى الدول التركية في جعل اللغة الفارسية لغة عالمية واستخدمتها رسميا في الهند وغيرها كما فعلت الدول الجرمانية مع اللغة اللاتينية خلال العصر الوسيط، وفي عصرهم الحضاري في الهند ظهرت لغة هندية جديدة وهي اللغة الاوردية المتاثرة بالفارسية والتركية والعربية.

رد المؤرخ ديورانت على المنكرين لوجود الحضارة التركية

خلال ذلك النقاش ظهر احدهم متجاهلا كل ما نقلته من باب التشغيب وأعاد نفس المغالطات ولقد ألزمته بمنقولات من مؤرخين معتبرين.
وقلت له لقد اجبنا على سؤالك كما هو ...
وما تفعله هو الإنكار والهروب وليس الاعتراف بالحقيقة وهذا يسمى تعصب وانحياز.
وبعض الامثلة التي نقلتها من بين أمثلة كثيرة جدا هي تشكل إنجازات حضارية للأتراك فقط حيث اشرفوا عليها واشرفوا على إدارتها بكفاءة عالية ووضعوا بصماتهم عليها مع تخطيط محكم وحرص كبير على انجازها بالشكل المطلوب.

يقول المؤرخ والفيلسوف ويل ديورانت:
" وهذه الآثار تسخر من القائلين بأن الأتراك كانوا قوماً همجاً، فكما أن الحكام السلاجقة والوزراء كانوا من أقدر الساسة والحكام في التاريخ، كذلك كان المهندسون السلاجقة من أقدر البنائين وأشجعهم في عصر الإيمان الذي يمتاز بضخامة مبانيه وأعظمها قوة.
ولقد وقف طراز المباني السلجوقية الضخمة الجريئة امام النزعة الفارسية إلى الزينة، ونشأ من اجتماع النزعتين السلجوقية والفارسية طراز معماري سلجوقي جديد عم آسية الصغرى والعراق وإيران ...".

ويقول ايضا عن سلاجقة الروم:
" وفي آسية الصغرى أقام السلاجقة سلطنة وجعلوا قونية مركزا لحضارة سلجوقية ذات ادب رفيع. وانمحت من آسية الصغرى أسس الحضارة اليونانية التي كانت قائمة فيها منذ أيام هومر، وأصبحت الاناضول بلاداً تركية لا تقل في صبغتها هذه عن التركستان نفسها ...".

وكذلك يقول عن الحضارة العثمانية ردا على من ينكر الإسهامات الحضارية للترك وذلك في فصل مطول خاص عنها:
" هل كان العثمانيون متحضرين؟ الحق أن الانطباع بأن العثمانيين كانوا متبربرين همجيين إذا قورنوا بالمسيحيين ليس إلا وهما قصد به تقربة الذات. فإن أساليبهم في الزراعة وعلومهم كانت على الأقل تضارع ما كان منها لدى الغرب.".

علما ان ديورانت قد ركز في موسوعته على الحضارات الكبرى او المرتبطة بممالك كبيرة ومؤخرا ظهرت خلال العصرين القديم والوسيط وتجاهل بعض الحضارات المعترف بها في اراضي السهوب واسيا الداخلية وغيرها.

امبراطورية غوكترك

لقد امتدت امبراطورية غوكترك من منشوريا شرقا وباسطة سيادتها على شمال الصين ومرورا بآسيا الوسطى والقوقاز الى شرق أوربا وامتدت جنوبا الى حدود القارة الهندية.
هي امبرطورية تأسست عام 552 ميلادي ولقد أسسها الخاقان بيومين وينحدر الخاقان المؤسس من اتحاد قبائل تركية تدعى آشينا.
يوجد عدة روايات وفرضيات حول أصول اشينا ومن ابرزها ما ورد في المصادر الصينية. احداها ان قبيلة اشينا كانت متحالفة مع سلالة ليانغ الهونية التي كانت تحكم منطقتي تركستان الشرقية وقانسو وفي عام 439 اسقطت سلالة وي الشمالية من قبيلة ثفغاج مملكة ليانغ وسيطرت على مناطقها وهاجرت القبيلة الى اراضي خاقانية جوان جوان واقرت بالتبعية لهم. وايضا تذكر ان افراد القبيلة كانوا حرفيين مهرة في الحدادة.
بدأ بيومين في الصعود عام 545 واقام علاقات مع سلالة وي الغربية التي تفككت عن سلالة وي الشمالية. وفي عام 551 قام بيومين بثورة ضد خاقانية جوان جوان واعلن نفسه خاقان على السهوب الشرقية في عام 552 م وتمكن من توحيد القبائل التركية في اسيا الوسطى والسهوب الشرقية وصولا الى السهوب الغربية. توفي بيومين بعد عام وتولى بعده ابنه الخاقان ايسيك وايضا توفي في فترة قصيرة.
وفي عام 553 صعد الخاقان موقان وحكم ما يقارب عشرين سنة واستطاع توسيع حدود الخاقانية لتشمل اسيا الوسطى وصولا الى اوربا الشرقية. حدث في عهده تحالفات مع البيزنطيين والساسانين وقام بدمج الصغديين في الامبراطورية واستفاد منهم كثيرا. بعد وفاة موقان صعد الخاقان تاسبار ولقد اعتنق تاسبار البوذية وأقام عدة معابد للبوذية.
اثناء توسع الامبراطورية في عهد الخاقان موقان قام الخاقان بتعيين نائب له في الغرب ومقره في اسيا الوسطى. والعاصمة الرئيسية هي مدينة اوتكين في منطقة وادي اورخون بينما كانت مدينة سوياب عند نهر تشو هي عاصمة المنطقة الغربية.
ولقد برز من نواب الغرب اشتمي خان الذي عقد تحالفات مشهورة مع البيزنطيين. وفي عام 581 توفي الخاقان تاسبار ودخلت غوكترك في مشكلة وراثة الحكم على اثرها انقسمت الى خاقاناتيين حيث يوجد خاقان في القسم الشرقي وخاقان في القسم الغربي. ولقد اتخذت الخاقانية الغربية من مدينة سوياب عاصمة لهم.
بلغت الخاقانية الغربية ذروتها مع الخاقان تونغ الذي انتصر على الامبراطورية الساسانية في معركة دربند. ولقد حاول بعض الخاقانات مثل خاقان الغرب تاردو اعادة توحيد الامبراطورية في الشرق والغرب مرة اخرى. في عام 630 شنت امبراطورية تانغ حملة عسكرية ضد الخاقانية الشرقية وضمتها. وفي عام 658 انتصرت امبراطورية تانغ على غوكترك الغربية وضمتها.

وفي عام 682 تمكن الخاقان ايلتريش من الانفصال عن التبعية لتانغ واعلان غوكترك الثانية التي استمرت الى عام 744م والتي أسقطتها قبيلة اليوغور معلنة حقبة اخرى جديدة مع خاقانية اليوغور. ظهر في هذه الفترة بعض الخاقانات المشهورين مثل قباغان وبيلكه وطرخان المستشار تونيوكوك. ولكنها كانت غير مسيطرة على كل الاراضي التركية الغربية في اسيا الوسطى واوربا التي تفككت الى خاقانات وخانات مستقلة او تابعة مثل الخزر وكابل شاهي وتوركش وغيرها.

لقد لاحظت بعض الصفحات التي تدافع عن تاريخ الدولة العثمانية تتحدث بسطحية عن تاريخ غوكترك من باب الهجوم ضد نقاد التاريخ العثماني ولا تراعي اختلاف السياقات التاريخية. الفترة الكاملة لامبراطورية غوكترك استمرت بشكل اجمالي من عام 551 الى عام 744 ميلادي اي تقريبا ما يقارب 193 عاما خلال مرحلتين. في المرحلة الاولى استمرت تقريبا من عام 551 الى عام 657 مع سقوط الخاقانية الغربية. والمرحلة الثانية استأنفت من عام 682 مع ثورة الخاقان التيريش خان الى عام 744 مع ظهور خاقانية اليوغور. وحدث ما بين المرحلتين ما يعرف بمرحلة نفوذ امبرطورية تانغ الصينية على خاقانية غوكترك في القسم الشرقي في بلاد اوتكين بعد ضمها حيث كانت غوكترك تابعة لامبراطورية تانغ من عام 630 الى عام 682.

عموما هذه مجرد وقفة بسيطة ولمحة سريعة عن عصر غوكترك ولا أستطيع تناول كل التفاصيل والأحداث حيث توجد تفاصيل تاريخية كثيرة عن الخاقانات وعصورهم وحروبهم وتحالفاتهم واحداث كثيرة متداخلة. لقد تميز عهد غوكترك كما قلنا بالتوسعات العسكرية والانتصارات في الشرق والغرب.
وتميز أيضا بوجود تحالفات وعلاقات مستمرة ووطيدة مع البيزنطيين لم تنقطع. وبوجود علاقات مضطربة وصراعات منقطعة مع السلالات الصينية حدث فيها زواج وتحالفات وعلاقات تجارية. ولقد تميز عصر غوكترك باستمرار تجارة طريق الحرير في الشرق والغرب ولقد ذكرت المصادر البيزنطية والصينية والفارسية ان خاقانات غوكترك هم رعاة التجارة في طريق الحرير. وايضا من السمات وجود اندماج متكامل ما بين الترك والصغديين ولقد قرأت فرضية تاريخية مفادها ان أمراء كيريد كانوا يحكمون مدن بلاد ما وراء النهر وانهم كانوا غير راضين عن التبعية للإمبراطورية الهفتالية وبعد معركة بخارى فرض غوكترك سيطرتهم اعجبوا بشدة بسياسات ومعاملات غوكترك معهم.

ومن الأشياء التي تميزت بها عصر غوكترك وجود تفاعلات مع الاديان القادمة من الهند وإيران كالبوذية والمانوية حتى قرات ان الخاقانات اعطوا الحماية للمانويين الهاربين اليهم. وكما نوهت لقد اعتنق الخاقانات في السلالة الاولى الديانة البوذية وشيدوا لها المعابد. وفي عصر غوكترك حدث تطور ادبي وتم كتابة العديد من النصوص الادبية الكبيرة وسرديات نصية كاملة والتي تشمل التاريخ والسياسة والدين والأمثال والشعر وغيرها. ولقد بدأ الخاقانات في عمل الألواح الحجرية منذ القرن السادس الميلادي واكتشفت عدة ألواح بلغات متنوعة تعود الى فترة السلالة الاولى. وحرص غوكترك على رعاية المدن التجارية القديمة وبرزت مدن تجارية جديدة ويوجد في المصادر الصينية تفصيل عن احوال المدن في عصر غوكترك.

ثنائية البداوة والاستقرار في التاريخ التركي القديم

في احدى الحوارات التي نقلتها السجلات الصينية حول حوار جرى بين الخاقان بيلكه خان مع الوزير الحكيم تونيكوك وهذا الحوار على فرض حدوثه قد تم تحميله اكثر مما يحتمل او تم اتخاذه للتقرير بشكل عام حول التاريخ التركي من قبل المتعصبين.
هذا الحوار يدور حول فكرة عرضها الخاقان بيلكه خان على الوزير الحكيم تونيكوك وانه يريد تحويل الاتراك بشكل شامل الى السكن في المدن واعتناق البوذية وعارض تونيكوك الفكرة وثبطه عن تنفيذ مشروعه. قلت يوجد موقفين مخطئين حول تونيكوك.

الموقف الأول: من يهاجم تونيكوك وحتى يتهمه بالعمالة وهذا غير صحيح حتى نفهم هذا النص لابد ان نعرف سياقه التاريخي والأسباب التي ذكرها تونيكوك نفسه في مسألة المدن ان الخاقان بيلكه خان يعرض مشروع تحويل جماعي شامل للاتراك الى سكنى المدن بمعنى اسكان الغالبية من الاتراك الشرقيين في عدة مدن ونشر البوذية بينهم وليس مجرد بناء مدينة واحدة او مدينتين او ثلاثة او اعتناق بضع اشخاص للبوذية. ولقد عارض تونيكوك الفكرة لسببين الاول: ان عدد الاتراك قليل امام الصينين واذا تم عمل تحويل جماعي شامل في ظل الصراع القائم مع امبراطورية تانغ فهذا يعني انتحار جماعي داخل المدن ومشورة تونيكوك تحمل جوهر حكمة السهوب كما تطرق اليها المؤرخ هيرودوت في كتابه التاريخي خلال تناوله الحرب التي وقعت بين السكيثيين والاخمينين.
الموقف الثاني: بالنسبة للبوذية راى تونيكوك ان البوذية لا تناسب الاتراك واعتمد على اسباب تاريخية. لقد ذكرت في تعليقي السابق ان الخاقان تاسبار في السلالة الاولى اعتنق البوذية وانها انتشرت بشكل كبير بين الترك فهو يرى ان البوذية هي سبب انهيار سلالة غوكترك الاولى وهزيمتهم امام امبراطورية تانغ الصينية. وفكرة انهيار الممالك بسبب اعتناق اديان معينة هي فكرة شائعة في التاريخ القديم. ان تونيكوك قدم استشارته بناء على عوامل جيوسياسية وتاريخية وثقافية وليس مجرد اعتراض شخصي. ويجب التفكير بعناية وحرص ومعرفة السياقات التاريخية المختلفة في حكمة تونيكوك والابتعاد عن العواطف الشخصية.
الثالث: وهو اعتماد بعض المتعصبين والسطحيين على فهم خاطئ للنص للتقرير ان الاتراك في عموم تاريخهم لا يعرفون ثقافة المدن.

وللأسف حتى بعض الاتراك وقعوا في ذلك ونشروه !!! وهذا غير صحيح مطلقا وسوف ارد على هذا الاستنتاج السطحي والمتعصب من ثلاثة أوجه:

الوجه الاول: من التاريخ العام السابق قبل عصر غوكترك اخبرتكم سابقا في المقطع حول ثقافة توفا انني حاليا اتممت قراءة كتاب جميل حول تاريخ الحضارة في شمال اسيا واسيا الداخلية ولقد توسعت معلوماتي في عدة امور كنت اعرفها مسبقا. في عصر مملكة هسيونج او شيونغو ظهرت عدة مدن تم اكتشاف بعضها ومنها موقع مدينة The Ivolga site ومدينة في the village of Duryony وايضا في Tasheba town وايضا يوجد مدينة في اسيا الوسطى في منطقة جيتسو او نهر تالاس ربما. وكل ذلك جرى اثباته في الدراسات الاثرية وكثير من اثار شيونغو لم يتم اكتشافها بعد.
وايضا يوجد مدن شيونغو الجنوبية التي ظهرت اثر التحالف ما بين شيونغو مع امبراطورية الهان ولقد قرأت عنها في عدة ابحاث. وفي ممالك شيونغو المتاخرة مثل شيا توجد العديد من المواقع ومن اشهرها Tongwancheng وايضا يوجد لخاقانية جوان جوان بعض المدن التي ذكرت في المصار الصينية وكان لمملكة توبا وي الشمالية عدة مدن في جنوب مناطق السهوب الجنوبية. طبعا هذا عدا الممالك والإمبراطوريات الاخرى التي ظهرت في اسيا الوسطى والسهوب الأوراسية.

الوجه الثاني: في عصر غوكترك تحفل نصوص اورخون بذكر العديد من المدن ومفردات المدينة مثل باليق وغيرها. ولقد ذكرت المصادر الصينية بوجود مدينة في منطقة اورخون تسمى Heishacheng وايضا ذكرت وجود بعض المعابد والقصور. ويوجد في مناطق غوكترك الغربية في شرق اسيا الوسطى وشرق بلاد ما وراء النهر ما يعرف بالمدن التركوصغدية الموجودة في مناطق تشو وطالاس وجيتسو مثل مدينة سوياب وغيرها ويوجد مدن تحمل اسماء تركية بحتة مثل بيش باليق في تركستان الشرقية او اسماء مركبة تركية مع صغدية. ملاحظة: انا انقل اسماء المواقع من مصادر انجليزية.

الوجه الثالث ما بعد عصر غوكترك: في عام 744 م تأسست خاقانية اليوغور ولقد اشتهرت هذه الخاقانية بالتوسع في بناء المدن وقامت على عدة مدن كبيرة مع المحافظة على النظام الاجتماعي القائم على ثقافة وتقاليد السهوب وكل ذلك حدث بعد وفاة تونيكوك بسنوات قليلة.
ومن اشهر مدنها مدينة كارابلاسغون في منطقة اورخون وتوجد فرضية انها قامت على انقاض مدينة سابقة في عصر غوكترك ومدينة بيش باليق وتذكر المصادر الصينية واليوغورية انه كان لليوغور قبل عصر غوكترك واثنائه مستوطنات مدنية وقصور.
ولقد زار رحالة ساماني عاصمة خاقانية اليوغور واثنى عليها كثيرا ووصفها انها مدينة كبيرة وغنية. علما ان خاقانية اليوغور اعتنقت الديانة المانوية كديانة رسمية وهي ربما في بعض المسائل كالحرب واكل اللحوم والزواج تاخذ بعدا اكثر حدية من البوذية. وتوجد عدة نصوص

وأدلة علمية على وجود المدن عند الخزر وتوركش والقارلوق والاوغوز ووممالك اليوغور المتاخرة والبلغار وغيرهم.
ولقد نقلت عن عدة مؤرخين كالمسعودي وابن الفقيه وابي دلف وغيرهم حول وجود المدن العديدة عند الاتراك.
وفي القرن الحادي العشر ظهر الكاتب التركي يوسف خاص حاجب من مدينة تركية تسمى مدينة بلاساغون العاصمة الرئيسية للدولة القاراخانية. وكما نعرف حرصت الدولة القاراخانية على التوسع في بناء المدن وكانت لها عدة عواصم. ولقد قدم يوسف خاص حاجب كتاب في الفلسفة السياسية وعلم الاجتماع بإسم «قوتادغوبيليك» أى علم السعادة.
وهذا الكتاب نابع من قلب الثقافة التركية وهو حصيلة تراكم لأكثر من 1200 عام من التطور الحضاري عند الاتراك (حتى لا يحدث تشويش وسوء فهم اقصد الفترة الزمنية السابقة قبل ولادة الفيلسوف يوسف حاجب). ولقد كان هذا الكتاب يشكل دستور ومرجع مهم عند العديد من الدول التركية المختلفة عند القاراخانيين والتيموريين والعثمانيين وغيرهم وفي هذا الكتاب يقدم نصائح وتحليلات جميلة حول الدولة والمجتمع.
ولقد تضمن الكتاب نصائح عديدة حول المدن وازدهارها في الفصل التاسع عشر يقدم رؤية حول مواصفات الحاكم الجيد، حيث يقول: " تغلغل في كل البلاد. عزم عدوه رقبته واختفى من هناك. أي-تولدي وضع كل العمل في طريقه. استفاد من هذه الفترة الحاسمة ، قام بالعديد من الأعمال. أصبح الناس أغنياء ودخلت البلاد النظام ؛ صلى الناس للحاكم. لقد أنقذوا الناس واختفت المشاكل. بدأ الحملان والذئاب تعيش معًا. وتم ترتيب البلاد وتحسين إدارتها. زادت قوة الملك يوما بعد يوم. ولم تمر فترات شهدت مثل هذا السلام والوئام. كل الأعمال للشعب والبلاد سارت بشكل جيد. نمت مدن وبلدات جديدة في البلاد. امتلأت كنوز الملك بالذهب والفضة. كان الملك مرتاحاً وسليما. انتشرت شهرته وتأثيره في جميع أنحاء العالم." عذرا على الترجمة السيئة للاسف في خلال البحث لم اعثر على ترجمة عربية لهذا الكتاب رغم ما يشكله من اهمية تاريخية هذا هو النص الأصلي بالتركية: " Bütün memleket üzerinde ona nüfuz verdi; düşmanı boynunu büküp, ordadan kayboldu. Ay-Toldı bütün işleri yoluna koydu; bu ikbâl devresinden istifâde ederek, bir çok işler yaptı. Halk zenginleşti ve memleket nizâma girdi; halk hükümdara dualar etti. Halk kurtuldu ve zahmet denilen şey ortadan kalktı; kuzu ile kurt birlikte yaşamağa başladı. Memleketi tanzim edildi, idaresi düzeldi; hükümdarın saadeti günden-güne arttı. Bir müddet böyle huzur ve âsâyiş içinde geçti; halkın ve memleketin her işi yoluna girdi. Memlekette yeni şehir ve kasabalar çoğaldı; hükümdarın hazinesi altın ve gümüş ile doldu. Hükümdar rahat etti ve huzura kavuştu; şöhreti ve nüfuzu dünyaya yayıldı".

ولقد اعجبني حوار دار في احدى الحلقات بمسلسل قيامة عثمان ما بين بالا خاتون والأميرة البيزنطية حول اليورت حيث قالت بالا ان اليورت يتحمل الأمطار والثلوج ويتلاءم مع الطقس المختلف. وقالت ان جميع الأفراد في القبيلة رجالا ونساء يعملون وينتجون. هذه المعلومة قرأتها سابقا قبل سنتين واكثر في كتاب حول تجارة طريق الحرير غي عصر امبراطورية تانغ. لا زلت اتذكر معلومات الكتاب وكأنني قرأته اليوم. في ثنايا الكتاب قرات ان احد الوزراء في امبراطورية تانغ نصب يورت كبير وكان يستقبل فيه الضيوف والسفراء ويقول لهم ان اليورت يتحمل العواصف الثلجية والرياح الشديدة. وقرات ايضا في الكتاب ان التجار اليوغور مسيطرين على الأسواق الصينية. وايضا قرات عن المنتجات التي تأتي من بلاد تركستان. ذكرت المصادر الصينية والفارسية والعربية ان للاوغوز والقرغيز تجارة مع الصين. وقرات ان الاشعار التركية كانت متداولة وتحظى بشهرة كبيرة. ومن الأشياء التي قراتها ان الصينين يستخدمون أشجار عطرية يحصلون عليها من صحراء جوبي. والذي اريد كتابته فيما له صلة باليورت. ان المصادر التاريخية العديدة الصينية والفارسية والعربية والبيزنطية ذكرت عن المدن المتنقلة عند الترك في العصور المختلفة الهون وغوكترك والسلاجقة واليوغور والعثمانيين والمغول وغيرهم. ولاحظوا المصطلح مدن متنقلة. حيث انها مدينة مثل المدن الاخرى في بنيتها الداخلية. وتتكون من اليورتات المختلفة حسب المكانة والترتيب الاجتماعي ويوجد فيها حرفيين وقادة ورجال الدولة وغير ذلك. حيث يوجد للحاكم قصر يورت كبير يستوعب اعداد كبيرة بداخله تصل الى الآلاف ومبني بشكل دقيق وجمالي. ويورتات متفاوتة الحجم حسب مكانة الأفراد في المجتمع والدولة.

هنالك منتج ثقافي يستحق الوقوف عنده وهو ثقافة التماثيل والمنحوتات المتجذرة في الثقافة التركية منذ الآلاف السنين. وهذه الثقافة موجودة عند جميع البشر في كل الأقطار والعصور وليست خاصة بشعب معين. لقد تم اكتشاف مئات التماثيل البشرية المنحوتة التي تعود الى عصر غوكترك. وايضا هذه التماثيل المنحوتة تتخذ اشكال مختلفة ومواد مختلفة. بشرية وحيوانية. ومن الأحجار والمعادن. وايضا لها جذور مختلفة منها الروحاني والسياسي. واعتقد ان العالم الكاشغري تحدث عنها في كتابه. ولقد استمرت هذه الثقافة مع الكثير من الشعوب التركية قبل وبعد. فمثلا عمل الكومان مئات التماثيل في أوراسيا. وهنالك نقطة تاريخية مثيرة للاهتمام. وهي ان هذه الثقافة استمرت بجوهرها مع الاتراك المسلمين رغم التحريم. لقد اكتشف العلماء مئات التماثيل البشرية التي تعود للعصر السلجوقي سواء مع السلاجقة العظام او مع سلاجقة الروم. وهذه التماثيل ليست خاصة بإنتاج الدولة. بل اكتشفت مع القبائل وفي المدن التي سكنها الاتراك وفي المدن المستحدثة. ولقد تطلب الامر عدة قرون حتى اختفت هذه الثقافة.

نقاش محتدم حول كتاب رحلة ابن فضلان ودور الأتراك الحضاري في التاريخ الإسلامي

-1-

السفير ابن فضلان مر ببعض قبائل الاوغوز والبشكير والبلغار فقط
ولم يمر بباقي البلاد التركية وذهب لأجل اداء دبلوماسية ودينية مهمة ضيقة ومحدودة.

وهذه مقتطفات من كلامه:
"فلما قطعناه أفضينا إلى قبيلة من الأتراك يعرفون بالغزية".
وكتب البلدانيات كانت تفرق ما بين الاوغوز والغزية علما انهم هم نفس الشعب الغز لأنهم قبائل عديدة تنتشر على عدة أقاليم في سير داريا وقزوين والصحاري والسهوب.
ثم قال: "ثم صرنا بعد ذلك إلى البجناك ولم يذكر شيئا مهما عنهم".
علما انه كان للبجناك مملكة في شرق ووسط اوربا مجاورة للدولة البيزنطية.
ثم ذكر البشكرد ثم ذكر بلغار الفولغا.
كما نرى لم يذكر الا مجموعة بسيطة وهم بعض قبائل الاوغوز ولم يذكر شيئا مهما عن البجناك وذكر البشكير والبلغار.
اقل مطلع على تاريخ الشعوب التركية يعلم ان عدد الشعوب التركية خلال العصر الوسيط اكثر من ذلك بأضعاف.

-2-

ذكر ابن فضلان عند حديثه عن بعض قبائل الغزية انه ليس لهم دين وربما قال ذلك لانه لا يعترف بالدين التنغري التركي القديم وفق معاييره.
"فلما قطعناه أفضينا إلى قبيلة من الأتراك يعرفون بالغزية ....، لا يدينون لله بدين ولا يرجعون إلى عقل ولا يعبدون شيئا، بل يسمّون كبراءهم أربابا".
المقصود بالارباب في هذا السياق اي الاسياد والملوك وليس الالهة.
وهو قال ان الغزية لا يعبدون الالهة اي لا يعبدون فرج ولا قضيب.
في سورة يوسف: " يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا".
قال الطبري: فيسقي ربَّه ، يعني سيده، وهو ملكهم.
وبذلك الغزية حسب كلام ابن فضلان لا يعترفون بتعدد الالهة.
فمحاولة التعميم القبيح لم يقل به حتى ابن فضلان.

-3-

"ولا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة ولا غير ذلك".

تحدث عن الاستنجاء فقط وليس عن الاستجمار.

الاستنجاءَ: هوالتنقية بالماء بعد قضاء الحاجة.

والاستجمار: هو التنقية بالأحجار.

والعادة الشائعة عند الغرب حاليا في البول والغائط هو الاستجمار بالمنديل وطبعا اغلب غير المسلمين لا يعتبرون الجماع موجب للغسل.

ثم قال: "وليس بينهم وبين الماء عمل خاصة في الشتاء".

ذكر فصل الشتاء فقط وهناك فصل الشتاء قاس جدا ويسبب المشاكل الصحية.

ما ذكره عن تعاملهم مع اللحى والالبسة هذه تدرج في خانة العادات.

-4-

"ولا يستتر نساؤهم من رجالهم ولا من غيرهم، كذلك لا تستر المرأة شيئا من بدنها عن أحد من الناس".

يقصد ان المرأة عندهم لا تعرف الحجاب الديني سواء الخمار او النقاب ويقصد انها لا ترى مشكلة في كشف اعضائها الداخلية احيانا وليس دائما كما ذكر في القصة التالية:

"لقد نزلنا يوما على رجل منهم فجلسنا وامرأة الرجل معنا فبينا هي تحدثنا إذ كشفت فرجها وحكّته".

لاحظوا إذ كشفت يعني انها كانت مستترة ثم كشفت وسترته.

استتنج منها انهم لا يجدون احيانا حرجا في كشف الاعضاء الحساسة.

وهذا يدل على انهم مجتمع طبيعي جدا منضبط أخلاقيا ومنفتح.

-5-

اشادة ابن فضلان بانضباط قبائل الغز التي مر عليها

"وليس يعرفون الزنا ومن ظهروا منه على شيء من فعله شقّوه بنصفين.

وأمر اللواط عندهم عظيم جدا".

وهذا دليل تاريخي وعملي على انه لا يوجد رابط بين نوع اللباس والتصرفات الاخلاقية.

-6-

اشادته بعادة الشورى عند قبائل الغزية الذين مر عليهم حتى انهم بعد الاجماع على رأي معين ممكن ياتي ارذل القوم الذي لا يعد من اهل الحل والعقد وينقض الاجماع ويجتمعون مرة اخرى للشورى من جديد.

"وأمرهم شورى بينهم غير أنهم متى اتفقوا على شيء وعزموا عليه جاء أرذلهم وأخسّهم فنقض ما قد أجمعوا عليه".

وايضا ذكر عادات الزواج عند بعض الغزية ...

-6-

ذكر ابن فضلان ما يشبه نظام الذمة والكفالة عند الاوغوز وذلك ان كل شخص يمر ببلادهم يختار شخص ينزل عنده ويكون تحت حمايته.

"ولا يقدر أحد من المسلمين أن يجتاز ببلدهم حتى يجعل له منهم صديقا ينزل عليه، ويحمل له من بلد الإسلام".

-7-

أشاد ابن فضلان بعادة الضيافة والأمانة عند الغزية الذين مر عليهم.

"وكذلك لو اجتاز بالتركي إنسان لا يعرفه ثم قال:أنا ضيفك وأنا أريد من جمالك ودوابك ودراهمك، دفع إليه ما يريد ..."؟

وإن لم يوافق المسلم ضيفه في الجادة سأل عن بلاده:أين هو؟ فإذا أرشد إليه سار في طلبه مسيرة أيام حتى يصير إليه، ويرفع ماله عنده وكذلك ما يهديه له.".

-8-

بالنسبة لكلامه حول تعامل الاوغوز مع المرضى والمسنين هو كان ناقلا وابتدأ كلامه بكلمة يقال ولم يذكر شيء حدث امامه ونقل ما يشبه النظام الطبقي عند بعض الغزية من الذين مر عليهم.

وظاهر كلامه حول المرضى ان الاوغوز يتشائمون من المرض مخافة ان ينقل اليهم العدوى ولذلك جعلوا للمريض المقتدر خيمة خاصة يظل بها حتى يتعافى وبينما غير القادرين رموهم في الصحراء.

قال:"وإذا مرض الرجل منهم وكان له جوار وعبيد، خدموه ولم يقربه أحد من أهل بيته، ويضربون له خيمة ناحية من البيوت، فلا يزال فيها إلى أن يموت أو يبرأ، وإن كان عبدا أو فقيرا رموا به في الصحراء وارتحلوا عنه".

وهذا النظام يشبه ما كان شائعا عند العرب قبل الاسلام حول تطبيق العقوبات والتفرقة بين الاشراف وغير الاشراف.

-8-
ذكر ابن فضلان النظام السياسي عند الغز الذين مر عليهم.
"وملك الترك الغزية يقال له يبغو وهو اسم الأمير وكل من ملك هذه القبيلة فبهذا الاسم يسمى، ويقال لخليفته كوذركين وكذا كل من يخلف رئيسا منهم يقال له:كوذركين.".

-9-
وهنا يتحدث عن ديانة شعب البشكير.
"ووقفنا في بلد قوم من الأتراك يقال لهم الباشغرد ....
وكلّ واحد منهم ينحت خشبة على قدر الإحليل ويعلّقها عليه ...
ومنهم من يزعم أنّ له اثني عشر ربّا".
ولقد دلس المتحاور وزعم انها عبادة شائعة عند كل الاتراك ولم يقل ابن فضلان انهم يعبدون العضو الذكري وإنما يتبركون به باعتباره رمزا للخصوبة.
فهل ذكر ابن فضلان ذلك عن بعض قبائل الغز الذين مر عليهم.
وهذه نبذة عن تقديس الاعضاء الذكرية والطواف عرايا حول الكعبة عند أسلافنا العرب.
"لاتزال توجد آثار ممارسة العرب لعبادات ذات دلائل جنسية، كعبادة اله الخصب والطواف عراة حول الكعبة وإساف ونائلة. كان العرب يطوفون حول الكعبة سبعة مرات عاريات، وحتى النبي حضر طواف ضباعة بنت عمر هو وابن عباس ونظروا اليها وهي تنزع ملابسها وتنشد:
اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله
أخسم كالقعب باد ظله كأن حمى خيبر تمله"
وفي صحيح مسلم عنابن عباس قال:"كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافاً تجعله على فرجها وتقول اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله فنزلت هذه الآية: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ" .
وهذا النقل يغطي عدة جوانب.
وسبق ذكرت ان تقديس الاعضاء التناسلية موجودة بشكل عام في ثقافات مصر القديمة وبلاد الرافدين والهند واليونان والرومان وغيرهم.

-10-

مشاهدات ابن فضلان عن بلد بلغار الفولغا:

" فلمّا كنّا من ملك الصقالبة وهو الذي قصدنا له على مسيرة يوم وليلة وجّه لاستقبالنا الملوك الأربعة الذين تحت يده وإخوته وأولاده فاستقبلونا ومعهم الخبز واللّحم والجاورس وساروا معنا.

فلمّا استتممته نثر أصحابه عليه الدّراهم الكثيرة، ثم أخرجت الهدايا من الطّيب والثّياب واللؤلؤ له ولامرأته فلم أزل أعرض عليه وعليها شيئا شيئا حتّى فرغنا من ذلك ثمّ خلعت على امرأته بحضرة النّاس وكانت جالسة إلى جنبه، وهذه سنّتهم وزيّهم، فلمّا خلعت عليها نثر النّساء عليها الدّراهم وانصرفنا.

..... فلمّا أكلنا دعا بشراب العسل وهم يسمّونه السجو ليومه وليلته ..

ورأيت في بلده من العجائب ما لا أحصيها كثرة ...

وأكثر أكلهم الجاورس ولحم الدّابة على أنّ الحنطة والشعير كثير وكلّ من زرع شيئا أخذه لنفسه ...".

ولقد أكد على الانضباط الاخلاقي عندهم والانفتاح الاجتماعي لديهم.

"وينزل الرجال والنساء إلى النهر فيغتسلون جميعا عراة لا يستتر بعضهم من بعض، ولا يزنون بوجه ولاسبب.

وفيهم تجار كثير يخرجون إلى أرض الترك فيجلبون الغنم، وإلى بلد يقال له ويسو فيجلبون السمّور والثعلب الأسود.

ورأينا فيهم أهل بيت كونون خمسة آلاف نفس من امرأة ورجل قد أسلموا كلّهم يعرفون بالبرنجار «وقد بنوا لهم مسجدا من خشب يصون فيه ولا يعرفون القراءة، فعلّمت جماعة ما يصلون به.

على هذا النهر موضع سوق تقوم في كل مديدة ويباع فيها المتاع الكثير النفيس".

-11-

أقوال ابن فضلان عن النظام السياسي عند الخزر وحضارتهم ومدنهم.

"فأمّا ملك الخزر واسمه خاقان فإنه لا يظهر إلا في كل أربعة أشهر متنزها ...

ويقال لخليفته خاقان به وهو الذي يقود الجيوش ويسوسها ويدبّر أمر المملكة ويقوم بها ويظهر ويغزو وله تذعن الملوك الذين يصاقبونه...

الولايات في الحلّ والعقد والعقوبات وتدبير المملكة على خليفته خاقان به ...

ورسم الملك الأكبر إذا مات أن يبنى له دار كبيرة فيها عشرون بيتا ويحفر له في كلّ بيت منها قبر وتكسر الحجارة حتى تصير مثل الكحل وتفرش فيه وتطرح النورة ...

ومدة ملكهم أربعون سنة إذا جاوزها يوما واحدا قتلته الرعية وخاصته وقالوا:هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه ...
ولملك الخزر مدينة عظيمة على النهر إتل، وهي جانبان في أحد الجانبين المسلمون وفي الجانب الآخر الملك وأصحابه، وعلى المسلمين رجل من غلمان الملك يقال له خز وهو مسلم، وأحكام المسلمين المقيمين في بلد الخزر والمختلفين إليهم في التجارات مردودة إلى ذلك الغلام المسلم لا ينظر في أمورهم ولا يقضي بينهم غيره ...".

-12-
ابن فضلان مر ببعض الشعوب التركية ولم يقم برحلة شاملة استقصائية استكشافية في جميع البلاد التركية وحتى مدن الاوغوز الخمسة المذكورة في كتب البلدانيات لم ياتي على ذكرها.
هو يفيدنا ببعض المعلومات وليس مرجع معتمد او مصدر شامل للحكم.

هل اعتمد المؤرخ المسعودي ام على المدلسين.
هل اعتمد رحلات تميم وابن دلف أم على المحرفين.
هل اعتمد كتب البلدانيات وموسوعة الكاشغري ام على المزورين.

-13-
حول ابن خلدون والعثمانيين:
هذا كان رأي العلامة السياسي ابن خلدون حول زوال الدولة المملوكية وانها ستكون على ايدي العثمانين.
ولم يتطرق الى العثمانين بمدح وذم.
يعني عندما اقول الدولة الفلانية ستسقط على ايدي الدولة الفلانية الاخرى.
هل أنا هنا قلت ذم او مدح.
لا شيء مطلقا هذا مجرد تحليل سياسي.
اما المدلسين فقد جعلوا هذا التحليل السياسي وكأنه ذم في الشعوب التركية.
مع العلم أن العلامة ابن خلدون أشاد بالاتراك والحكم التركي في عدة مواضع من كتبه وتاريخه ومنها:
"منذ مائتين من السنين في دولة الترك من أيام صلاح الدين بن أيوب و هلم جرا. و ذلك أن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق أو الولاء و لما يخشى من معاطب الملك و نكباته. فاستكثروا من بناء المدارس و الزوايا و الربط و وقفوا عليها الأوقاف المغلة يجعلون فيها شركاً لولدهم ينظر عليها أو يصيب

منها مع ما فيهم غالباً من الجنوح إلى الخير و التماس الأجور في المقاصد و الأفعال .فكثرت الأوقاف لذلك و عظمت الغلات و الفوائد و كثر طالب العلم و معلمه بكثرة جرايتهم منها وارتحل إليها الناس في طلب العلم ".

-14-

أصل يأجوج ومأجوج:

"قال ابن الاثير: وأمايافث فمن ولده جامر ، وموعع ، ومورك ، وبوان ، وفوبا ، وماشج ، وتيرش ، فمن ولد جامر ملوك فارس في قول ، ومن ولد تيرش الترك ،والخزر ، ومن ولد ماشج الأشبان ، ومن ولد موعع يأجوج ومأجوج ، ومن ولد بوان الصقالبة وبرجان . والأشبان كانوا في القديم بأرض الروم قبل أن يقع بها من وقع من ولد اللعيص بن إسحاق وغيرهم .

ومن ولد يافث الروم ، وهم بنو لنطى بن يونان بن يافث بن نوح .

-15-

حول الحضارة العثمانية:

لقد بنى العثمانيين حضارة مزدهرة وامبراطورية عظيمة استمرت لستة قرون وسادت على ثلاث قارات.

يعقد المؤرخ ول ديورانت فصلا كاملا في موسوعته بعنوان (الحضارة العثمانية) ومما قاله:

"فإن أساليبهم في الزراعة وعلومهم كانت على الأقل تضارع ما كان منها لدى الغرب....".

وكتب كلاما طويلا مفصلا عن الحضارة العثمانية لا استطيع نقله جميعا.

-17-

يوجد في كتب التراث اشادات عديدة بالشعوب التركية وثقافتهم وتاريخهم.

كتب الجاحظ عن الاتراك كتاب كامل عنهم ونقل كلاما طويلا عن صديقه ثمامة الأشرس الذي زارهم وجلس عندهم فترة طويلة من الزمن.

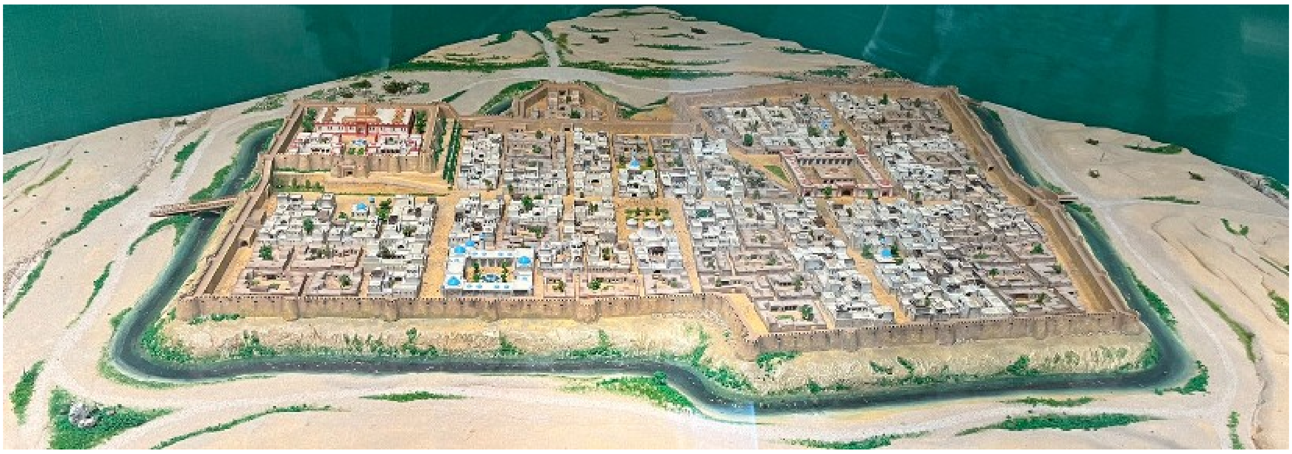
وأشاد بهم القرويني وابن دلف وتميم بن بحر وابن الفقيه وسعيد السمرقندي وغيرهم.

اقتباسات من رحلة ابي دلف عن بلاد الاوغوز:

"ثم انتيهنا الى قبيلة يقال لهم الغز، لهم مدينة من الحجارة والخشب والقصب، ولهم بيت عبادة ليس فيه أصنام، ولهم ملك عظيم يستأدى منهم الخراج، ولهم تجارات الى الهند والى الصين، ويأكلون البر فقط وليس لهم بقول، ويأكلون لحوم الضأن والماعز الذكران والاناث، ويلبسون الكتان والفراء ولا يلبسون الصوف، وعندهم حجارة بيض تنفع منه القولنج وحجارة حمراء إذا مرت على السيف لم يقطع شيئا، وكان مسيرنا فيهم شهرا في أمن وسلامة.

ولقد ذكر الجغرافي الكاشغري اكثر من خمسة مدن غزية في اسيا الوسطى.
وأيضا ذكر الحموي عدة مدن غزية في كتابه.

وهذه صورة تقريبية لمدينة يني كنت الغزية وتقع في جنوب كازاخستان والتي قال عنها المؤرخ المسعودي: "وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة، وفيها المسلمون، والأغلب من الأتراك في هذا الموضع الغزية، وهم بواد وحضر":



-18-

كتاب البلدان لابن الفقيه

[ذكر بعض مدن الأتراك وعجائبها]

قال سعيد بن الحسن السمرقندي:

ولهم مدن كثيرة في بعضها تجار وأموال وفي جميعها أسواق.

فمنها مدينة التغزغز وهي أكبر مدائنهم وأحصنها ولها سور عظيم مبني بالصخر وله خندق دائر به، فيه ماء غزير، وأهلها لهم شدة وإقدام في الحرب وأكثر سلاحهم السيوف.

ومن مدنهم أيضا مدينة يقال لها حيوس تقرب من الشاش وهي كبيرة أيضا ...

ومن مدنهم أيضا مدينة يقال لها دي...

ومن مدنهم مدينة يقال لها سور ...

ومن مدنهم مدينة يقال لها جريسم ...

ومن مدنهم أيضا مدينة يقال لها اغرس ...

ثم يسرد عدة مدن تركية اخرى ....

وفي الاخير يقول ولهم مدن كثيرة ولم نذكرها ...

كلام المؤرخ المسعودي عن الحضارة التركية.

وهذا رد مفحم وقاطع على من ينكر وجود الحضارة التركية تعصبا وهذه مشكلة كبيرة نعاني منها في منطقتنا وهي الاقصاء البعض لا يريد يثبت ذاته من خلال ذاته وانما من خلال القضاء على الاخرين.

يقول المؤرخ المسعودي في كتابه اخبار الزمان قبل اكثر من الف ومائة سنة عن الشعوب التركية : "وأما الترك فهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام، وهم أجناس كثيرة، وهم اصحاب مدن وحصون، ومنهم قوم في رءوس الجبال والبراري، في خيم اللبود....".

في هذا النص قبل اكثر من الف ومائة سنة يقدم المؤرخ المسعودي صورة اكثر اجمالية وحيادية عن الشعوب التركية الذين يغطون مساحات شاسعة من اسيا الوسطى والداخلية واوراسيا.

وكيف انهم اجناس وثقافات متعددة وفيهم سكان المدن والقرى والبوادي وفيهم الصيادين. ثقافات معقدة ومتداخلة.

ان للاتراك حضارة مجيدة عمرها اكثر من الفين سنة ظهرت واينعت في اقطار شتى في اسيا الوسطى والداخلية والاناضول واوراسيا والهند والشرق الاوسط واوربا.

علماء وحكماء الأتراك في التاريخ الإنساني

لقد أثير لغط كبير حول الرموز الفكرية والعلمية من ذوي الأصول التركية وقبل ان اقدم مجموعة من العلماء والمفكرين اؤد التذكير انه يوجد للشعوب التركية تراث ضخم مدون باللغات التركية المختلفة ويغورية وجغطائية وعثمانية وتترية وغيرها وفي كل المجالات في الطب والعلوم والادارة والادب والدين وغيرها.
وهو تراث مدون على مدار أكثر 1200 سنة
والاتراك من الشعوب السباقة في استخدام آلة الطباعة.
ولقد ذكرت الكتب الصينية القديمة انه كانت توجد مكتبات ضخمة في مدن الويغور.
وايصا كان الاتراك يتعاملون باريحية مع كل اللغات الاخرى ويستخدمونها.
ولذلك قال ابن تيمية في كتابه "الفرقان": " وغيرهم ممن كان من حكماء الهند والترك".
وقبل ان اقدم بعض هؤلاء الأعلام احب اوجه نصيحة عامة الى الاتراك
أتمنى الخروج من الصندوق المغلق عند البحث في هذا الموضوع وعدم التقيد بفترة زمانية معينة او مكان معين بل ينبغي عليكم البحث في عصور مختلفة وأقطار مختلفة.
عليكم البحث في عصر الويغور القديم والتاريخ الصيني بشكل عام مثل امبراطورية تانغ وتشينع وغيرها وعصر امبراطورية المغول وعصر سلطنة دلهي والسلطنة البابورية اي التاريخ التركي الاسلامي بشكل عام في الهند والعصر المملوكي والعصر الروسي الحديث والعصر المجري والعصر السلجوقي والعصر الخوارزمي والعصر الصفوي والعصر العباسي والعصر التيموري وعصور خانات اسيا الوسطى كالاوزبك وفرغانة و ياركندوغيرها وطبعا بالاضافة الى العصر العثماني.
سوف تجدون الآلاف ممن اثروا الفكر والثقافة الإنسانية وطبعا العبرة بالكيف وليس بالكم.

وهذه قائمة سريعة مما تيسر لي بحثه سابقا قبل سنوات وكنت على معرفة بهم حول الاعلام من ذوي الأصول التركية اما قطعيا أو احتمالا:

1- الفيلسوف الفارابي المعلم الثاني الغني عن التعريف:
لقد ساهم الفارابي مساهمة جذرية في التاريخ الاسلامي وحقق انجاز فكري ضخم بتبيئة الفلسفة اليونانية في الثقافة العربية الاسلامية.
ولذلك اطلق عليه لقب المعلم الثاني
وقول الفيلسوف العظيم ابن سينا انه لم يفهم كتب ارسطو الا بعد الاطلاع على كتب الفارابي.

2- الامام اللغوي إسماعيل بن حماد الجوهري:
ولقد حقق قفزة نوعية في المعاجم اللغوية حيث ابتكر منهج ترتيب الكلمات العربية بحسب الحرف الاخير وطريقة في ترتيب الكلمات على القوافي وهذا المنهج هو الذي ساد لاحقا في المعاجم الكبرى كلسان العرب.
وكان شغوف بالطيران والتكنولوجيا.

3- الامام المحدث عبد الله بن المبارك:
شيخ الإسلام وعالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته وأمير المؤمنين في الحديث وصاحب المصنفات.

4- عالم الرياضيات عبد الحميد بن واسع بن ترك:
وهو من اوائل من كتبوا في علم الجبر والمقابلة في فترة متزامنة مع العلامة الخورازمي.

5- عالم الرياضيات الفضل بن محمد بن عبد الحميد بن ترك ذكره ابن النديم في الفهرست.

6-الأمير العالم أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر بن خذيان التركي الفرغاني:
وهو تلميذ الامام الطبري والناقل الأمين لكتابه التاريخي وصاحب التاريخ المذيل على تاريخ محمد بن جرير الطبري.

7- شاعر الهند الكبير الأديب أمير خسرو الدهلوي:
صاحب المصنفات البديعة واحد ابرز المجددين في الشعر الفارسي وان لم يكن أوحدهم وقد قام بتطوير اشكال عديدة في الشعر الفارس.
للأسف الشديد هنالك تجاهل متعمد لعصر سلطنة دلهي وما تحقق فيها من انجازات عديدة والتي استمرت تقريبا لثلاثة قرون.
هل تعلمون انه في العصر التغلقي حدثت عملية ترجمة ضخمة وترجم التراث الهندي الى الفارسي واطلق على مدينة دهلي لقب بغداد الهند
وهل تعلمون ان السلطان علاء الدين الخلجي الاسكندر الثاني قام بعمل اصلاحات كبيرة في النظم السياسية والقانونية والادارية والاقتصادية وغيرها من الأنظمة التي تم تأسيها منذ العهد الغزنوي وظلت هذه الاصلاحات مستمرة حتى الاستعمار البريطاني.

8- الجغرافي والبحارة بيري ريس صاحب الكتاب الشهير الذي تضمن خرائط موسعة ودقيقة عن الكرة الأرضية.

9- الأديب والمؤرخ صلاح الدين الصفدي صاحب المؤلفات والتصانيف العديدة في العصر المملوكي.

10- الامام الحافظ الذهبي شيخ المؤرخين ودرة الحفاظ وصاحب التصانيف في علوم الدين والتاريخ والادب.

11- العلامة الأديب أبو بكر بن صول تكين الصولي صاحب المصنفات البديعة في الأدب والتاريخ ويعتبر ابرز مرجع في الادب العربي وتاريخ العصر العباسي.
ومن يتصفح كتاب الاغاني للأصفهاني يجد انه اعتمد على الصولي كمصدر رئيسي
ويعتبر صاحب اهم مرجع في التراث العربي عن لعبة الشطرنج.

12- العلامة والجغرافي محمود الكاشغري
صاحب الديوان الموسع وأحد رواد الدراسات اللغوية المقارنة.

13-الطبيب الجراح صابونوجي اوغلو صاحب اول موسوعة مصورة في الجراحة.

14-أحمد بن علي بن بيغجور بن الاخشيد شيخ المعتزلة في زمانه وصاحب التصانيف العديدة.

15- الامام الحنفي علاء الدينالكاساني وهو صاحب أعظم كتاب في فقه الحنفية واسمه بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع.

16- العالم الفلكي والفيلسوف على القوشجي صاحب التصانيف العديدة في مختلف العلوم والفنون.

17-العالم الفلكي اولوغ بيك التيموري صاحب اشهر زيج فلكي موسع في عصره والأكثر دقة.

18- الأديب النحرير علي شير النوائي صاحب المصنفات البديعة والذي كتب ملحمة شعرية تجاوزت خمسين الفا بيت شعري
19- الرحالة رابان صاوما الاولون سومي الذي سافر الى اوربا اثناء العصر المغولي وسجل رحلته في كتاب.
الان معظم الاتراك المستعربين سيندهشون ماذا تقول عن كتاب في العصر المغولي وما هي مدينة اولون سوم ؟
السبب ان اكثر الاتراك فعليا يجهلون تاريخهم ويأخذون معلوماتهم من مصادر رديئة تقدم معلومات سطحية ومغلوطة.

20- هو سيهوي صاحب اشهر كتاب في الطب الصيني بالعصور الوسطى.

21- لي تاي بو ويعد من أشهر شعراء الصين القدماء في عصر امبراطورية تانغ.

22- الحكيم دادا تونغا احد ابرز مستشارين جنكيز خان ولقد وضع الابجدية للغة المغولية الكستقة من الخط اليوغوري بطلب من جنكيز خان.

23-الحاج بكتاش ولي مؤسس طريقة متصوفة فريدة من نوعها تقوم على التقريب ما بين السنة والشيعة.

24- الملا محمد بن حمزة الفناري صاحب التصانيف البديعة في الفلسفة والدين.

25-ميرزا غلام أحمد مؤسس الطريقة الأحمدية

وهو شخصية تركت تاثير فكري كبير في القارة الهندية وهو ليس شخصا عاديا وكان نابغة بلغت مؤلفاته حوالي مائة كتاب وله اتباع كثيرين لا يمكن تجاهله.

وهذا غيض من فيض ولدينا المزيد من الأعلام والشخصيات ومن مختلف العصور والأقطار وانني اطالب الباحثين الاتراك بالبحث جديا في الكتب والوثائق لكشف الالاف الاسماء، ولا يزال يوجد بعض الاعلام المشهورين اصولهم مجهولة وغير معروفة وقد تكشف المخطوطات المجهولة والتي لم تحقق اصولهم الحقيقية.

امبراطورية شيونغنو

امبراطورية شيونغنو هي اول امبراطورية معروفة في السهوب الشرقية وبل هي اول امبراطورية سهوبية لها سلالة ملكية حاكمة معروفة ومتوارثة بين الابناء والاحفاد.
ولقد وصل اقصى توسع لامبراطورية شيونغنو الى اسيا الوسطى حيث سيطرت على قانسو وحوض تاريم والسهوب الشرقية وسيبيريا وتيان شان وبحيرة بلخاش وبحيرة ايسيك حتى بحيرة خوارزم.
يمكن القول ان امبراطورية شيونغنو قد تأسست على الجمع بين الثقافات القديمة في السهوب الشرقية مثل الواح القبور أوردوس وبازيريك وغيرها مع ممالك المدن في جنوب السهوب الشرقية وتمكنت من تحقيق تحول جذري.
استطاعت امبراطورية شيونغنو ان تستمر قوة مهيمنة لحوالي مائة عام، وتأسيس حالة من الاستقرار والازدهار في اراضي السهوب الشرقية حيث تمكنت من عقد اتفاقية سلام تجارية مع امبراطورية الهان استمرت لعدة عقود وسيطرت على خطوط التجارة الاقليمية القادمة من الغرب عبر حوض تاريم واسيا الوسطى وتمكنت من جذب الحكماء والحرفيين الى قلب السهوب الشرقية وغير ذلك.
ولقد تمكن علماء الاثار من اكتشاف اثار مدن شيونغنو في مناطق وادي اورخون ونهر سيلنيكا ونهر ينيسي وغيرها مع اكتشاف حدوث تطور نوعي في صناعة المعادن وممارسة الزراعة وغيرها.
وصنعت امبراطورية شيونغنو البنية التحتية الاساسية لحضارة السهوب في اشكال النظام السياسي والنظام العسكري والانماط الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.
بعد قيام امبراطورية الهان الصينية بخرق اتفاقية السلام من جانبها، اشتعل الصراع مجددا بشكل اوسع مع امبراطورية شيونغنو منذ عام 133 قبل الميلاد، ولقد انتهى هذا الصراع بانتصار الهان وتفكك شيونغو الى اقسام جنوبية وشمالية وغربية.
استطاع شيونغنو الشمالية الصمود لفترة اطول حتى عام 89 ميلادي.
وبينما تحولت شيونغنو الجنوبية الى مملكة رافدة لامبراطورية الهان تتمتع بالحكم الذاتي في جنوب السهوب الشرقية وكانت لديهم بعض المدن، ولقد اكتشف علماء الاثار حول مدن ومستوطنات شيونغو الجنوبية وتوصلوا الى انهم حافظوا على ثقافتهم وتقاليدهم.

حاولت شيونغنو الغربية احياء الامبراطورية في اسيا الوسطى مع تشيتشي شانيو الذي قام بتاسيس عاصمة جديدة قرب مدينة تاراز الحالية وكانت محاولته قصيرة الامد وانتهت عام 36 قبل الميلاد.

لقد استمر تاثير شيونغنو في السهوب الشرقية وشرق اسيا الى القرن الخامس الميلادي.

وفي السجلات الصينية خلال عصر الممالك الستة عشر جرى اعتبار شيونغنو أحد "البرابرة الخمسة"، وقد أسسوا عدة دول أسرية في شمال الصين، مثل تشاو السابقة وهو شيا وغيرها من السلالات التي تنحدر من أصل شيونغنو.

معالم الثقافة الامازونية عند قدماء الاتراك

العادات والتقاليد الامازونية مترسخة ومتجذرة في الثقافة التركية منذ قديم الازمان وعلى مدار التاريخ التركي واستمرت خلال التاريخ الاسلامي.

في ملحمة "دده قورقد" يرد على لسان احد ابطالها وصف الزوجة التركمانية المثالية في قصة الاميرة سالجان : " فمن اريدها زوجة يجب ان تكون محاربة كمثلي قان نهضت سبقتني نهوضا وان امتطيت صهوة جوادي الاهمج علت جوادها قبلي ...".

ويصف الرحالة ابن بطوطة ارتفاع مكانة المراة في المجتمع التركي حيث قال: "والنساء لدى الأتراك والتتر لهن حظ عظيم وهم إذا كتبوا أمرا يقولون فيه عن أمر السلطان والخواتين ولكل خاتون الكثير من البلاد والولايات والمجابي العظيمة وإذا سافرت مع السلطان تكون في محلة على حدة ...".

ويصف ابن بطوطة النساء التركيات انهن لا يعرفن الحجاب: "فإن عادة نساء الأتراك أن لا يغطين وجوههن ...".

ولقد اشتهر المجتمع التركي في المصادر التاريخية بمشاركة النساء الفاعلة في الحرب والسياسة والاقتصاد ومشاركة الرجال في اعمال كثيرة.

وحتى ان احد الرحالة الفرنجة اثناء مروره بامارات التركمان في الاناضول قد سجل في يومياته ان بعضهم لديهم جيش من النساء التركمانيات.

للأسف الشديد لقد شاع في الاونة الاخيرة ربط الحرملك بالثقافة التركية الأصلية والادعاء انه من افرازات العصر التركي الاسلامي والحقيقة التاريخية الساطعة ان الحرملك هي عادات شرق اوسطية قديمة جدا وشاعت ممارستها عند الفرس والبيزنطيين والعرب وغيرهم وقد تبناها بعض الاتراك في عصور متأخرة وهي دخيلة عليهم.

اعظم فاتح في التاريخ الانساني

جنكيز خان هو اعظم فاتح في التاريخ الانساني.
ولقد تمكن من فتح مساحة كبيرة جدا تصل تقريبا الى 12 مليون كم2 من كوريا الى اراضي الفولغا.

واغلب تلك الاراضي المفتوحة كانت مكتظة بالسكان مثل:
1- مملكة سلالة الجين.
2- المملكة الكورية.
3- مملكة شيا الغربية.
4- مملكة القاراخطاي.
5- الامبراطورية الخوارزمية.
وغيرها ،،،

وايضا بالاضافة الى ان اراضي السهوب الشرقية التي تمكن من توحيد شعوبها وذات العدد السكاني القليل، لقد كانت تحتوي على شعوب مقاتلة ومحاربين اشداء والمقاتل منهم عن 20 جندي في البلاد ذات المناخ المعتدل.
ولا يوجد شيء اسمه ارض فارغة لانه يوجد لكل ارض فائدة معينة قد تكون اقتصادية او عسكرية او علمية ونحوها.
وحاليا الدول الكبرى تتنافس على ثروات القطب الشمالي مثلا.

ولقد استطاع جنكيز خان تأسيس مملكة من الصفر وتشكيل أمة جديدة وتحويل هذه المملكة الى إمبراطورية شاسعة في خلال عقدين من حياته.

ويتميز جنكيز خان بكونه قائدا عسكريا من الطراز الرفيع حيث قاد جميع معاركه ووضع خططها العسكرية الفريدة من نوعها واشترك في القتال واستطاع ان يشكل مدرسة عسكرية تخرج منها قادة عسكريين كبار مثل سوبوتاي وغيره.
وكان جنكيز خان رجلا حكيما حيث وضع عدة قواعد اخلاقية لشعبه وتشريعات مختلفة.

وايضا كان جنكيز حاكما متسامحا مع جميع الاديان والطوائف المختلفة.
وكان يهدف جنكيز خان الى تاسيس امبراطورية عالمية مختلفة بحيث اسس اسرع نظام بريدي جديد من نوعه في العصور الوسطى بحيث ربط الغرب بالشرق وتمكن من وضع بذور العولمة.
ولقد وضع جنكيز خان ابجدية جديدة وامر شعبه بالتحول الى التعلم وصناعة الكتب حتى انه حرص في الحصول على افضل انواع الورق من كوريا.
وكان جنكيز خان يحترم العلماء والحكماء والحرفيين ووضع لنفسه مجموعة من المستشارين الكبار في المجالات المختلفة وحتى أمرهم بتعليم ابنائه.
وكان جنكيز خان يحترم المرأة وفق سياقات عصره واعطاها حقوق كثيرة وفتح لها ابواب واسعة للمشاركة في مجالات الحياة المختلفة.
ومنذ عهد جنكيز خان جرى تحول كبير نحو بناء المدن ونجد انه في عهد حفيده الاول اوقطاي تحولت الامبراطورية الجنكيزية الى بناء المدن العواصم في مختلف الاقاليم حتى وصلت ذروتها مع احفاد احقاده مع يوان والقبيلة الذهبية وغيرها.
ولقد استمر تاثير ارث جنكيز خان لاكثر من الف عام مع احفاده وشعبه في اسيا الوسطى وشرق اوربا وجنوب اسيا وغيرها وتركت بصماتها القوية على امبراطوريات ودول اخرى مثل سلطنة المماليك والامبراطورية العثمانية وغيرها.
ولذلك جميع المؤرخين الموضوعين يؤكدون على ان جنكيز خان هو اعظم شأنا وانجازا من الاسكندر الاكبر وكورش الاخميني ويوليوس قيصر وغيرهم وانهم لا يبلغوا عشر معشار ما حققه جنكيز خان.

يقول المؤرخ ابن الاثير الذي عاصر فتوحات جنكيز خان:
" .... هذا ما لم يطرق الأسماع مثله، فإن الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة، إنما ملكها في نحو عشر سنين، ...
وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأحسنه، وأكثره عمارة وأهلا، وأعدل أهل الأرض أخلاقا وسيرة، في نحو سنة، ولم يبق أحد في البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يتوقعهم، ويترقب وصولهم إليه".

مقارنة ما بين الفاتحين العظيمين جنكيز خان والاسكندر الأكبر

هذه مقارنة ما بين القائدين العظيمين جنكيز خان والاسكندر الاكبر من خلال عدة معايير مختلفة.

1- الطفولة والكفاح:
جنكيز خان: عاش طفولة صعبة وطردت عائلته من القبيلة وكافح طويلا وسلك جنكيز خان ما يعرف بالتعلم الذاتي والاستفادة من الخبرات التي يمر بها في صداقاته وحملاته العسكرية وكان يذهب الى جبل بورخان للتأمل منفردا في شؤون ممكلته وتنظيمها.
الاسكندر الاكبر: ولد في القصر وعاش حياة مترفه وكان له معلمين كثر مثل الفيلسوف المعلم الاول ارسطو طاليس.
معروف في التعليم والتربية ان التعلم الذاتي هو اعلى درجات التعلم
النتيجة 1:0 لصالح جنكيز خان

2- بناء الدولة:
جنكيز خان: عاش في منطقة مقسمة بين الخانات والقبائل وكانت ممكلة الجين تضرب القبائل مع بعضها ولقد قام ببناء المملكة من الصفر ووحد القبائل وعمل الجيش وعمل الابجدية وعمل الدواوين والسجلات والمحاكم وغيرها
الاسكندر الاكبر: ورث دولة جاهزة من والده الملك فيليب الثاني.
النتيجة 2:0 لصالح جنكيز خان

3- حجم المساحات المفتوحة:
جنكيز خان: تمكن من فتح مساحة جغرافية تقدر 13,500,000 كم2
الاسكندر الاكبر: تمكن من فتح مساحة تقدر تقريبا ب 5 مليون كم2
النتيجة 1:0 لصالح جنكيز خان

4- أسباب الحرب:
جنكيز خان: توفرت العديد من الأسباب والمبررات لحملات جنكيز خان
مملكة الجين كانت من ألد الاعداء ومنذ سقوط مملكة الخيطان وهي تعادي الشعوب التركية والمغولية فيما يعرف حاليا الهضبة المغولية.
ممكلة شيا الغربية خانت العهود والمواثيق وغزت مملكة المغول عدة مرات اثناء غيابه.
الامبراطورية والسلطنة الخوارزمية: رغم إعجابي الشديد بهذه السلطنة التي لم تنل حظها من الإنصاف وربما لا يعرف الكثيرين انه حدثت نهضة علمية وثقافية كبيرة في العصر الخوارزمي وكانت مملكتهم احد المراكز المهمة المتأخرة للمدرسة المعتزلية ولذلك وصفوا في كتب التاريخ بالبدع والترف والمجون.
قامت سلطنة خوارزم بقتل تجار جنكيز خان ثم قتلت السفراء الذين أرسلهم للتفاوض وبذلك تكون قد اعلنت الحرب على مملكة المغول.
مملكة لياو الغربية: سيطر عليها كوشلي حفيد خان النايمان احد الد اعداء جنكيز خان وعمل تحالفات لشن هجوم ضد المغول.
الاسكندر الأكبر: شن حروبه ضد الامبراطورية الاخمينية بدون وجود اية مبررات بعد فترة سلام طويلة سادت بين الفرس واليونان.
النتيجة 1:0 لصالح جنكيز خان

5-حجم الدمار:
جنكيزخان: من اكثر الانتقادات التي توجه حجم الدمار التي حدثت في حملاته العسكرية على الرغم ان بعضها مبالغات ضمن ما يعرف في استراتيجية الرعب العسكري وقانون الحرب عندهم بعدم التعرض للمناطق المستسلمة وهذا حدث مع اراضي مملكة لياو الغربية التي ساعدت الجيش المغولي في القضاء على كوشلي وايضا كان يعفو عن الاعداء ويكرمهم.
الاسكندر الأكبر: لم سجل الاسكندر الاكبر خاليا من جرائم الحرب كما يشاع عنه هو كان اولا واخيرا رجل حرب والحروب مهما حاول البعض تلطيفها يصاحبها دائما دماء وضحايا ومآسي.

وهذه قائمة ببعض جرائم الاسكندر الاكبر
في عام 335 بغزو وحرق طيبة
أثناء الاستيلاء على غزة عام 332 قام بقتل عشرات الالوف من سكانها
قام بتدمير مدينة برسيبوليس عاصمة الامبراطورية الاخمينية وقتل الالاف من سكانها
ومع ذلك نظرا لما قام به الاسكندر الاكبر من بناء مدن الاسكندرية في عدة بلدان مختلفة نظرا لكونه قد اتى من حضارة قديمة ومملكة مستقرة.
النتيجة 1:0 لصالح الاسكندر الأكبر

6- القيادة العسكرية:
لقد كان كل من جنكيز خان والاسكندر الاكبر قائدين عظيمين قادا الجيوش بنفسيهما ووضعا الخطط العسكرية وخاضا غمار المعارك ولم يجلسان في موطنهما يتغنيان بإنجارات وأتعاب القادة الاخرين.
يتفوق جنكيز خان في الاستراتيجية وانه انتخب العديد من القادة وأعطاهم مهام صعبة بعكس الاسكندر الاناني الجشع الذي قتل جنرالاته وايضا قام جنكيز خان بتأسيس الجيش من الصفر باحدث تقنيات العصر من المدافع والبارود بينما ورث الاسكندر جيش متكامل بجنوده واسلحته من والده.
النتيجة 1:2 لصالح جنكيز خان

7- تشكيل الامبراطورية:
جنكيز خان: رغم ما يثار ويشاع من أقوال مبالغ فيها عن جنكيز خان ومع ذلك ذكرت كتب التاريخ ان جنكيز خان قد أمر بإعادة إعمار مدن بلاد ما وراء النهر بعد انتهاء الحملات العسكرية، وبعد نجاح حملات شمال الصين قام بتعيين القائد موغلاي حاكما على اراضي شمال الصين وقد اثنت كتب التاريخ الصينية عليه كثيرا ووصفوه بانه كان اكثر لطفا من حكام سلالة الجين ولقد اهتم جنكيز خان بطريق الحرير اهتمام شديد واصدر قوانين تعفي الأطباء والحكماء والحرفيين من الضرائب وحرص على تطبيق مبدأ الجدارة في الإدارة والقيادة دون النظر إلى النسب.

وهذه الأمور التي أسسها جنكيز خان تركت اثر عميق في امبراطوريته من بعده في أحفاده حيث أصبحت الإمبراطورية المغولية مساهما هاما في تبادل وتوليف الأفكار العالمية بين الشرق والغرب وفي تحقيق العديد من الانجازات وكل تلك الإنجازات تشكل استمرار طبيعي لافكار جنكيز خان.
الاسكندر الاكبر: اشتهر الاسكندر ببناء مدن الاسكندرية حتى نسبوا اليه مدن عديدة.
النتيجة 1:1

8- التسامح والتعايش:
كلا القائدين كانا متسامحين ومتعايشين مع ديانات وثقافات الشعوب الاخرى رغم وجود نصوص حول اضطهاد الاسكندر للزرادشتين ولكن بشكل عام الاسكندر الاكبر كان متسامح كما يظهر لي وذلك ما قام به من تسامح مع اديان مصر وبلاد الرافدين وغيرها.
النتيجة 1:1

9- تنظيم الامبراطورية:
جنكيز خان: لقد حرص الخاقان على تنظيم الامبراطورية المغولية واصدر مئات القوانين التي عرفت بالياسق واهتم بتنظم توارث العرش بين احفاده بعد وفاته وحرص على تربية ابنائه ليكونوا مثله وافضل منه ولذلك استمرت الامبراطورية المغولية متماسكة بعد وفاته وتوسعت اكثر لمدة تقارب القرنين من الزمن.
الاسكندر الاكبر: لم يهتم يتنظيم الامبراطورية وتمزقت مباشرة بعد وفاته.
النتيجة 1:0 لصالح جنكيز خان.

10- دور المرأة:
جنكيز خان: لعبت المرأة دور كبير في تاريخ الامبراطورية المغولية وكانت نظرات جنكيز خان الى المرأة اكثر تطورا ورقيا مقارنة مع عصره.
الاسكندر الأكبر: يكاد لا يوجد اي دور للمراة في تاريخه وشبه معدوم.
النتيجة 1:0 لصالح جنكيز خان

النتيجة النهائية 12:3 لصالح جنكيز خان
معيار الحساب: اذا تفوق جنكيز خان بأكثر من ميزة في معيار معين اعطيه اثنين كما حدث مع معيار بناء الدولة والقيادة العسكرية.

ختاما اختم بهذه العبارة لزعيم الاستقلال الهندي جواهر لا نهرو: " فإن جنكيز خان بلا شك، هو أعظم عبقري عسكري وزعيم في التاريخ. يبدو الاسكندر وقيصر تافهين أمامه".

الهجرات التركية الكبرى الى الأناضول

الهجرات التركية الكبيرة إلى الأناضول ثابتة في المصادر التاريخية ولا يجادل فيها أي مؤرخ معتبر.
وهذه الهجرات التركية قد أحدثت تغييرات ديموغرافية كبيرة في تركيبة سكان الأناضول بحيث صار الأتراك يمتلكون أغلبية نسبية وانصهر بقية السكان ضمن الهوية التركية خلال عملية التكوين العرقي التي جرت في الاناضول لتشكل بذلك تركيا الحالية.

وسوف استشهد بمصدرين مختلفين.

الاول: مصدر اسلامي وهو كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي:
" وفي شرقي هذه البلاد " = القسطنطينية " جبال التركمان وبلادهم. وهم خلق كثير من نسل الترك الذين فتحوا بلاد الروم في عصر السلجوقيين .... وفي شمالي إنطالية المتقدمة الذكر جبال طغورله، يقال إن فيها وفي جهاتها، نحو مائتي ألف بيت للتركمان، وهم الذين يقال لهم الأوج ... وفي تلك الجهة مدينة انكورية فيها نحو ثلاثين ألف بيت للتركمان .... وفي شرقيها من فرض الروم المشهورة مدينة كستيمونيه وهي للمسلمين ويقال إن في جهاتها مائة ألف بيت للتركمان ...
وسلطانها من نسل السلجوقية، وهم ترك آمنوا وملكوا من بلاد تركستان إلى بحر الشام، وفتحوا هذه البلاد المعروفة الآن ببلاد الروم ... ".
نلاحظ ان المؤرخ والجغرافي ابن سعيد المغربي قد اثبت الحقائق التالية:
1- تسمية ارض الروم والأناضول بأرض التركمان.
2- اثبات ان السلاجقة الاتراك هم الذين فتحوا ارض الاناضول.
3- اثبات وجود اعداد هجرات كبيرة من قبائل التركمان الى الاناضول ولقد احصى الجغرافي المغربي اعداد القبائل الرحل بحسب البيوت حيث كل بيت يسع عشرة

اشخاص على اقل تقدير فكيف بالاعداد الكبيرة التي استقرت في المدن التي استحدثها السلاجقة او الأمراء التركمان او الذين انتقلوا الى الحياة في الريف.

المصدر الثاني: وهو مصدر مسيحي للمؤرخ الأرمني هايتون من كوريكوس Hayton of Corycus في كتابه "تاريخ التتار" والذي قدمه الى البابا كليمنت الخامس في عام 1307، حيث كتب عن اوضاع الاناضول:
" الفصل 13: مملكة أرض الأتراك
كان يُطلق على هذه الأرض اسم اليونان من قبل العديد من شعوب الشرق، حيث كان إمبراطور اليونان سابقًا قد اعتبر هذه الدولة التابعة للأتراك ملكًا خاصًا له ، ثم كان يحكمها دوقات ومسؤولو الإمبراطور.
ولكن بعد أن استولى الأتراك على البلاد واستيطانهم فيها ، اختاروا سيدًا ليحكمهم وأطلقوا عليه اسم سلطان ، أي ملكًا. بعد ذلك سميت الأرض ببلد الأتراك.
في بلاد المملكة التركية يسكن أربعة شعوب: اليونانيون والأرمن واليعقوبيون (وهم مسيحيون يعيشون في التجارة والزراعة)، والأتراك الذين هم من المسلمين الذين استولوا على سيادة ذلك البلد من اليونانيين. يعيش بعضهم عن طريق التجارة والزراعة، ويقيمون في المدن والقرى، بينما يعيش البعض الآخر دائمًا في الغابات والسهول، في الشتاء والصيف، كرعاة قطعان. وهم رماة مهرة للغاية".

أيضا نلاحظ ان المؤرخ الارمني اثبت تسمية ارض الاناضول ببلد الاتراك وانهم فتحوها وهزموا البيزنطيين وحدوث هجرة تركية كبيرة اليها بحيث صاروا من سكانها الاساسيين واثبت تنوع اوضاع الاتراك فيها ما بين المدن والارياف والرعي.

يرتكب البعض مغالطات كثيرة من خلال اجراء مقارنات زائفة بين سكان تركيا الحالية وسكان اسيا الوسطى ويتجاهل عدة أمور جوهرية ومنها تنوع الأصول القبلية للأتراك في اسيا الوسطى والاهم من كل ذلك ان قبائل الاوغوز

التركمانية كانت مختلطة عرقيا في العصور الوسطى وبحسب المؤرخ الهمداني ان أشكال التركمان تشبه أشكال الطاجيك واذا نظرنا إلى حاليا إلى تركمان اسيا الوسطى سوف نجد ان اشكالهم قريبة من الاتراك والاذريين.
والأمر الاخر هنالك الف سنة مرت على حدوث هذه الهجرات إلى الأناضول بحيث حدثت فيها زواجات مختلطة كثيرة واختلطت الأعراق مع بعضها.
وايضا تثبت الدراسات الجينية الحديثة ان جينات اسيا الوسطى بين سكان تركيا تتراوح ما بين 45-55٪ وهذه نسبة كافية جدا لتحديد هوية اي بلد، فمثلا تذكر بعض الدراسات أن من لهم نسبة أصل انجلوساكسون جرماني في إنجلترا هم حوالي 25٪.
فضلا أن تقاليد وثقافة سكان تركيا الحالية تتشابه كثيرا مع الموجود في اسيا الوسطى.
وهنالك امر آخر مهم لا يتم الانتباه اليه وهو ان أصول الأتراك في تركيا الحالية متنوعة من النواحي القبلية حيث ان معظم الأتراك من تركمان الاوغوز وبعضهم من تتار القرم وبعضهم من اتراك القوقاز وغير ذلك.

وأما الذين يسكبون دموع التماسيح على الهجرات وتغير الهويات فهؤلاء يتجاهلون ان هذه سنن بشرية كانت تحدث كثيرا خلال التاريخ القديم والوسيط وأمامهم القارتين الأمريكيتين اللتين تغيرت هويتهما.
وفي الأناضول على سبيل المثال حدثت اليها العديد من الهجرات: حيث كان سكانها الأقدمين في العصور السحيقة من العرق الأناضولي الحيثي والليدي ونحوهم وهؤلاء شعوب مختلفة ويتحدثون بلغات اناضولية مختلفة ولقد اختفت هويتهم بعد حدوث الهجرات الاغريقية إلى الأناضول بحيث انصهروا ضمن الهوية اليونانية القديمة واختفت اللغات الأناضولية الأصلية.
وايضًا حدثت هجرة قديمة من شعب الغال السلتيكي إلى الأناضول وسكنوا في غلاطية، وفي شرق الأناضول كان يتواجد الاورارتيين والحوريين وكانوا يتحدثون بلغات مختلفة ولقد اختفت هويتهم وانصهروا مع شعوب اخرى.

علاقة الاتراك مع شيونغنو

الاتراك لديهم علاقة مؤكدة علميا مع شيونغنو والهون.
والسجلات الصينية تؤكد وجود علاقة قطعية وان الترك هم نفس شيونغنو.
عندما تذكر السجلات التاريخية عن شعب تييلي:
" من ناحية اللغة، لغة شيونغنو ولغة تييلي هي نفسها".
وقالت السجلات الصينية عن قبيلة اشينا وغوكترك انهم ينحدرون من شيونغنو.
وايضا قالت السجلات الصينية عن شعب الويغور:
"كان أسلاف هويهي هم شيونغنو ... وكانوا يطلقون عليهم أيضًا اسم جاوتشي خلال عهد يوان وي ...".
وايضا يؤكد الويغور في سجلاتهم التاريخية الخاصة انهم ينحدرون مباشرة من شيونغنو.
مثلا: تقول السجلات الصينية عن قبيلة يوين من شيونغنو والتي صارت لاحقا ضمن اتحاد شيانبي.
"كان يوين موهواي من شيونغنو من لياودونغ، المنطقة الواقعة وراء الحدود الشمالية. وكان جده قريبًا بعيدًا لقبيلة شانيو الجنوبية. وكان يوين زعيم القسم الشرقي من قبيلة شيانبي لأجيال عديدة. وكانت لغة يوين مختلفة اختلافًا تاما عن لغة شيانبي".
وتؤكد السجلات الصينية التاريخية دائما ان شيونغنو هم مختلفين عن شيانبي.
ومثلا تذكر السجلات التاريخية ان قبيلة اشينا كانوا مرتبطين بمملكة ليانغ الشمالية وتنحدر هذه المملكة من شيونغنو.
في الحقيقة لا استطيع ان اسرد جميع الادلة التاريخية وهي تكفي لكتابة عدة مجلدات تاريخية.
مثال اخر: ذكرت السجلات التاريخية ان الهفتاليين ينحدرون من شعب تيلي، وقالت ايضا ان ثقافة الهفتاليين هي نفس ثقافة غوكترك.
ان الهوية مبنية على مجموعة من الخصائص مثل اللغة والعادات والتقاليد والفنون وغيرها. واما الاسم العام المشترك هو قابل للتغيير على مدار التاريخ

مثلا شعب الامازيغ في شمال افريقيا، في العصر القديم لديهم مجموعة من الاسماء العامة مثل الليبيين والنوميدين وغيرها، وفي العصور الوسطى شاع اسم البربر وفي العصر الحديث تغير الى اسم الامازيغ.

للاسف الشديد ان بعض الباحثين التاريخين الاتراك بسبب وجود تراكمات سابقة حول بعض المبالغات التاريخية التي حاولت ربط الاتراك بتاريخ الهلال الخصيب القديم.
ظهر لديهم حالة من الضعف وصاروا يتقبلوا كل فرضية ضعيفة تسقط الاتراك من التاريخ.
مثلا تذكر السجلات الهندية السنسكريتية ان كوشان من الهون الاتراك ولكن لا تجد مؤرخ تركي يضع ذلك حتى من ضمن الاحتمالات.
وتطور ذلك الى حالة عامة تتناول التاريخ التركي بشكل سطحي في التصنيف العرقي والاسرة الحاكمة وحالة اجتماعية معينة وجذور القبيلة واسقاط سياق الشرق الاوسط المختلف على تواريخ اسيا الوسطى والسهوب الاوراسية وشرق اسيا.
هذا فضلا عن التيارات الأيديولوجية التي تريد اختصار كل التاريخ التركي في تاريخ دين معين.
ويتم تجاهل تناول التاريخ التركي العام الذي يتناول الشعوب والافراد والتطورات المتنوعة التي جرت في مراحل تاريخية مختلفة.

محورية الامبراطورية المغولية في التاريخ التركي العام

الامبراطورية المنغولية هي جزء أساسي مهم ومحوري في تاريخ الشعوب التركية.
ظهرت الامبراطورية المنغولية بعدما تمكن تيموجين من توحيد القبائل التركية والمنغولية ثم تم تتويجه جنكيز خان على دولة السهوب الشرقية في نهر اورخون.
من المثير للدهشة ان معظم القبائل التركية كانت مسيحية وتابعة للكنيسة السريانية ونعرف ذلك من سجلات الكنيسة السريانية والمصادر التاريخية والاثار التاريخية ومن ضمنها نقوش تركية بالحروف السريانية.

ولقد انضمت مملكة الاويغور البوذية طواعية الى مملكة جنكيز خان وايضا انضم الاتراك المسلمين في مملكة قاراخيتاي طواعية الى مملكة جنكيز خان.
ولقد ساهم الاويغور في بناء وتطوير الاجهزة البيروقراطية للامبراطورية المنغولية.
وصارت اللغة التركية شائعة الاستخدام على مدار اوراسيا كاملة.
ويذكر المؤرخ عطا الله الجويني ان لغة الاويغور هي لغة العلم والمعرفة في عصره، وذكر ايضا ان الخاقان اقطاي خان امر بترجمة نقش اويغوري أثناء تأسيس العاصمة قاراقورم.
وحدثت تطورات مهمة للغاية عند الشعوب التركية في جوانب مختلفة ولا يمكن ان تحدث ويمكن فهمها في السياق التاريخي دون ظهور امبراطورية سلالة جنكيز خان.
ولقد ظهرت اتحادات قبلية تركية جديدة قائمة على دمج القبائل التركية والمنغولية في القبيلة الذهبية وشاغاتاي والايلخاني وغيرها.
ومن تلك الاتحادات الجديدة ظهر الفاتح الكبير تيمورلنك والسلالة التيمورية.
واستمرت سلالة جنكيز خان تحظى بالتقدير الكبير لدى الشعوب التركية على مدى قرون متصلة.

للأسف الشديد هنالك كتاب هواة ومؤدلجون يكتبون في التاريخ بشكل سطحي ولقد ساهموا في تشويه تواريخ الشعوب التركية بشكل منحط، عبر التحليل السطحي غير الموضوعي استنادا الى السلالة الحاكمة او الحرب بين الجنكيزيين والخوارزميين وهذا غير صحيح مطلقا فالتاريخ يجب النظر اليه بشكل علمي اعمق ومن مختلف الجوانب.

دهاء جنكيز خان

من ضمن الامور التي برز فيها الخاقان المؤسس للامبراطورية المغولية جنكيز خان انه كان داهية بقدرته على صناعة القيادات الماهرة في المجالات العسكرية والسياسية.
وكان جنكيز خان يمنح القادة الناجحين لديه ميزات كثيرة ويعطيهم صلاحيات كبيرة في حكم اقاليم كبيرة وغير ذلك.
وحتى يحكى انه في احدى المعارك تعرض جنكيز خان لسهم كاد ان يقتله وتعرض للاغماء وبعد نهاية المعركة افاق وسأل مباشرة عن الجندي الذي اصابه بالسهم واخبروه انه في الاسر فطلب اطلاق سراحه فورا وطلب منه ان يكون قائدا في جيشه وكان ذلك القائد هو جيبي.
من ابرز قادة جنكيز خان هو سوبوتاي الذي ينظر إليه على نطاق واسع على أنه أحد أعظم القادة العسكريين والاستراتيجيين في التاريخ.
وايضا من ضمنهم جيلمي وموغالي وشاليون وبورشوا وغيرهم.
وايضا اعطى جنكيز خان مساحة كبيرة للمرأة بحيث لعبن ادوارا قيادية مهمة في مراحل الامبراطورية المغولية.
يذكر البعض مغالطات حول عمر الامبراطورية المغولية.
لقد استمرت الامبراطورية المغولية اكثر من 160 سنة وصنعت حالة حضارية خاصة بمرحلة تاريخية معينة في التاريخ الانساني واحد فروعها وهو خانية القبيلة الذهبية استمرت لحوالي ثلاثمائة سنة واذا تم حساب سلالات اسرة جنكيز خان وفروع القبائل المختلفة فسوف نجدها كحالة تاريخية استمرت لحوالي ثمانمائة سنة.
ومن باب المقارنة نجد ان الامبراطورية الاخمينية استمرت لحوالي قرنين من الزمن والدولة الاموية استمرت حوالي 90 سنة وبينما الامبراطورية المقدونية التي صنعها الاسكندر الاكبر انهارت وحدتها بعد وفاته مباشرة وتم تقسيمها بين جنرالاته واستمرت في حالة تنازع وصراع داخلي فيما بينها.

الوجود التركي في القارة الأوربية

من يعترض على حقيقة التاثير التركي على اوربا الشرقية يتجاهل ان السلالات الاسكندنافية قد حكمت اوربا الشرقية سابقا ولا توجد اقليات اسنكندنافية كبيرة في بلدان اوربا الشرقية.
وفي التاريخ القديم اسس الاغريق مستوطنات في شمال البحر الاسود ولا توجد اقليات يونانية في اوربا الشرقية في العصر الحاضر ومستمرة منذ التاريخ القديم.
من الخطا الشديد تحليل التاريخ القديم وفق معطيات العصر الحاضر وهذا مرفوض في المنهج العلمي.
مثل من يستنتج ان الاوربيين هم السكان الاصليين في القارتين الامريكتين لان ذوي الاصول الاوربية يشكلون اغلبية السكان.
من الثابت تاريخيا ان الشعوب التركية هاجرت الى اوربا الشرقية منذ أوائل العصور الوسطى وشكلوا عدة ممالك وسلالات حاكمة.
- امبراطورية الهون (القرنين الرابع والخامس).
- اتحادات قبائل أونوغورس وكوتريغورس وأوتيغورس وغيرها في القرن السادس.
- مملكة بلغاريا العظمى في القرن السادس ولاحقا من القرن الثامن الى القرن العاشر.
- امبراطورية الخزر (من القرن السادس الى القرن العاشر).
- اتحاد البجناق (القرنين العاشر والحادي عشر).
- اتحاد الكومان (القرنين الحادي عشر والثاني عشر).
- القبيلة الذهبية (من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ولاحقا مملكة القرم).
ما حدث في الهجرات التركية الكثيرة الى اوربا الشرقية.
ان بعض الاتراك اندمجوا ضمن السلافية المسيحية علما انه كانت توجد امارات تركية ضمن امارات روس كييف.
ومعظم الاتراك اندمجوا في كونفدرالية القبيلة الذهبية كما تذكر المصادر التاريخية.
وبعد قيام القيصر الروسي ايفان الرهيب باحتلال خانات استرخان وقازان انتهج القياصر سياسة تهجير اتراك التتار الى داخل الاراضي الروسية في موسكو ونوفغورود وغيرها وترويس الباقين الموجودين في اراضيهم.
ولاحقا تعرض اتراك تتار القرم الى التهجير القسري عدة مرات خلال عصر القيصرية الروسية والعصر السوفيتي.

ملاحظة جوهرية/ الشعوب التركية هي مختلطة عرقيا منذ اقدم العصور وهذه حقيقة ثابتة في المصادر التاريخية القديمة والدراسات العلمية الحديثة.

الاتراك والهفتاليين

لقد اخترت بعض المصادر من ضمن مصادر كثيرة متوفرة والتي تؤكد وجود صلة مباشرة للهفتاليين بالهون والاتراك.

حيث تؤكد المصادر البيزنطية ان الهفتاليين من الهون في الحقيقة والواقع، وانما ذكرت وجود بعض الاختلافات الاجتماعية وثقافية بسبب اختلاف طبيعة التفاعلات مع اختلاف الارض.

يذكر المؤرخ البيزنطي:

"الهون الإفثاليتيون، الذين يُطلق عليهم اسم الهون البيض [...] إن الإفثاليتيون هم من سلالة الهون في الواقع وكذلك بالاسم".

وان كان تحليل بعض المصادر البيزنطية عن طبيعة امبراطورية الهون الاوربية غير دقيق لان الهون في مرحلة اتيلا وصلوا فعلا الى مرحلة الاستقرار، حيث يؤكد السفير الروماني الذي زار عاصمة الهون في سهوب بانونيا ودخل الى قصر اتيلا المكون من طابقين وذكر وجود الحمامات الرومانية التي يستخدمها الهون.

اما المصطلح الذي اقترحه احد المؤرخين وهو "الهون الايرانية" هو مصطلح ثقافي وليس اثني وذلك لوصف مجموعات الهون التي هاجرت من الشرق وحكمت اراضي وسط اسيا ومن ثم استخدمت اللغات الايرانية الموجودة في هذه المناطق في العملات والنقوش.

وان كان ايضا هذا المصطلح ليس دقيق لان توسعات ممالك الهون في اسيا قد وصلت الى القارة الهندية واستخدموا بعض اللغات الهندية.

الترك والروم

لقد كانت العلاقة بين الاتراك والامبراطورية الرومانية تخضع للتقلبات بين الحين والاخر وذلك بحسب حالة ظروف المملكة التركية او الشعب التركي وذلك كما يلي:

1- العلاقة بين الهون الاوربيين والرومان كانت حالة صراع مستمرة.

2- العلاقة بين غوكترك والروم كانت حالة صداقة وتحالف في الغالب.

3- العلاقة بين الخزر والرومان كانت علاقة تحالف حتى تزوج الامبراطور الروماني من بنت خاقان الخزر وطلب خاقان الخزر من الروم البيزنطيين دعمه بكادر من المهندسين والعمال لبناء اسوار منيعة على الطراز البيزنطي حول المدن الخزرية. ولقد كانت توجد صراعات محدودة بينهما حول جزيرة القرم.

4- العلاقة بين البلغار والرومان كانت حالة صراع في الغالب على الرغم من وجود علاقات معينة وتبادلات ثقافية واقتصادية فيما بينهم.

5- العلاقة بين البيشنك والرومان كانت حالة صراع في الغالب.

6- العلاقة بين الكومان والروم كانت علاقة تحالف في الغالب.

7- العلاقة بين السلاجقة والرومان كانت حالة صراع في الغالب ولكن توجد حالات سلام وتبادلات مفيدة بين الطرفين.

8- العلاقة بين القبيلة الذهبية ضمن الامبراطورية الجنكيزية مع الرومان اقرب الى حالة الحرب الباردة وكانت توجد تحالفات وعلاقات على مستويات معينة.

9- طبعا بعد سيطرة العثمانيين على القسطنطينية انتهت حالة الصراع المستمر خلال اكثر من الف عام.

ومن الامور المثيرة للاهتمام وهي ان الروم البيزنطيين سمحوا للقبائل التركية بالاستيطان في الاناضول قبل العصر السلجوقي بعدة قرون.

وفي معركة ملاذكرد تفاجأ السلطان السلجوقي الب ارسلان بوجود فيالق تركية ضمن الجيش الرومي البيزنطي.

ولقد كان الروم البيزنطيين يستخدمون الجنود الاتراك في الحرس الامبراطوري والجيش وغيرها ولذلك كانت توجد فرق تركية مشاركة ضمن الجيوش الصليبية المتجهة الى مدينة اورشليم/القدس.

ومثلا ماناف (Manav Turks) هم ينحدرون من الكومان ولقد استقروا في غرب الاناضول بطلب من الروم البيزنطيين.

خرافات حول سلالة يوان الجنكيزية

من ضمن الخرافات التاريخية التي شاعت حتى صدقها البعض وهي الزعم ان الخاقان قوبلاي خان اسس سلالة جديدة في الصين ومنفصلة كليا عن جذورها وأطلق عليها لقب "يوان" وقال لافرادها هيا بنا نتحول إلى صينين وبينما ذلك لم يحدث مطلقا ويتعارض مع المصادر التاريخية الأصلية وهي بالمحصلة اكذوبة قد اخترعها المؤرخين الصينين منذ عصر سلالة مينغ وتضخمت حتى اخذت اكبر من حجمها.

لقد نبعت هذه الخرافة التاريخية نتيجة الاستنتاج التاريخي السطحي الذي زعمه بعض المؤرخين انه بعد وفاة الخاقان مونكو خان حدثت حرب اهلية ما بين قوبلاي واريغ على الخلافة وصوروه على انه صراع ايديولوجي ما بين تيارين مختلفين ضمن السلالة الحاكمة وبينما كان في الحقيقة عبارة عن صراع سياسي بحت على السلطة وهذا التصور السطحي لم يكن حاضر مطلقا لدى افراد الاسرة الجنكيرية المتصارعة.

في المصادر التاريخية المنتجة في الإمبراطورية المنغولية خارج الصين، لا يوجد اي ذكر لمصطلح يوان حيث يتحدث المؤرخ رشيد الدين عن خاقان أولوس باللغة المنغولية أو مملكة خاقان بالفارسية "مجال الخاقان".

وتظهر السجلات التاريخية ان الاسرة الجنكيرية لم ينظروا إلى الصين ككيان موحد ولم ينظروا إلى أنفسهم على أنهم يحكمون الصين على وجه التحديد ولكن نظروا على كونهم يحكمون إمبراطورية عالمية صادفت توسعاتها أنها تشمل الصين.

ولقد توصلت الدراسات التاريخية ان الاسرة الجنكيرية منذ عام 1211 اطلقوا على إمبراطوريتهم لقب "امبراطورية المنغول العظمى" ولقد ترجم الصينيون هذا اللقب في سجلاتهم إلى لقب صيني وهو دا يوان.

فهذا اللقب ليس اسم سلالة جديدة قررت ان تستقل بحكم الصين وتنصهر معها ولكنها تمثل الترجمة الصينية الرسمية.

وهذا يعني أن دا يوان لا يعين سلالة حاكمة على وجه التحديد في الصين، بل هي تعني الإمبراطورية المغولية العالمية بأكملها، والتي لم يتنازل الأباطرة القوبلايون عن سيادتهم عليها مطلقًا حيث رأوا إنهم يمثلون خاقان الإمبراطورية المغولية على نطاق عالمي.

فلم يتراجع قوبيلاي بأي حال من الأحوال إلى الصين لتأسيس سلالة صينية مدرجة في سلسلة من الأنساب التي تنقل الانتداب السماوي من شيا، حيث يرى هو وخلفاؤه

أنفسهم على أنهم مندوبون للسيادة العالمية التي أمر بها التنكري وانهم يأخذون شرعيتهم من سلالة جنكيز خان حيث يمثلون استمرارية لها.
وتعيين تاريخ 1271 لبداية سلالة يوان هو مجرد تاريخ مختلق من المؤرخين الصينين حيث بدأ الحكم المغولي في الصين منذ عام 1211 بعد الانتصار الساحق على سلالة الجين في معركة بهولين وبينما قوبلاي خان يحكم الصين منذ عام 1251 واسس عاصمته الاولى زانادو عام 1252 في قلب السهوب الشرقية اثناء عصر أخيه الخاقان مونكو خان.
وتظهر المصادر التاريخية ان اغلب خاقانات سلالة قوبلاي خان كانوا لا يعرفون اللغة الصينية وتمثل رحلة ماركو بولو التي تشبعت بعناصر الثقافة التركومغولية انصع دليل يفند هذه الخرافات التاريخية الشائعة حول احوال سلالة قوبلاي خان حتى شكك بعض المؤرخين في صحتها وذلك نظرا لان ماركو بولو قد عاش ما بين افراد الاسرة الجنكيرية الحاكمة وجيوشها وأمراؤها.

الفهم الصحيح للاحداث

بعد خمسمائة عام من انهيار امبراطورية غوكترك التي دخلت في علاقات مد وجزر مع البيزنطيين والساسانيين، فرضت الامبراطورية السلجوقية التركية سيطرتها على الهضبتين الايرانية والاناضولية.
لم يتوقف السلاجقة على مجرد السيطرة العسكرية والسياسية وبل ايضا هاجرت اعداد مليونية من قبائل الاوغوز الى الاناضول وايران، وحدث تحول ديموغرافي في الاناضول وتحولت الى تركستان اسيا الصغرى وبينما توجد نسبة كبيرة من السكان الاتراك في ايران تتراوح ما بين 25-40٪، على الرغم من وجود عدة محاولات نجحت بعضها لتحويل الاتراك الى فرس وآريين منذ عهد الشاه رضا بهلوي.
بالنسبة للسؤال المطروح حول لماذا لا يتم عرض فحوى المراسلات الواردة في المصادر التاريخية البيزنطية ما بين غوكترك والبيزنطيين في الاعمال الفنية والوثائقية وغيرها.
والجواب: هو لوجود تيارين ايديولوجيين حيث يبدوان في الظاهر متعارضيين ولكن تجمعهما العديد من القواسم المشتركة.
التيار الاول: هو التيار المعادي للاتراك والذي يحرص على تشويه صورة الاتراك التاريخية وتقديمها في أسوأ صورة.
والتيار الثاني: هو تيار الاسلاميين والعثمانيين الجدد وهؤلاء يحصرون التاريخ التركي العام في العصر العثماني فقط ويعتبرون الباقي لا اهمية له وليس له وجود ويحرصون على تقديم التاريخ التركي بشكل سطحي ومشوه ومجتزأ من سياقاته التاريخية.
طبعا سوف تفوز تحالف الاحزاب القومية في الانتخابات التركية القادمة في الرئاسة والبرلمان، ولذلك يثير البعض مخاوف حول امكانية حدوث ايقاف مسلسلات المؤسس عثمان والفاتح وغيرها، وذلك لن يحدث مطلقا.
وبل سوف تدعم الاحزاب القومية الى استمرار انتاج المسلسلات حول مرحلة نشأة الدولة العثمانية، وايضا سوف تدعم انتاج الاعمال الفنية التي تعرض جميع فترات التاريخ العثماني ولكن بشكل اكثر موضوعية وبعيدا عن التقديس، وايضا سوف تدعم الاحزاب القومية الدراما التركية لعرض جميع التاريخ التركي في عصور غوكترك والهفتاليين والخزر واليوغور والتيموريين والصفويين والهون وامارات الاناضول وغيرهم.

واما بالنسبة للسؤال الثاني الوارد حول لماذا اختار الوفد من اقليم الصغد الذهاب الى غوكترك بدل الذهاب الى الساسانيين؟

بحسب الكثير من الدراسات التاريخية ان الوفد الصغدي الذي ذهب الى غوكترك وطلب التحالف معهم هم من الهون الكيدار، وهؤلاء كانوا يعتبرون الهفتاليين اعداء تاريخيين لان الهفتاليين اسقطوا مملكتهم.

وهذه الحادثة تتكرر تاريخيا بنفس السياق مثلا تحالف امارات الاناضول مع تيمورلنك ضد العثمانيين.

وتحالف اليوغور مع جنكيز خان ضد سلالة التانغوت.

وتحالف الخيطان مع جنكيز خان ضد سلالة الجورشن.

وغير ذلك ....

وتذكر ملحمة الشاهنامه أسباب الحرب التي دارت بين أشينا والهفتاليين.

أن إستيمي يابغو، الذي يقع مركز حكمه في منطقة الشاش، قد ارسل سفارةً إلى الإمبراطورية الساسانية، وأثناء مرورها بأراضي الهفتاليين، نُهبت وقُتل سفراؤها. لذلك، قرر إستيمي يابغو الانتقام من الهفتاليين وهزمهم في معركة حاسمة. وبعد المعركة، قرر خسرو أنوشيروان بناء علاقات مصاهرة مع جوكتورك.

تشبه هذه القصة إلى حد كبير سيناريو الحرب التي دارت بين إمبراطورية جنكيز خان والإمبراطورية الخوارزمية.

نهب الأمير الخوارزمي القافلة وقتل التجار المغول، فقرر جنكيز خان الانتقام من دولة خوارزم شاه.

علاقة الاتراك مع الامبراطورية الجنكيزية

يحاول معتنقي افكار معاداة الاتراك والعثمانيين الجدد نشر مغالطات تاريخية تتعلق بفصل تاريخ الامبراطورية الجنكيزية عن تاريخ الاتراك العام.
ويتوسعون اكثر بحيث يحاول الغاء تواريخ التيموريين والاوزبك وخانية القرم وغيرهم عن تاريخ الاتراك العام.
وبينما جميع المؤرخين في الوسط العلمي يطلقون على الامبراطورية الجنكيزية مصطلح الامبراطورية تركومنغولية.
وذلك لسبب جوهري واساسي ذكره المؤرخ الهمداني في كتابه "جامع التواريخ".
وهو ان الامبراطورية الجنكيزية قد قامت بشكل اساسي على التشكيلات القبلية ولقد قسم الهمداني هذه القبائل الى قسمين وهما:
الاول: قبائل اتحاد خماج المنغول.
الثاني: القبائل التابعة بعد عملية الضم.
لن اتطرق الى الجدل المستمر حول هوية بعض القبائل و العشائر مثل جلايرت وميركيت وغيرهم.
ولكن لقد ذكر الهمداني في القسم الثاني مجموعة من القبائل التركية الكبيرة مثل القارلوق والقرغيز والاوغوز والكيبتشاك وغيرهم وذلك على اعتبار انهم يشكلون اعمدة اساسية في الكيانات القبلية للامبراطورية الجينكيزية.
ومثلا في حالة القبيلة الذهبية لقد ذكر ابن فضل الله العمري المتوفي عام 1349 حالة الدمج التي حدثت ما بين التتار والكيبتشاك حيث قال عن مملكة الكيبتشاك:
" وهذه المملكة قديما هي بلاد الكيبتشاك فلما غلب عليهم التتار صار الكيبتشاك تابعين لهم، ثم حدث بينهم اختلاط ومصاهرات، وغلبت الأرض على الطبع والأصل، فصار الكل مثل الكيبتشاك وكأنهم جنس واحد ".
ولذلك في الدراسات الجينية حول قبيلة بارلاس على سبيل المثال وجدوا حدوث تعدد في الانساب الابوية وهذا الاثبات العلمي يثبت ما ذكره الهمداني حول اندماج بعض القبائل التركية ضمن التشكيلات القبلية للامبراطورية الجنكيزية وأنهم قاموا بتغيير اسماء قبائلهم.

مثلا القارلوق كانوا يشكلون اتحاد قبلي كبير في اسيا الوسطى وهم سبب قيام المملكة القاراخانية.

وايضا كان القارلوق هم سبب انتصار القاراخيتاي على السلاجقة في معركة قطوان.
فهل يعقل ان القارلوق اختفوا جميعا او انشقت الارض وابتلعتهم.
لا يوجد مصدر تاريخي قديم ذكر حدوث ابادة جماعية لقبائل القارلوق.
وبل ان الهمداني ذكر ان خان القارلوق قد تصاهر مع جنكيزخان.

ثلاثة مراحل رئيسية في التاريخ التركي العام

توجد ثلاثة إمبراطوريات قد استطاعت توحيد الشعوب والقبائل التركية تحت مظلتها بحسب المؤرخين المعتمدين ومشكلة بذلك ثلاثة مراحل شكلت تحولات أساسية لدى الشعوب التركية:
المرحلة الاولى: وهي امبراطورية شيونغنو وهذه مملكة تاسست في السهوب الشرقية مع القرن الثالث قبل الميلاد تقريبا ويوجد تفاصيل كثيرة عنها في السجلات الصينية القديمة ولقد شكلت اجزاء من اراضي السهوب الشرقية وسيبيريا والصين واسيا الوسطى.
المرحلة الثانية: وهي امبراطورية غوكترك في القرن السادس الميلادي وتعتبر هي اول مملكة معروفة في التاريخ تعتمد مصطلح الترك كلقب قومي وتقريبا منذ عصرها صارت الشعوب والقبائل التي تنحدر من أصول مشتركة وتتشابه ثقافيا ولغويا ونحوها تستخدم مصطلح الترك للتعبير عن هويتها.
ولقد امتدّت غوكترك على اراضي أوراسيا حتى وصلت إلى نهر الدنيبر وشملت إمبراطوريتها معظم السهوب الأوراسية واسيا الوسطى وأجزاء من الهند والصين وايران والقوقاز.
المرحلة الثالثة: وهي امبراطورية جنكيزخان او الإمبراطورية المغولية وهي اكبر امبراطورية في التآريخ ولقد استطاعت توحيد الشعوب والقبائل التركية على امتداد أوراسيا وحتى ان جملة من المؤرخين المتخصصين في التركولوجيا يرون ان توسعات المغول مرتبطة بمحاولة ضم القبائل التركية المنتشرة.
وهذه الحقيقة التاريخية لا تعجب العثمانيين الجدد.
ولذلك المصطلح المستخدم في الوسط العلمي حول الإمبراطورية الجينكيزية هو لقب التركومنغول لانها قامت بشكل اساسي على توحيد قبائل الترك والمغول.
وفي كتاب "جوامع التاريخ" للهمداني والذي يعتبر اهم مرجع تاريخي معتمد حول هذا العصر قد ذكر ان امبراطورية جنكيزخان قائمة بشكل اساسي على التشكيلات القبلية وهي على قسمين:
الاولى وهي قبائل اتحاد خاماج المغول واما الثانية فهي القبائل التابعة وتضم الاوغوز والقارلوق والقفجاق والنايمان والقرغيز وغيرهم.
ولذلك بعض تشكيلات القبائل التركية حاليا في اسيا تعود إلى الإمبراطورية الجنكيزية مثل الأوزبك والكازاخ وتوفا وغيرهم.
ومن الامبراطورية الجنكيزية برزت ممالك واتحادات قبلية تركية جديدة مثل التيموريين والقبيلة الذهبية والشيبانيين وغيرها من الخانات.

المنصور العباسي والمعتصم بالله

الخلافة العباسية قد استعانت بالأتراك في شؤون الدولة السياسية والعسكرية منذ عهد الخليفة المؤسس الحقيقي المنصور.
حيث تذكر كتب التاريخ شخصية حماد التركي الذي كان يعتبر من اقرب رجال الدولة إلى الخليفة المنصور وقد خدم المنصور شخصياً كرئيس لحرسه الشخصي وكحاجب ومعاون شخصي له وتولى حماد فرض الضرائب في منطقة سواد العراق ولعب دور مهم في بناء العاصمة بغداد.
ولقد لاحظ المؤرخون المسلمون استخدام المنصور للأتراك بكثافة وأهمية حماد الخاصة حيث يقول المؤرخ المسعودي:
"كان المنصور هو أول خليفة يستعمل الأتراك. فقد استعمل حماد وكان للمهدي مبارك. وقد تبعهم الخلفاء اللاحقون والآخرون جميعاً في هذه الممارسة".
وعين الخلفاء العباسيين الكبار كالمنصور والرشيد مجموعة من الولاة الأتراك على الاقاليم والأمصار الإسلامية مثل زهير بن التركي الذي كان والي المنصور على كل من همدان والموصل وعين الرشيد فرج الخادم التركي واليا على طرسوس وغيرهم.
وتذكر كتب التاريخ انه عندما وصل السفراء من الهند حاملين الهدايا قسم هارون الرشيد الأتراك إلى صفين وسلحهم بكثافة بحيث أظهر فقط بؤبؤ أعينهم ثم سمح للسفراء بالدخول.
واما في عصر الخليفة المامون فقد جرى الإكثار من الجند الأتراك في الشؤون العسكرية وكان المامون معجبا بشدة بمدى انضباطهم وشجاعتهم وفنونهم القتالية.
وعندما جاء عهد الخليفة العباسي المعتصم فلم يقم باختراع وضع جديد حيث كانت الأمور ممهدة مسبقا وجرى منذ عهد المنصور ومن تلاه استخدام الاتراك كجنود وقادة ورجال دولة في الدولة العباسية وانما قد حدث تحول جذري في عصر المعتصم وذلك من الانتقال بالاعتماد على العناصر الإيرانية كمصدر اول في شؤون الدولة إلى الانتقال بالاعتماد على العناصر التركية كمصدر اول في شؤون الدولة.
وبخصوص الخليفة العباسي المتوكل تذكر كتب التاريخ ان الفتح بن خاقان التركي الاديب والمؤلف وصاحب مكتبة شهيرة في وقتها كان هو صديق المتوكل ومستشاره الخاص وأقرب الناس اليه ولقد تعرض للاغتيال مع المتوكل في نفس اليوم.

وما حدث للمتوكل وصديقه الفتح كان بسبب صراع البيت العباسي على السلطة ومخاوف الطبقة السياسية التركية ان كل طرف إذا انتصر فسوف يبطش بأعوان الطرف الآخر.

وضعف الدولة العباسية كما ذكر ابن خلدون هو كان حادثا منذ بداية الدولة العباسية عندما فقدت السيطرة على الأندلس لصالح الامويين ومن ثم فقدت المغرب الأقصى لصالح الأدارسة الزيدية وبعدها فقدت المغرب الأوسط لصالح الرستميين الاباضية حتى اضطرّ الرشيد أن يتنازل عن ولاية إفريقية بتونس لصالح الأغالبة واعطاهم حكم محلي حتى لا يفقدوا شمال أفريقيا كلها ولاحقا اعطى المامون ولاية خراسان إلى الطاهريين.

فكانت الدولة العباسية تتفكك داخليا حتى وصلت الى بداية سقوطها من بعد مقتل الخليفة المتوكل وتحولت اراضيها إلى دول مستقلة وفشلت كل محاولات إنعاشها مع المعتضد وغيره ووصلت إلى حالة الإفلاس الكامل وصارت مقاليد الأمور بيد امير الأمراء مما مهد الأمور لسيطرة الدولة البويهية.

إعلام المغفلين بإنجازات ومآثر سلاطين بني عثمان في دول البلقان

يقول المؤرخ ديورانت عن التسامح العثماني:
" وقد أظهرت الوثائق الأوروبية التي راجع الكثير منها بعض الباحثين الأوروبيين أن كثيراً من المناطق الأوروبية كانت تستنجد بالعثمانيين إذ كان يطلب أهلها بأنفسهم الفتح العثماني تخلصا من حكم مسيحيين يخالفونهم في المذهب، أو مسيحيين يسومونهم سوء العذاب، فقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن أهل كريت توسلوا إلى العثمانيين لفتح ديارهم، كما يؤكد ذلك الباحث الغربي كولز. كما نظر أهل المورة للعثمانيين كمخلصين، بعد أن سئموا سيطرة البنادقة الكاثوليك".

أ- دور العثمانيين في نشر الاسلام في منطقة البلقان والاناضول:

1- منطقة غرب تركيا:
كانت منطقة غرب الاناضول الساحلية مسيحية وتابعة للدولة البيزنطية ومنذ عهد السلطان عثمان العظيم تمكن العثمانيين من فتح بورصة وواصل احفاده فتح المناطق المحيطة بالقسطنطينية مثل ادرنة حتى تمكن السلطان الفاتح من فتح العاصمة واسقاط الدولة البيزنطية.
يقول المؤرخ ديورانت عن الفتح العثماني في غرب الاناصول الساحلي:"لم تقاوم طويلاً، لأنها كانت قد عانت من ظلم حكامها البيزنطيين، كما سمعت بأن أورخان لم يثقل الكواهل بالضرائب، وأنه رخص في حرية العقيدة - وكان كثير من هؤلاء المسيحيين في الشرق الأدنى هراطقة مرهقين: نساطرة أو من القائلين بأن للمسيح طبيعة واحدة. وسرعان ما ارتضى العقيدة الإسلامية جزء كبير من الأراضي المفتوحة، وهكذا تحل الحرب المشاكل اللاهوتية، على حين كانت هذه المشاكل قبل الحرب تقف عاجزة محيرة".
2- البانيا
3- البوسنة والهرسك
4- كوسوفو
5- مقدونيا
يشكل المسلمين في مقدونيا نسبة 32% تقريبا من إجمالي السكان.
6- بلغاريا:
يشكل المسلمين نسبة 15% من اجمالي السكان.

7- الجبل الأسود:
يشكل المسلمين ما نسبته 20% من اجمالي السكان.
ما يثيره المغفلين حول وجود المسيحيين كاغلبية او اقلية في بعض المناطق التي فتحها العثمانيين.
الا يعلم هؤلاء المتعصبين ان جميع المؤرخين يعتبرون ذلك منقبة وانجاز ودلالة كبيرة على التسامح العثماني مع غير المسلمين.
ويعتبر المؤرخين نظام الملة العثماني انجاز ادراي وقانوني.
ومع ذلك هؤلاء المتعصبون يتجاهلون عن عمد الحقائق التاريخية المعروفة في حروب البلقان التي حدثت في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن الثامن عشر والتي تسببت بكوارث لمسلمي البلقان وتهجيير الملايين.

2- المدن العثمانية في البلقان:
لقد بنى العثمانيون العديد من المدن الجديدة في البلقان. وهي توجد اليوم في ألبانيا والبوسنة والهرسك وكوسوفا واليونان وبلغاريا ورومانيا وصربيا.

1- البوسنة والهرسك:
- سراييفو
- موستار

2- صربيا:
- كراغويفاتش
- نوفي بازار
- فالييفو
- شاباك
- ليسكوفاتش

3- ألبانيا:
- تيرانا
- الباسان
- كورتشي
- غياكوفا

4- اليونان:

- •أليكساندروبولي
- •طرابلس
- •جيانيتسا
- •أجرينيو
- •كارديتسا

5- رومانيا:

- •مجيدية

6- بلغاريا:

- •روسه
- •بلاغويفغراد
- •دوبريتش

هذا غير المدن العديدة التي نمت وازدهرت بالعمران والتنمية وزيادة السكان في العصر العثماني مثل سالونيك وتراونيك وسكوبيه وغيرها.

ج- ابرز والاعلام والعلماء العثمانيين من منطقة البلقان:

وهذه نبذة سريعة وعينة بسيطة لبعض ابرز الاعلام والعلماء العثمانيين من منطقة البلقان:

الغازي خسرو بك

المؤرّخ المدقّق إبراهيم بچوي

صوقوللو محمد پاشا

العالم الموسوعي نصوح السلاحي

العالم حسن كافي الأقحصاري

والكثير الكثير ممن يصعب حصرهم.

مكمن الخلل

اكثر الذين رأيتهم يشوهون التاريخ التركي يأتون من بعض الأتراك للأسف الشديد، وذلك من عدة جوانب:

1- عدم معرفة تفاصيل الجغرافيا التركية القديمة والتي تشمل:

- سيبريا
- جبال التاي
- السهوب الشرقية
- السهوب الغربية
- حوض تاريم
- بلاد ما وراء النهر

2- الإصرار على وضع كل تاريخ الشعوب التركية في قالب اجتماعي واحد وهو قالب البداوة، وتجاهل كل المصادر التاريخية الصينية والبيزنطية والفارسية والعربية فضلا عن التركية وابحاث علم الاثار، التي تؤكد وجود مدن يسكنها الاتراك في السهوب الاوراسية واسيا الوسطى وغيرها مثل مدن اليوغور والقارلوق والقبيلة الذهبية والسلاجقة وغيرها.

3- الاصرار على وضع الشعوب التركية في قالب عرقي واحد، بينما ابحاث علم الاثار والمصادر التاريخية القديمة ذكرت وجود اختلاط عرقي كبير عند الشعوب التركية منذ اقدم العصور.

حيث كان لكل شعب تركي ملامح مختلفة والهوية الذاتية ليست مرتبطة بالعرق بل مرتبطة بتراكمات تاريخية ولغوية وثقافية وعوامل اخرى متعددة.

مثال في الزمن القديم كان التتار واليوغور يتميزون بملامح مختلفة عن القرغيز والقارلوق. وهكذا ...

ولقد كان شعب القرغيز يتواجد في منطقة نهر ينيسي في جنوب سيبيريا، وكانت لشعب القرغيز مملكة خاقانية معروفة في التاريخ التركي القديم، ولقد ذكرت المصادر القديمة ان شعب القرغيز اشقر وله شعر احمر وعين ملونة.

ربما هاجر شعب القرغيز في القرن السادس عشر او السابع عشر الى منطقة اسيا الوسطى.

في العصور الوسطى كانت بلاد جمهورية قرغيزستان الحالية تتواجد فيها قبائل تركية مختلفة مثل القارلوق وتوخسي وغيرهم.

وكانت مركز لعدة ممالك تركية مثل غوكترك وتوركش والقاراخانية والقراخطاي وغيرهم.

مصطلح توران

لقد ذكر كثير من الباحثين والمختصين ان مصطلح توران في الادب الفارسي القديم كان مرتبطا بالشعوب التركية وذلك كما يظهر في الشاهنامة وغيرها.

قد يكون المصطلح كما يزعم البعض كان يطلق في بدايته على البدو الايرانيين ولكن في العصور الوسطى الى العصر الحديث كان يطلق حصرا على الاتراك وبلادهم.
والمصطلحات بشكل عام تتغير دلالتها وتأخذ معاني اخرى عبر الزمن.
ولقد ذكر المؤرخ القلقشندي معلومات مهمة عن توران، ومنها:
" المملكة الثانية مما بيد بني جنكزخان مملكة توران.
في «التعريف» : وهي من نهر بلخ إلى مطلع الشمس على سمت الوسط ...
ويدخل في توران ممالك كثيرة، وبلاد واسعة، وأعمال شاسعة، وأمم مختلفة لا تكاد تحصى، تشتمل .... نحو بشمالق والمالق إلى قراقوم".
كما نرى مصطلح توران كان متوسع جغرافيا ويضم السهوب الشرقية الاوراسية مع اسيا الوسطى.
وعلما انه كانت توجد اسماء اخرى اطلقت على اسيا الوسطى مثل الهياطلة وغيرها.

نظرة التراث العثماني الى ارث جنكيز خان

يقول المؤرخ والجغرافي العثماني الكبير حاجي خليفة عن قائد السهوب العظيم والحكيم جنكيز خان، وقائد الأتراك والمغول عبر التاريخ:

"جنكيز بن يسوكا بهادر بن برمان بهادر بن قوبل الملقب بإلنجه بن قومنه بن بايسنقر بن قايدوخان، وأمه أولون أنكه، مؤسس الأسرة الجنكيزية. ولد في ٨ ذي القعدة سنة ٥٤٩ وسمى تموجين ثم توفي أبوه سنة ٥٦٢ ورأى في رؤياه إن له يدين طويلتين وفيهما سيفان بلغا إلى حد الغرب فعبر بالاستيلاء على وجه الأرض.

فلما بلغ عشرين سنة من العمر تأمر على قومه فلم يزل يزيد شوكته إلى سن الأربعين وغلب على أونك خان وكان شريكا له في الإمارة منذ ثمان سنين، ثم قبض على خواقين المغول فقتلهم واحدا بعد واحد وبقى منفردا فانقاد له الأتراك والمغل ثم سمى نفسه جنكيز في مجلس طويل الذكر ... مات في ٤ رمضان سنة ٦٢٤ وعمره ٧٥ سنة ومدة سلطنته ٢٥ سنة.

وله نحو خمسمائة امرأة خمس منهن خاصته وأولاده الذكور كما في "ظفرنامه" تسعة، أربعة منهم من زوجته برته بوجين وهم جوجي، جغتاي، أوكداي، تولي، فعين لكل واحد منهم أمرا يباشره، فدبر أمر الصيد وترتيب المجلس جوجى، والسياسة والضبط جغتاي ودبر الملك ومصالح الجمهور أوكداي، ومهمات الجيش ومحافظة أردو تولي. وقد قسم الممالك وأوصى بالموافقة والإتحاد. كذا في "حبيب السير".

وكان جنكيز شجاعا عالما بأحوال الحروب وكانت أمه تزعم إنها حملت به من شعاع الشمس ”.

هوية الدولة الصفوية

الدولة الصفوية هي دولة تركية قلبا وقالبا ومرحلة مهمة في تاريخ الشعوب التركية.
ان اذربيجان بسبب طبيعتها الجميلة وموقعها الاستراتيجي شكلت حافز للهجرات التركية في عصور السلاجقة والمغول وقراقويونلو وآق قويونلو.
حيث اتخذها الاتراك مركز للاستقرار وجعلوا من مدن اذربيجان عواصم ومراكز مهمة.
وبسبب ذلك تحول هذا الإقليم الى منافس ندي للأقاليم الإيرانية الاخرى. وأذربيجان يشكل فيها القبائل التركية نسبة ضخمة.
وعندما ظهر الشيخ صفي الدين بطريقته الصوفية كان يلقب بالشيخ التركي وكان تلامذته من الاتراك.
ثم ظهر لاحقا من احفاده الشيخ جنيد الذي اعاد بناء الطريقة الصفوية وفق العقيدة الشيعية العلوية السائدة عند التركمان وكان انصاره من القبائل التركمانية.
بعد ذلك ظهر إسماعيل الصفوي وكان يفتخر بتركيته ويقول للسلطان سليم انه تركي اكثر من السلطان سليم.
ولقد قامت الدولة الصفوية على القبائل التركية التي شكلت الجيش الاساسي وكان يسمى القزلباش.
وكانت اللغة التركية هي اللغة الام للحكام الصفويين.
واتخذ الصفويين من اللغة التركية لغة رسمية بجانب اللغة الفارسية وازدهرت الآداب التركية في العصر الصفوي.
وبعد كل هذا يأتي احدهم وبكل بساطة يريد ان يفصل صلة الدولة الصفوية عن الاتراك.
الدولة الصفوية التي تتغلل الهوية التركية في كل جذورها وتفاصيلها.
وكانت تلقب بالدولة القزلباشية.
ولاحقا بعد انهيار الدولة الصفوية هزم نادر شاه الافشاري الأفغان وأعاد توحيد ايران ولاحقا أعاد القاجاريين توحيد ايران.
وكلاهما الافشار والقاجار من التنظيمات القبلية الأساسية التي اعتمدت عليها الدولة الصفوية.

ومن المضحكات ظهور باحثين ايرانيين في العصر الحديث يسعون الى عمل فصل حاد بين الدولة الصفوية والشعوب التركية.
وهذا الفصل مرفوض منحاز ومرفوض من البحث العلمي الموضوعي.
ويعمل بعض الباحثين الايرانيين بطريقة تثير الضحك وكأنهم اكتشفوا الثقوب السوداء.
جميع المصادر القديمة ومن ضمنها المصادر العثمانية، ذكرت ان الاسرة الصفوية من اهل البيت من نسل الامام علي وفاطمة الزهراء.
هذه معلومة معروفة ومشهورة في جميع المصادر القديمة منذ عصر السلاجقة.
ولقد وضع الحكام الصفوي نسب اهل البيت في العملات.
هؤلاء القوميون الايرانيون المتعصبون لا يفرقون ما بين طبيعة الدولة وبين حال الشخص في البيت.
الدولة الصفوية هي ذات طبيعة تركية.
عاشت الأسرة الصفوية بين قبائل التركمان.
وشكل التركمان العنصر الأساسي في الجيش الصفوي.
وكانت اللغة التركية شائعة الاستخدام.
وكانت العقيدة العلوية الصوفية التركية منتشرة.
وكانت تنظيمات الدولة الصفوية مشتقة من التنظيمات التركية.
وغير ذلك من المعطيات التاريخية ...

حتى المؤرخ شرف خان البدليسي في كتاب "شرف نامه" لم يذكر شيئا عن الدولة الصفوية وكان يصف الدولة الصفوية باسم دولة القزلباش لأنه كان معلوما لدى الجميع حينها بأن الدولة الصفوية هي دولة تركية لسلالة علوية.

الدولة القاراخانية

أولاً: يبدو من سياق المصادر التاريخية في العصور الوسطى أن أصل القراخانيين يعود إلى قبائل القارلوق، وأن لهم صلة باتحاد يابغو-كارلوق، إلا أن المصادر التاريخية متناقضة. فبعض المصادر تذكر أصل قبائل ياغما، وبعضها الآخر يذكر أصل قبائل القرلوق.

ووفقًا لكتاب "حدود العالم"، سيطرت قبائل إليغما على معظم الأراضي الواقعة جنوب حوض تاريم، وتوسعت في أراضي قبائل تركية أخرى.
لذلك، لم يحدد بعض المؤرخين القدماء، كابن خلدون، أصل القبيلة التركية التي انحدر منها ملوك دولة القراخانات.
حتى أن الأمير القراخاني محمود الكاشغري لم يحدد أصل القبيلة التركية لسلالة القراخانيين، بينما هو من ذكر أصل قبيلة السلاجقة الحاكمة.
في رأيي، ربما يعود ذلك إلى أن سلالة القراخانيين تنحدر من مجموعة قبائل تركية، استقر معظمها في آسيا الوسطى واختلطت مع بعضها البعض منذ عهد غوكتورك من قبل قبائل كارلوك وياغما وجكل وتخسي وغيرهم.
بل إن المصادر التاريخية القديمة تذكر اختلاط القبائل التركية في آسيا الوسطى.
هذا الاستقرار ليس جديدًا على الأتراك، فقد ذكر الرحالة الصيني الذي زار غوكتورك الغربية في القرن السابع الميلادي أن الأتراك استقروا ويمارسون الزراعة على نهر تشو.
بالطبع، تعود الهجرات التركية إلى بلاد ما وراء النهر على الأقل إلى عصر شيونغنو، مرورًا بعصر الهون وصولًا إلى عصر غوكتورك، كما ورد في السجلات الصينية القديمة والمصادر التاريخية في العصور الوسطى.
بالطبع، لا تُرضي هذه الحقائق التاريخية المتطرفين الآريين الذين يُصرّون على أن الأتراك هبطوا عبر المركبات الفضائية إلى بلاد ما وراء النهر بعد توسع إمبراطورية جنكيز خان.
للأسف، روّج المؤدلجون الإسلاميون في تركيا لأكذوبة الفتح العربي الناعم لبلاد ما وراء النهر خلال فترة الصحوة الإسلامية، وبعد أن دحض المؤرخون ادعاءاتهم وأوضحوا أن الفتوحات العربية كانت شديدة العنف، مثل توسعات جنكيز خان، تحول الإسلاميون إلى تبني أطروحة المتطرفين الآريين القائلة بأن الفتوحات العربية كانت موجهة ضد الإيرانيين فقط وليس ضد الأتراك، وكأن هذا التبرير من شأنه أن يخفف من بشاعة ما

حدث، وكان من المفترض أن يعتذر الإسلاميون المؤدلجون للجمهور عن أكاذيبهم السابقة وتزييفهم للتاريخ.
في حين أن المصادر التاريخية في العصور الوسطى تعتبر بلاد ما وراء النهر جزءًا من تركستان الكبرى، ذكر الكاشغري أن بعض مدن بلاد ما وراء النهر تركية بحتة، وبعضها قائم على ثنائية عرقية ولغوية.
لذلك، ليس من المستغرب أن يتفق المتطرفون الآريون والإسلاميون المؤدلجون على نفس الأفكار المعادية للأتراك.
ثانيًا: كانت معركة طلاس مجرد معركة حدودية صغيرة وغير مؤثرة، ولم تذكرها المصادر التاريخية الإسلامية كالطبري وابن مسكويه وغيرهما. ولقد وقعت نتيجة استنجاد الأتراك والصغديين بإمبراطور تانغ الصيني، ووقعت الاشتباكات مع الجيش العباسي في طلاس، وانتهت بانتصار الجيش العباسي بعد أن انحاز جنود القارلوق إلى الجيش العباسي.
لم ينتهِ نفوذ إمبراطورية تانغ الصينية في الأراضي الغربية لآسيا الوسطى، بل استمر الأتراك والصغديون في مبايعة إمبراطور الصين.
ولقد حدث التحول الجذري بعد ثورة آن لوشان (755-765)، التي أدت إلى دمار كبير داخل الصين وخسارة دائمة للمناطق الغربية من آسيا الوسطى.
لا أدري لماذا يتجاهل بعض المؤرخين الأتراك هذا الحدث المحوري في العصور الوسطى.
بالطبع، ساهم هذا الحدث في زيادة القوة الخارجية لمملكة التبت ومكّنها من التوسع خارجيًا، كما ساهم في استقلال الدويلات التركية الصغيرة في آسيا الوسطى.
ومن المفارقات التاريخية أن خاقانات الأويغور لعبت دورًا رئيسيًا في تقديم المساعدة العسكرية لسلالة تانغ للقضاء على آن لوشان مقابل دفع الجزية الصينية لخاقانات الأويغور والحصول على مجموعة من الامتيازات.

ثالثًا: لا يمكن المرور عبر الدولة السامانية بسرعة. بغض النظر عن أصل الدولة السامانية، وما ذكره بعض المؤرخين القدماء كرشيد الدين الهمداني من أنهم من أصول أوغوز تركمانية، فإنني أقبل ما هو شائع بين معظم الأوساط العلمية حول الأصل الإيراني، ولكن عند الحديث عن طبيعة الدولة السامانية، فسوف نجد أن النفوذ التركي كان كبيرًا جدًا في الدولة السامانية، وقد استعان السامانيون بأتراك آسيا الوسطى في الجيش ومواقع الدولة، حيث كان معظم قادة وجنود الجيش الساماني من الأتراك، وكان معظم

ولاة الاقاليم من الامراء الأتراك.
لذلك ذكر المؤرخ ابن مسكويه أن الدولة السامانية كانت ذات نفوذ من أغلبية تركية.
تشير المصادر التاريخية إلى أن اعتناق الأتراك للإسلام في آسيا الوسطى حدث تدريجيًا وبطيئًا، وليس لدينا تاريخ دقيق عن بداياته الحقيقية، ولكن ربما بدأ مبكرًا منذ القرن الثامن الميلادي مع العصر الساماني وبلغ ذروته في العصر القراخاني، حيث حدث اعتناق جماعي كبير لأتراك آسيا الوسطى.
لكن معظم الأتراك في أوراسيا ظلوا على غير مسلمين حتى عصر جنكيز خان.
حاول القراخانيون نشر الإسلام بين الأتراك عبر القوة العسكرية، حتى نصّ الاتفاق بين الخان القاراخاني والسلطان الغزنوي على أن يُكمل القراخانيون فتوحاتهم ضد الأتراك غير المسلمين وبينما يواصل الغزنويين فتوحاتهم في الهند.
ينبغي أن نذكر تاريخ القراخانيين بموضوعية، سواء لصالحهم أو ضدهم، حتى تتجنب الشعوب التركية مستقبلًا هذه السلبيات. وعلى الرغم من تسامح القراخانيين مع الكنيسة النسطورية، إلا أنهم كانوا إقصائيين تجاه البوذيين، حيث ذكر محمود الكاشغري أنهم دمروا معابد الأويغور.
قد نجد مبررًا سياسيًا في سياق العصور القديمة، إذ حاول القراخانيون توحيد الأتراك سياسيًا بفرض الدين عليهم، لكن هذا لا يكفي ولا يبرر التعصب.

خامسًا: لعب القراخانيون دورًا محوريًا في تجارة طريق الحرير البري، وقد خلصت الدراسات التاريخية المعاصرة إلى عدم صحة فرضية انهيار طريق الحرير البري بعد سقوط سلالة تانغ وعودتها للعمل في إمبراطورية جنكيز خان.
أثبتت الدراسات التاريخية في السجلات الصينية أن سلالة القراخانيين أرسلت عشرات البعثات التجارية المنتظمة إلى سلالة سونغ الصينية على مدار ما يزيد عن قرن ونصف تقريبًا، بدءًا من القرن العاشر الميلادي. بل يُذكر أن بعض البعثات التجارية القراخانية كانت بقيادة إمراة تاجرة تركية وقد تفاوضت التاجرة القراخانية مع إمبراطور سونغ والمسؤولين الصينيين في البلاط الصيني.
حتى عندما هددت هجمات التانغوت طريق الحرير البري من منطقة قانسو، اختار القراخانيون طريقًا بريًا آخر عبر أراضي مملكة التبت.
للأسف، لا تُناقش مسألة العلاقات التاريخية بين الأتراك والتبت كثيرًا.

سادسًا: أسس القراخانيون حضارة تركية جديدة في آسيا الوسطى. وشيدوا مدنًا جديدة، ودعموا التجارة، وبنوا مدارس للتعليم، وظهر في عصرهم أسلوب معماري جديد، إلخ. لذلك، لا تزال أبرز الآثار الإسلامية في بلاد ما وراء النهر وآسيا الوسطى قبل عهد جنكيزخان تعود إلى العصر القراخاني.
ولقد ساهموا في إرساء أسس الثقافة الإسلامية التركية، حيث ترجموا القرآن الكريم إلى اللغة التركية، وظهرت أولى الحركات الصوفية المتأثرة بالثقافة التركية في عصرهم. كما ظهرت أولى كتب الأدب التركي المتأثرة بالثقافة الإسلامية، وما إلى ذلك.

ومن سياساتهم التي ذكرتها كتب التاريخ أن القراخانيين أجبروا بعض قبائل القارلوق البدوية على الاستقرار في الريف وممارسة الزراعة.

سابعًا: استمر حكم القراخانيين أربعة قرون على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: حوالي 250 عامًا، وكانت مستقلة تمامًا.
المرحلة الثانية: حوالي 50 عامًا، وخلالها كان جزؤها الشرقي مستقلًا تمامًا، بينما كان جزؤها الغربي تابعًا للدولة السلجوقية.
المرحلة الثالثة: واستمرت حوالي 70 عامًا، وخضعت خلالها لدولة القراخطائية.

ورغم أن المؤرخين القدماء يعتبرون أن الدولة القراخانية سقطت بعد هجوم القراخطائية الذين تحالفوا مع قبائل القارلوق عام 1141، إلا أن أمراء السلالات القاراخانية استمروا في حكم المراكز الرئيسية لآسيا الوسطى على نفس نمط الدولة القاراخانية. ولذلك يرى المؤرخون المعاصرون أن الدولة القراخانية سقطت سنة 1212م بعد أن أطاح دولة الخوارزمشاه بحكام القاراخانية في عواصمهم الرئيسية في آسيا الوسطى.

موقع عاصمة الدولة القاراخانية

الشائع في الوسط التاريخي ان منطقة بورانا في قرغيزستان هي تضم مدينة بالاساغون القديمة المذكورة في المصادر التاريخية الوسيطة بكونها العاصمة القاراخانية ولكن هل توفرت ادلة اثرية قطعية حسمت ذلك.

لان بعض علماء الاثار طرح فرضية ان مستوطنة أكتوبي القديمة في جنوب كازاخستان هي نفسها مدينة بالاساغون وذلك بعد دراستها اثريا والتوصل الى انها كانت مدينة مزدهرة خلال العصور الوسطى وتتمتع ببنية تحتية معقدة وماهولة بالسكان وهي ايضا تقع في اقليم تشو وبالقرب من مدينة سوياب القديمة.

وربما ان مدينة اكتوبي القديمة كانت تحتوي على قصر لاحد امراء غوكترك الغربية.

عموما هذه الاكتشافات الاثرية المهمة تدل على اتساع النشاط العمراني في اقليم نهر تشو الزراعي خلال العصور الوسطى.

وحقيقة الامر انه قد حدث ازدهار عمراني كبير خلال عصر الدولة القاراخانية.

وتذكر المصادر التاريخية القديمة ان القاراخانيين كانوا اغنياء ويمتلكون تجارة واسعة مع ممالك سونغ والخيطان والتبت والويغور والقرغيز وبلغار الفولغا وصولا الى الروس والفايكنج.

ولقد فندت الدراسات التاريخية الحديثة فرضية ان تجارة طريق الحرير البري قد انهار بعد سقوط سلالة تانغ وعاد للازدهار مرة اخرى في عصر الامبراطورية المغولية.

ويشكل ثراء القاراخانيين الكبير هو السبب الاساسي لانتصارهم على السامانيين ولذلك فضل دهاقنة بلاد ما وراء النهر الانضمام الى القاراخانيين.

المؤسس والألقاب السياسية في الدولة القاراخانية

الحاكم الاول للسلالة القاراخانية هو بيلك خان من عام 840م تقريبا وكان يحكم مناطق اسفيجاب وجيتيسو.

واما الحاكم الاول المسلم للسلالة القاراخانية هو ستوق بغراخان الذي اعتنق الاسلام عام 932م.

ولقد تلقب حكام السلالة القاراخانية بعدة القاب ومنها:

اللقب الأول هو" قراخان" ولقد ارتبط هذا اللقب بالسلالة.

ثم تطور هذا اللقب فيما بعد، وأصبحوا يلقّبون بلقب الخاقان.

أما اللقب الثاني فهو "ايلك خان".

أما اللقب الثالث الذي اتخذوه هو لقب آل فراسياب نسبة الى سلالة اسطورية في الملاحم الايرانية مرتبطة بالاتراك والطورانيين وهي أفراسياب.

وايضا استخدموا لقب ملك الشرق والصين ولقب سلطان المشرق والصين ولقب ملك تفغاج وهو اسم تركي يشير الى الصين وله جذور تاريخية.

ولقد استخدموا هذا اللقب بعد نجاح فتوحاتهم في المناطق الشرقية.

مملكة البلغار

تعتبر مملكة البلغار هي الوريث المباشر لامبراطورية الهون الاوربية من خلال اتحاد أونوغورس القبلي.
أسس شعب البلغار مع كوبرات خان من قبيلة دولو مملكة بلغاريا العظمى في سهوب البونتيك والتي ضمتها مملكة الخزر لاحقا.
انقسم البلغار بعد ذلك الى اربعة اقسام حيث هاجر أسباروخ خان الى جنوب شرق اوربا واسس مملكة بلغار الدانوب.
وهنالك معلومة تاريخية مؤكدة ومثيرة للاهتمام ان القائد البلغاري ألكيك ابن كوبرات قد هاجر مع مجموعته الى مملكة لومبارد في ايطاليا واستقروا في جنوب ايطاليا.
تمكن بلغار الدانوب من تأسيس الامبراطورية البلغارية الاولى في الدانوب وهزموا الامبراطورية البيزنطية في عدة معارك فاصلة، وبحيث مرت بثلاثة مراحل في المرحلة الاولى: سلالة أسباروخ من قبيلة دولو من 680–803 م مع وجود فترة قصيرة لبعض الحكام من قبيلة بلغارية اخرى وهي فوكيل.
وفي المرحلة الثانية: سلالة كروم من قبيلة دولو وهي تمثل الفترة الذهبية في التوسعات العسكرية والانجازات العمرانية والثقافية وغيرها.
وأما في المرحلة الثالثة وهي سلالة كوميتوبولي وهي تنحدر من قائد عسكري من اصول ارمنية وحكمت لفترة زمنية قصيرة حيث رافق حكمهم حملة الإمبراطورية البيزنطية العسكرية على بلغاريا (968–1018) مما أدى إلى سقوط الإمبراطورية البلغارية الأولى.
وأما الإمبراطورية البلغارية الثانية (1185–1422) هي تمثل مرحلة ثانية مختلفة عن الاولى ويرجح بعض المؤرخين ان بعض السلالات في الفترة الثانية من اصل الكومان مثل سلالة آسين.
لقد تمكنت بلغار الدانوب من تحقيق تحالف سياسي وعسكري مع اتحاد القبائل السلافية السبعة التي هاجرت الى الدانوب خلال القرن السابع الميلادي وحقق هذا التحالف نجاحات عسكرية ضد البيزنطيين.
والجدير بالذكر ان منطقة جنوب الدانوب كانت تسكنها الشعوب التراقية مع بعض اليونانيين.

ولقد حدثت عدة تحولات تدريجية لشعب البلغار في الدانوب حيث انتقلوا الى ممارسة الزراعة والاستقرار في المدن وكانت مدينة بليسكا هي عاصمتهم الاولى وبعد اعتناقهم للمسيحية استحدثوا مدن اخرى جديدة.
وحتى ان الملك البلغاري أمورتاج (814-831) اشتهر بلقب البناء حيث تميز عهده بتطور قوي في الهندسة المعمارية البلغارية مع عدد من مشاريع البناء الهامة.
وبعد اعتماد مملكة بلغار الدانوب للمسيحية في عام 864 جرى فرض المسيحية كديانة رسمية والغاء الاديان السابقة، وأصبحت مملكة بلغاريا هي المركز الثقافي لأوروبا السلافية حيث تم اعتماد الأبجدية الجلاجوليتية واختراع الأبجدية السيريلية المبكرة بعد فترة وجيزة في العاصمة بريسلاف، وسرعان ما بدأ ظهور الأدب المنتج باللغة السلافية الكنسية القديمة في الانتشار شمالًا وأصبحت لغة مشتركة في البلقان وأوروبا الشرقية.
ولقد لعبت الامبراطورية البيزنطية دورا اساسيا في محاولتها نشر المسيحية بين البلغار والسلافيين وذلك عبر ارسال المبشرين وتحويل اللغات المحلية في تراقيا الى لغات مكتوبة وبناء كنائس محلية ولقد كان للبيزنطيين تاثير ثقافي ديني كبير على مملكة بلغار الدانوب بعد تحولها الى المسيحية.
يمكن اعتبار ظهور الطائفة البوغوميلية في عهد القيصر بطرس الأول في القرن العاشر هو ابرز حدث حيث تاسست طائفة مسيحية غنوصية ترفض التسلسل الهرمي الكنسي ولم يستخدموا الصليب المسيحي ولم يبنوا الكنائس حيث كانوا كانوا يقدسون شكلهم الموهوب ويعتبرون جسدهم هو الهيكل.
ولقد تعرضت الطائفة البوغوميلية لإجراءات قمع شديدة ومع ذلك حققوا الانتشار وتمكنوا من الاستمرار الى القرن الرابع العشر الميلادي.
وأما بالنسبة للمؤثرات التركية الخاصة ببلغار الدانوب فهي كانت موجودة في نواحي كثيرة سواء في الديانة التنغرية او اللغة او الاسماء او الالقاب او النظام السياسي او النظام العسكري او الاشكال الفنية الظاهرة في العمارة وغيرها.
طبعا هنالك بلغار الفولغا التي تعود الى المؤسس Kotrag وكانت تابعة لمملكة الخزر ثم استقلت واعتمدت الاسلام في القرن العاشر الميلادي وتمكنت من تحقيق الاستقلال السياسي بالكامل وبناء مملكة قوية في منطقة جنوب الفولغا حيث اشتهرت في العصور الوسطى بتجارة الفراء.

هنالك كتاب تاريخي مثير للاهتمام وهو تاريخ جغفر "The Cäğfär Taríxı" يعتبره معظم العلماء على أنه عمل ملفق ولكن يحتوي على مواد تاريخية مبكرة عن البلغار والخزر والمجريين وغيرهم من البدو الأوراسيين ويتناول هذا الكتاب تواريخ ممالك بلغار الدانوب وبلغار الفولغا.

شعب البجناك

لقد لعب شعب البجناك دورًا رئيسيًا في تاريخ الأتراك والقارة الأوروبية خلال العصور الوسطى، وكانوا قوة عسكرية شرسة أرعبت خصومهم.
تخيل أن اتحاد قبائل البجناك قد فقدوا ثلثي قوتهم العسكرية، حيث انضم الثلث الأول إلى الأوغوز، والثلث الثاني إلى الخزر، والثلث الثالث تمكن من الهجرة إلى عمق أراضي أوروبا الشرقية.
ومع ذلك، تمكّن البجناك من إقامة دولة عسكرية قوية أرعبت الدول المجاورة لما يقارب ثلاثة قرون، من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر الميلادي.

يحيط الغموض بطبيعة دولة اتحاد البجناك.

هل كانت إمبراطورية بدوية؟ هذا الاحتمال مستبعد، لأن البجناك لم يسعوا إلى ضم أراضي الدول المجاورة، في ظل غياب مركز ثابت لهم.
هل كانت دولة البجناك دولة اتحاد قبلي عسكري؟
هل كانت دولة البجناك دولة إقطاعية؟

وقد وصل الغموض حتى إلى تصنيف نوع لغة البجناك التركية، إذ يصنفها محمود الكاشغري بأنها تُشبه لغة الفولغا البلغارية وليست لغة تركية قياسية، في حين أن هناك مصادر قديمة أخرى وصفت لغة البجناك بأنها تُشبه لغة الكومان.

في رأيي، يعود هذا الاختلاف إلى أن البجناك هاجروا أولاً إلى أراضي الفولغا واختلطوا بالبلغار والخزر، ولذلك تحدثوا اللغة التركية البلغارية، بينما حافظت مجموعات أخرى من البجناك على اللغة التركية القياسية التي كانوا يتحدثونها سابقًا في آسيا الوسطى، وهي قريبة من لغات الأوغوز والكومان وغيرهم.

كما ذكر بعض المؤرخين القدماء، كالمسعودي، أن شعب البجناك كانوا أحرارًا ولم يدفعوا الجزية لملكهم، مما يعني أنهم حافظوا على نقاء ثقافة السهوب كما كانت قبل عصر شيونغنو.

بالطبع، لابد لدولة البيجناك من توفر موارد اقتصادية أخرى، تتمثل في تحصيل الضرائب من الشعوب الأخرى الخاضعة لهم أو من الدول الأخرى أو من غنائم الحرب أو التجارة وما شابه.

لعب البيجناك دورًا هامًا في تاريخ مملكة المجر، حيث سمح الملك ستيفن الأول لمجموعات كبيرة من قبائل البيجناك بدخول مملكة المجر واستقروا في عشرات المستوطنات في أراضيها، من مدن وقرى وقلاع وحاميات عسكرية، ثم اعتنقوا المسيحية لاحقًا.
شكل البيجناك قائمة من القبائل والعشائر والعائلات في مملكة المجر التي تمتعت بالنبل والنفوذ والسلطة.

كما تمتع البيجناك بعلاقات مضطربة مع الإمبراطورية البيزنطية، تراوحت بين التجارة والحرب والمشاركة العسكرية في الجيش البيزنطي، وانتقلت مجموعات كبيرة منهم إلى أراضي الدانوب واستقرت في مدنها وقراها.

تمكّن البجناك من السيطرة على حركة التجارة في أوروبا الشرقية، كما ذكرت المصادر التاريخية القديمة، ولذلك اشتهروا بثروتهم، بل واستمرت شهرتهم بالثراء في الأساطير المجرية.

أما بالنسبة للأدلة الأثرية، فمن المستحيل لدولة دامت قرابة ثلاثة قرون، وغطت مساحة واسعة، وساهمت في أحداث كثيرة، ألا تحتوي على آثار كثيرة. ربما يعود ذلك إلى سوء تصنيف الآثار المكتشفة أو إلى نقص الدراسات الأثرية عن فترة البجناك.

بلغار الفولغا

تُعتبر مملكة فولغا بلغار الوريثة التاريخية لإمبراطورية الخزر، إذ ورثت من الخزر أنظمتها السياسية والعسكرية والثقافية والتجارية وغيرها، حتى أن أولى عملات فولغا بولغار كانت مشابهة لعملات الخزر، ثم طور البلغار لاحقًا عملاتهم الخاصة.

اشتهرت مملكة فولغا بولغار بتجارة الفراء عبر أوراسيا، وصولًا إلى شمال أوروبا وآسيا الوسطى والشرق الأوسط.

تُشير الدراسات الأثرية في أراضي مملكة فولغا بولغار إلى أنه منذ القرن العاشر الميلادي، قد شهدت توسعًا في البناء العمراني، شمل ذلك بناء مدن جديدة، وتوسيع المدن والبلدات السابقة، وأعمالًا عمرانية أخرى.

ولقد وصفت السجلات الروسية مدينة بيلار بأنها مدينة عظيمة نظرًا لمساحتها الكبيرة وعدد سكانها الكبير.

أما بالنسبة للكومان خلال تلك الفترة، فنجد أن محمود الكاشغري تحدث عن مدينة سقسين القبجاكية، الواقعة في دلتا الفولغا قرب بحر قزوين، وتتفق جميع المصادر القديمة على وصف سقسين بأنها مدينة سكنها الكومانيون.

كما تذكر المصادر التاريخية القديمة مدينة سوداك في شبه جزيرة القرم، ومدينة سيغناك في آسيا الوسطى، كمركزين لخانية القبجاك.

في العصور الوسطى، نشأت عدة ممالك مرتبطة بالقباجك، مثل سلطنة المماليك في مصر، وسلطنة المماليك في دلهي، وبعض السلالات في نهر الدانوب، والدولة الإلديغوزية، وغيرها.

الجدل حول أصل الهفتاليين

النظرية التاريخية الأكثر شيوعًا في الأوساط الأكاديمية هي أن الهفتاليين، أو الهون البيض، من أصل تركي مرتبط بشعب شيونغنو.

أقدم المصادر التاريخية المعروفة عن الهفتاليين هي سجلات ويشو في شمال وي، وكما ورد في كتاب تونغديان اللاحق، الذي ينص على أن الهفتاليين ينحدرون من شعب تييلي، وأنهم هاجروا جنوبًا من منطقة ألتاي حوالي عام 360 ميلاديًا:
"الهفتاليون فرع من شعب غاوتشي (高車، "العربات العالية")".

تشير السجلات الصينية القديمة إلى أن شعب تييلي ينحدر من شعب شيونغنو، وأن لغتهم هي نفسها لغة شيونغنو: "لغتهم، باختصار، هي نفس لغة شيونغنو".

كما تشير السجلات الصينية المتأخرة إلى أن الغوكترك والهفتاليين ينحدرون من أصول مشتركة، وأن لديهم عادات وتقاليد متشابهة.

في المصادر الفارسية والعربية، يُؤكد أن الهفتاليون أتراك، وأن قبائل الخلج التركية من نسل الهفتاليين.

كان الهفتاليون تابعين لخاقانية روران حتى بداية القرن الخامس الميلادي، وبعد ذلك تمكن الهفتاليون من تحقيق استقلالهم التام وتأسيس إمبراطورية شاسعة امتدت إلى شرق إيران وشمال الهند.

لم تذكر السجلات الصينية القديمة أي أصول مشتركة للهفتاليين مع دونغهو أو شيانبي.

أما بالنسبة لخاقانية الآفار، فهناك نظريات مختلفة عنها في المصادر الحديثة، ومن المؤكد أنهم هاجروا من السهوب الشرقية واندمجوا مع الهون وقبائل البرسيليين والأونوغور والصابريين. وتشير الدراسات اللغوية التي أجريت على النقوش التي تعود إلى العصر الآفاري إلى أنها مكتوبة بلغة تركية، وفقًا للرأي السائد عند معظم العلماء.

الثقب الأسود

توجد فعليا بعض الجوانب الغامضة في تاريخ الترك العام وخاصة قبل عصر غوكترك ولم يتم حلها بشكل قاطع.

وهذا يتطلب إجراء بحوث عميقة ودراسات علمية جدية لحل إشكالياتها.

وعلى الرغم ان السجلات التاريخية الصينية القديمة تقدم تسلسل مباشر لاسلاف الاتراك المباشرين من حيث النسب واللغة والثقافة الى شيونغنو.

وايضا تقدم الأسلاف المباشرين لليوغور والقرغيز واشينا وغيرهم.

ولكن للاسف غياب مصادر تاريخية داخلية او نقوش لغوية اصلية قد ادى الى فتح ابواب التكهنات من المؤرخين والهواة في وضع الفرضيات المتعارضة.

من بعض الجوانب الغامضة في تاريخ الاتراك العام ما يتعلق بانقسام اللغات التركية الى الليرية والشازية مع فروع اللغة الاوغرية واللغات التركية الاخرى فمتى حدث ذلك وكيف حدث.

ايضا حول علاقة اسلاف شيونغنو المذكورين في السجلات التاريخية الصينية القديمة مثل شيانيون و جيفانغ وبيدي وشيونيو وغيرهم، وكيفية ربط ذلك مع الثقافات القديمة المكتشفة في سهوب منغوليا وسيبيريا مثل بيايزريك وتاجار وارزان واردوس واحجار الغزلان وغيرها.

ربما في حالة شعب بيدي سوف نجد في السجلات التاريخية الصينية القديمة نصوص حول علاقتهم مع دولتي تشونغشان وداي.

وما هي الهوية اللغوية المشتركية لدى اتحاد طبغاش في مملكة وي الشمالية.

ما هو وضع القبائل التركية في السهوب الشرقية بعد تراجع خاقانية القرغيز وتوسعات مملكة الخيطان حتى قيام الامبراطورية الجينكزية وخاصة ان الهمداني في كتابه التاريخي تعامل مع قبائل الترك والمغول كشئ واحد ومتماثل ولم يقدم تحليلات تاريخية مقارنة اكثر عمقا.

وكما نعلم ان اللغوي محمود الكاشغري ألف كتابه بين عامي 1072–1074 ولقد ذكر لغة التتار التركية في سهوب أوتكين ونقل منها مفردات كثيرة.

ومهما كانت درجة الغموض فإن القراءة الوافية والموضوعية للمصادر التاريخية القديمة سوف تؤدي إلى معرفة دقيقة واسعة ، وبينما القراءة الناقصة والمتحيزة للمصادر التاريخية القديمة تؤدي إلى الجهل والتخلف.

في هذا المصدر التاريخي الصيني عن شعب تييلي، يذكر تفاصيل تاريخية بالغة الأهمية:

"يُرجّح أن شعب غاوتشي هم من بقايا شعب ريد دي القديم. كانوا يُطلق عليهم في البداية اسم ديلي. يُطلق عليهم الشماليون اسم تشيلي، بينما يُطلق عليهم الصينيون اسم غاوتشي دينغلنغ. لغتهم، باختصار، هي نفسها لغة شيونغنو، مع وجود اختلافات طفيفة أحيانًا. أو يُمكن القول إن غاوتشي هم الأقارب الأصغر لشعب شيونغنو في العصور السابقة."

يغطي تحليل هذا النص فترة تاريخية طويلة تمتد لأكثر من ألف وخمسمائة عام.

أولاً: يرتبط شعب تييلي بشعب بيدي، الذي تعود جذوره إلى حوالي ألف عام قبل الميلاد، والذي سكن منطقة أوردوس وشمال الصين وأسس مملكتي تشونغشان وداي.

ثانياً: يربط شعب تييلي بدينغلينغ، وهو اتحاد قبلي كبير في السهوب الشرقية، لعب أدوارًا مؤثرة في عصر شيونغنو والممالك الست عشرة، وحارب اتحاد شيانبي.

ثالثاً: ينص النص صراحةً على أن لغة تييلي هي نفسها شيونغنو، ولكن هناك اختلافات طفيفة في اللهجة، مما يدل على تنوع اللهجات التركية منذ فترة مبكرة، أي منذ أكثر من ألفي عام.

رابعاً: هذه نقطة مهمة يغفل عنها الكثيرون للأسف.

يذكر المصدر الصيني أن شعب تييلي أقرباء ثانويون للهيونغو، مما يعني أنهم ينتمون إلى مجموعة تركية أكبر تعود جذورها إلى العصر الحجري، والتي تنحدر منها فروع عديدة.

تقليد سياسي مستمر منذ شيونغنو

يبدو أن اختفاء مودو تشانيو، مؤسس إمبراطورية شيونغنو، الذي كان غريبًا عن الحياة السياسية، قد أرسى أسس تقليد سياسي دام أكثر من ألفي عام في الدول التركية.

تذكر كتب التراث القروسطية أن الأتراك لم يقبلوا أن يستمر الحاكم في الحكم طويلًا، وأن مدة حكمه لم تتجاوز أربعين عامًا.

وحتى كتب التاريخ تذكر وجود تقليد سياسي في إمبراطورية الخزر، وهو أن الحاكم لن يستمر في الحكم لأكثر من أربعين عامًا، وأنه إذا رفض التنازل عن العرش، فإنهم سيعزلونه أو يقتلونه.

نجد أدلة كثيرة في التاريخ التركي العام على هذا التقليد السياسي، مثل:
تنازل السلطان السلجوقي قلج أرسلان الثاني، بعد فترة حكم طويلة، عن الحكم لأبنائه.
تذكر بعض المصادر التاريخية أن مؤسس الدولة العثمانية، عثمان أرطغرل، تنازل عن الحكم لابنه أورهان.

هذه التقاليد السياسية التركية القديمة، المتعلقة باختيار الحكام كالخاقان والخان وغيرهما، والمجالس الاستشارية، وتحديد فترة حكم محددة على نحوٍ متعارف عليه، والتنازل الطوعي عن السلطة، أرست الأسس التي مهدت الطريق لقيام الجمهوريات في الدول التركية.

امبراطورية الخزر

بعد انهيار إمبراطورية غوكتورك في ثلاثينيات القرن السابع الميلادي، نتيجةً لمجموعة من العوامل المتداخلة كالجفاف الشديد والصراع الداخلي على الحكم والحرب مع إمبراطورية تانغ، انقسمت إمبراطورية سلالة أشينا إلى عدة ممالك كبيرة ودويلات صغيرة، مثل مملكة ترك شاهي في جنوب آسيا، التي لم تُدرس بشكل كافٍ، ومملكة تورغش في آسيا الوسطى، واتحادات توغوز-أوغوز، وأوغوز، وكارلوك، وغيرها.

تشكّل شعب الخزر التركي نتيجة اندماج قبائل الهون في أوروبا الشرقية والقوقاز مع غوكتورك.

سبق أن تم تفنيد المغالطة الزائفة حول مزاعم الطبيعة البدوية البحتة لممالك السهوب، وتم التوضيح أنها دول معقدة وشبه بدوية تضم مراكز حضرية، وتعمل بتحالفات ومعاهدات وزيجات سياسية مع ممالك أخرى، وتمارس التجارة وتستخدم الكتابة بلغتها الأصلية أو بلغات الآخرين وما إلى ذلك، وهنالك بحوث للعالم بيتر غولدن يُفند فيها هذه المغالطات ويشرح الطبيعة المعقدة لدول السهوب.

خريطة حدود إمبراطورية الخزر غير دقيقة إلى حد ما، إذ وصل حكم الخزر إلى الشمال في راديميتش ونوفغورود، وكان سكان هذه المناطق ومحيطها يدفعون الجزية للخزر.

استطاعت إمبراطورية الخزر تحقيق السلام في هذه الأراضي حتى عُرف طريق التجارة المار عبر السهوب الغربية وأوروبا الشرقية في العصور القديمة باسم طريق الخزر، ولذلك اتفق المجتمع العلمي تمامًا على قبول المفهوم التاريخي لـ"سلام الخزر" الذي يغطي فترة تاريخية مهمة في تاريخ البشرية. ذكر المؤرخ الروسي ميخائيل أرتامونوف، رائد الدراسات الخزرية الحديثة ومكتشف مدينة ساركيل الحصينة، أن الخزر كان لهم تأثيرٌ بالغٌ على تطور شعوب روسيا في أوائل العصور الوسطى.

حتى التطور العمراني الذي شهدته إمبراطورية الخزر أثار دهشة بعض المؤرخين الفرس في العصور الوسطى، ودفعهم إلى طرح فرضيةٍ تاريخيةٍ خاطئة، وهي أن الأباطرة الساسانيين في العصور القديمة هم من بنوا مدن الخزر في السهوب الغربية.

أما ملامح الخزر، فقد ذكرت المصادر العربية والفارسية الوسيطة أن الخزر خليطٌ عرقيٌّ، وأنهم يتمتعون بملامح شرق آسيوية واضحة، حتى أن القواميس العربية ذكرت أن مصطلح "عيون الخزر" يشير إلى العيون الصغيرة.

لعبت إمبراطورية الخزر دورًا كدولةٍ عازلةٍ منعت توسع الإمبراطورية الإسلامية إلى القوقاز وشرق أوروبا.

وبالطبع، فإن واقعة اعتناق الخزر لليهودية مثبتةٌ بأدلةٍ قاطعةٍ في الآثار التاريخية والمصادر التاريخية الوسيطة. أميل إلى الاعتقاد بوجود عدة عوامل، أولها محاولة خلق هوية دينية خاصة بإمبراطورية الخزر، والعامل الثاني هو التجربة المريرة للخزر مع الإمبراطورية العربية نظرًا لتاريخ حروبهم الطويلة معها.
لقد دارت عدة حروب بين العرب والخزر، انتصر الخزر في معظمها، ولكن في حرب عام 737م بين الأمويين والخزر، التي قادها الأمير الأموي مروان الثاني، انتصر الأمويون ودخلوا مدينة أتيل. بعد انتصار الأمويين، فرض الأمير مروان الإسلام على الخزر بالقوة وخيّرهم بين الإسلام والسيف. ورغم النصر الذي حققه الأمويون، إلا أن مكاسبهم كانت محدودة وسيطرتهم على القوقاز ضعيفة.
ومن المؤكد أن هذه الحادثة شكّلت ذكرى سيئة لدى الخزر، وليس من الغريب أن اعتناقهم لليهودية حدث بعد هذه الحرب بسنوات قليلة، ربما بعد عام 740م. من المفارقات التاريخية أن قائد الحملة، مروان الثاني، كان آخر خلفاء بني أمية، إذ اندلعت الحرب الأهلية الإسلامية عام 744م وانهارت الدولة الأموية عام 750م.

استغل الخزر هذه الصراعات داخل الدولة الأموية ووسعوا رقعة توسعهم إلى جنوب القوقاز، وفرضوا سيطرتهم على داغستان الحالية، واستعادوا الأراضي التي فقدوها سابقًا.

لم تكن حادثة اعتناق الخزر لليهودية ظاهرة كما يحاول بعض الإسلاميين نشرها، بل كانت تحولًا شاملًا حدث تدريجيًا. اعتنقوا اليهودية الحاخامية، واستخدموا اللغة العبرية رسميًا، كما ذكرت المصادر الوسيطة، وكما أثبتته الآثار. وربما استخدم الخزر الحروف العبرية لكتابة اللغة التركية، كما أشارت بعض المصادر القديمة. تميزت إمبراطورية الخزر بتسامحها الشديد مع جميع الأديان، وعينت قاضيًا خاصًا لكل دين على حدة. هذا التسامح ليس غريباً على ثقافة السهوب، ونرى مثالاً مماثلاً في مملكة الأويغور التي كانت تضم كل الديانات مثل المانوية والبوذية والمسيحية النسطورية والإسلام والتنغرية وغيرهم. وقد جرت العادة على تسييس تاريخ الخزر بما يتوافق مع الصراعات السياسية المعاصرة في الشرق الأوسط، وذلك عند طرح قضية الخزر مع اليهودية ومناقشة فرضية الأصل الخزري، إلا أن علاقة الخزر بيهود أوروبا الشرقية وثيقة ومذكورة في المصادر التاريخية القديمة، وتدعمها الأدلة الأثرية واللغوية والأدبية، وقد أُضيفت إليها مؤخرًا دراسات جينية. لكن أكبر خطأ يقع فيه البعض هو محاولتهم ربط جميع يهود العالم بفرضية الأصل الخزري، وهذا غير صحيح، إذ إن ليهود أوروبا الغربية جذورًا مرتبطة بيهود الشتات في العصر الروماني.

أما التحالفات السياسية التي حاول الخزر عقدها من خلال المصاهرة مع دول أخرى، فلم تقتصر على البيزنطيين، إذ حاول الخزر عقد مصاهرات مع الخلفاء العباسيين، المنصور والرشيد، ولكن يبدو أنهم فشلوا. بالطبع، لم تنتهِ ذكرى إمبراطورية الخزر في الذاكرة الجماعية للشعوب التركية بعد سقوطها، إذ اعتبر السلاجقة أنهم يستمدون شرعيتهم التاريخية من الخزر، وظلت العديد من المصادر العربية والفارسية تربط السلاجقة بالخزر.

حتى أن بعض المؤرخين المعاصرين، ممن يحظى رأيهم باحترام كبير في الأوساط العلمية، أطلقوا على القبيلة الذهبية، التي تشكلت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، لقب "وريثة الخزر".

شعب الكومان

يُعدّ الكومان من أكثر الشعوب نفوذاً في سهوب أوراسيا خلال العصور الوسطى، وامتد نفوذهم إلى أراضي آسيا الوسطى والقوقاز وأوروبا، ثم إلى الشرق الأوسط وجنوب آسيا. نشأ الكومان كاتحاد لعشرات القبائل التركية المختلفة، ولم يتمحوروا حول عائلة ملكية محددة كما هو الحال مع الغوكترك والأويغور والخزر وغيرهم، بل كانوا مجموعة من العائلات الملكية تُسمى الخانات والأمراء.

امتدت المنطقة الجغرافية لاتحاد الكومان من نهر إرتيش شرقاً إلى نهر الدانوب غرباً، وضمّ قبائل القبجاق والكيماك والقون والبيتشنيغ وغيرها.

ولقد ذكر الجغرافي الإدريسي (توفي عام 1166) معلومات شيقة عن خانية كيماك الواقعة على نهر إرتيش، موضحًا أنها كانت تتألف من 16 مدينة محصنة، وكانت تمارس الزراعة وتربية النحل وغيرها، وكانت خاضعة لحكم الخاقان وسلالته. يتوافق ما ذكره الإدريسي جزئيًا مع المعلومات الواردة في كتاب "حدود العالم"، مع الأخذ في الاعتبار أن كتاب "حدود العالم" أقدم من ذلك، إذ يعود تاريخه إلى القرن العاشر الميلادي، وقد حدثت تطورات بعده خلال تلك الفترة. وهناك أدلة تاريخية تشير إلى دقة هذه المعلومات، منها خانية سيبيريا الواقعة شمال نهر إرتيش، والتي ضمت عدة مدن مثل تيومين وغيرها، بالإضافة إلى خانية زونغار التي كانت تضم بعض المدن في أراضي نهر إرتيش، وكانت تمارس الزراعة هناك، كما ورد في السجلات الروسية.

أثر الكومان على أوروبا الشرقية والوسطى، وبسبب شهرتهم في الشؤون العسكرية وفنون القتال، فقد استخدمهم بيزنطة وإمارات كييف روس والمجر وغيرها كقوات عسكرية. ساهم الكومان في تأسيس المملكة البلغارية الثانية وسلالة باساراب في والاشيا وغيرها. كانت علاقة الكومان بمملكة المجر وثيقة وعميقة الجذور، لدرجة أنهم استقروا بأعداد كبيرة في أراضي مملكة المجر، التي شملت أجزاء كبيرة من أوروبا الوسطى، وارتبطوا بالعائلة الحاكمة من خلال المصاهرة واعتنقوا المسيحية وكان لديهم كنائسهم الخاصة.

ولقد استمرت الهوية التركية للكومان في أوروبا الوسطى حتى القرنين السابع عشر والثامن عشر، ولا تزال العديد من العائلات والعشائر والمناطق تعترف بجذورها المرتبطة بالكومان.

كانت علاقات الكومان بمملكة جورجيا متميزة، لدرجة أن بعض الكومان استقروا في جنوب القوقاز واعتنقوا المسيحية. لذلك، عندما رأى السلاجقة نجاح التحالف الجورجي مع الكومان، سعوا للاستفادة منهم وتجنيدهم، حتى أن الكومان ساهموا في تأسيس دولة الأتابكة الأذربيجانية التابعة للسلاجقة. كانت العلاقة بين الكومان وإمارات كييف روس عبارة عن حرب متبادلة طويلة بين الطرفين، حيث تمكن الكومان من السيطرة على الأراضي الجنوبية في بلاد البنطس والقرم والفولغا، وتمكنوا من استعادة أراضي مملكة الخزر. كانت مدينة ساكسين جنوب نهر الفولغا مركز الكومان في السهوب الغربية. في المقابل، تمكن الأمراء الروس من منع الكومان من السيطرة على الأجزاء الداخلية من أراضيهم. على الرغم من وصول حملات الكومان إلى الأراضي الشمالية الواقعة في ليتوانيا، إلا أن علاقات الزواج استمرت بين الكومان وأمراء كييف روس، واستخدموا خدماتهم العسكرية في الحروب الأهلية الروسية. ولقد استقرت بعض قبائل الكومان داخل أراضي إمارات كييف واعتنقت المسيحية الأرثوذكسية. ذكر كتاب "سلجوق نامه" أن السلطان كيقباد أرسل حاكم قسطموني، حسام الدين جوبان، في حملة عسكرية إلى شبه جزيرة القرم، ودارت معركة بين السلاجقة والقبجاق، انتصر فيها السلاجقة وسيطروا على سوداك.

ملاحظة: ينتمي حسام الدين جوبان إلى قبيلة القايي، وكان معظم أفراد قبيلة القايي موجودين في الأناضول خلال العصر السلجوقي. أما فرع عشيرة أرطغرل، فكان آخر فرع هاجر من خراسان بسبب ضغط توسع إمبراطورية جنكيز خان.

ذكر كتاب "طبقات الناصري" أن سلالة الخوارزميين كانت من القبجاق، حيث لعب الكومان دورًا مهمًا في تأسيس الإمبراطورية الخوارزمية وتوسعها العسكري. ويبدو أن الإمبراطورية الخوارزمية كان لديها مشروع عسكري للتوسع في أراضي القبجاق ونشر الإسلام بينهم.
عندما توسعت إمبراطورية جنكيز خان نحو الأراضي الغربية بقيادة القائد سوبتاي، الذي يُعتبر أفضل قائد عسكري عرفه التاريخ، وباتو خان، اشتبكوا عسكريًا مع قبائل القبجاق وتمكنوا من هزيمتهم. ونتيجةً لذلك، تأسست مملكة القبيلة الذهبية في ظل إمبراطورية جنكيز خان، وحدث تحول مهم في تاريخها حدث تشكّل في تاريخ السهوب الغربية مع ظهور دولة مركزية متطورة. اندمجت معظم قبائل الكومان مع قبائل التتار

التي جاءت مع باتو خان، حتى أن الجغرافي ابن فضل الله العمري (توفي عام ١٣٤٩) ذكر أن القبجاق والتتار اندمجوا وأصبحوا شعبًا واحدًا كالقبجاق. ما حدث كان نتيجة طبيعية لأصل مشترك بين الأتراك والمغول، حتى أن سوبتاي وباتو خان أرسلا رسائل صداقة إلى القبجاق، جاء فيها: "نحن وأنتم شعب واحد". كما أرسل الظاهر بيبرس وقلاوون رسائل صداقة إلى القبيلة الذهبية، جاء فيها: "نحن وأنتم شعب واحد". يتحدث البعض سطحيًا عن معاناة الكومان من توسع إمبراطورية جنكيز خان وهجرات بعضهم، ويتجاهلون أن عدد قبائل الكومان كان كبيرًا جدًا، حوالي أكثر من ستين قبيلة، وقد بقي معظمهم واندمجوا مع القبيلة الذهبية.

لم يُنهِ سقوط الكومان في سهوب أوراسيا نفوذهم العالمي، إذ أسسوا دولة المماليك في الشرق الأوسط، وهي دولة تركية بحتة، وشكلت إمبراطورية في الشرق الأوسط، وقدمت خدمات جليلة للثقافة التركية، بل توجد عشرات الكتب عن لغة القبجاق.

كما أسس الكومان سلطنة دلهي في شبه القارة الهندية، التي تُعتبر أول دولة إسلامية مركزية في قلب الهند، وتمكنوا من تحقيق توسعات عسكرية ناجحة، وأسسوا حضارة جديدة في الهند.

يُقدم قاموس الكومان اللاتيني حقائق مؤكدة عن اعتناق الكومان للمسيحية في الأراضي الأوروبية، وامتلاكهم كنائسهم الخاصة، وترجمتهم للكتاب المقدس وطقوسهم إلى اللغة التركية. وبحسب المؤرخ السرياني ميخائيل الكبير (توفي عام ١١٩٩)، اعتنق الكومان في أوروبا المسيحية، كما ذكر الرحالة ابن بطوطة وجود كنيسة خاصة للقبجاق في مدينة سراي باتو.

وبالطبع، تُعدّ مسألة التصنيف العرقي للقبجاق مسألة جدلية، يطرحها إما معادو الأتراك أو بعض الأتراك الذين ينجذبون إلى هذه القضايا فقط للرد على معادو الأتراك. حيث وصفت المصادر التاريخية القديمة شعب الكيبشاك بأنهم أشقر وذوي شعر وعيون ملونة، إلا أن الحقيقة هي أن الكومان كانوا مختلطين عرقياً بمزيج من شرق آسيا مع القوقازيين الشقر كما هو موضح في مختلف المصادر التاريخية والمنحوتات والرسومات والدراسات الأنثروبولوجية والوراثية، ويعود هذا الاختلاط العرقي إلى ثقافات ألتاي القديمة، ومع توسع اتحاد الكومان نحو الغرب ارتفعت معدلات هذا الاختلاط العرقي مع شعوب مختلفة.

مملكة المجر

توجد جذور مشتركة ما بين الاتراك والمجريين من حيث الاتصالات الثقافية والجغرافية والسياسية وغير ذلك.

وتظهر هذه الحقائق أن المجريين كانوا مرتبطين ارتباطًا وثيقًا بالأتراك أثناء إقامتهم في السهوب البنطية.

ولقد تشكلت مملكة المجر نتيجة تحالف قبائل المجر مع قبائل الكابار التركية.

واستقبلت اراضي حوض بانونيا الكثير من القبائل التركية ولعل من ابرزها هجرة الكومان الكبيرة الى بانونيا في القرن الثالث عشر الميلادي.

من الامور المثيرة للدهشة، ان المصادر التاريخية تذكر ان الامبراطورية الجنكيزية خلال توسعاتها الاولى في القارة الاوربية كانوا يعلمون ان المجر هم شعب مهاجر الى اوربا ولقد بعثوا فرقة استطلاعية الى ماجنا المجر ودرسوا الروابط المشتركة التي تجمعهم مع المجريين الغربيين.

وعلى الرغم ان سلالة ارباد المجرية حكمت حوض بانونيا لثلاثة قرون تقريبا وتراجعت بعد ذلك بسبب عدم وجود وريث للعرش، ومع ذلك كانت السلالات الجرمانية المرتبطة مع الامبراطورية الرومانية المقدسة التي حكمت مملكة المجر لاحقا تعتبر هويتها الذاتية هي مجرية، وهذا يبين أن الهوية هي امر معقد وليست مرتبطة بالنسب فقط.

وأيضا تبين انه خلال حقبة سلالة ارباد تم استيعاب الافار والجرمان والسلاف والبجناك وغيرهم ضمن هوية مملكة المجر.

وتذكر المصادر التاريخية ان ملك المجر ارسل رسالة الى السلطان العثماني محمد الثاني وطلب منه عمل تحالف وسرد مجوعة من الاسباب التي تبرر هذا التحالف ومن ضمنها وجود النسب المشترك.

وفي نظري ان الملك المجري ذكر ذلك لانه من اصل ايطالي نابولي من جهة الاب ومن اصل كوماني/مجري من جهة الام.

حسب الفرضيات التاريخية تعود جذور شعب المجر الى غرب سيبريا ومن اصل عرقي شرق اسيوي، وقد هاجروا خلال عدة موجات للهجرة الى الفولغا وسهوب بونتيك وصولا الى وسط اوربا.

واما بالنسبة لاسطورة نسب المجر التي ذكرها المؤرخ سايمون أوف كيزا حول الهون ربما كان الغرض منها سياسي من حيث ربط شرعية مملكة ارباد مع سلالة اتيلا الهوني التي تتمتع باكبر شعبية تاريخية في حوض بانونيا.

حيث سبقتها عدة مرويات تاريخية اوربية حول الهون ومن ضمنها روايات معاصرة لامبراطورية الهون حيث تربطهم بشكل مباشر مع الأونوغر و الكوتريغور والأوتيغور في نواحي النسب واللغة والثقافة وغيرها.

مدة حكم الامبراطورية الجنكيزية للصين

ما يشاع ان الحكم المغولي للصين اقل من 60 عاما ليس صحيحا بل هو استمر لاكثر من 150 عاما.
بعدما تمكن جنكيز خان من ضم مساحات كبيرة من شمال الصين قام بتعيين القائد الكبير موغوالي حاكم عام على الصين واعطاه قدر كبير من الاستقلالية.
وقام الخاقان اوقطاي خان بتنظيم القوانين الادارية لشمال الصين بعدما تمكن من انهاء سلالة الجين وقام بتعيين شيخوتاج قاضي عام على شمال الصين.
قام الخاقان مونكو خان بتعيين كوبلاي خان حاكم عام على الصين عام 1251 وشرع كوبلاي في بناء عاصمته الثانية شانغدو عام 1252، وثم شرع في بناء عاصمته الاولى خانباليق عام 1264.
وبعدما تمكن الخاقان قوبلاي خان من اسقاط سلالة سونغ صار هو الحاكم الشرعي الوحيد في الصين واعلن سلالته عام 1271.
وامبراطورية يوان المغولية ضمت منغوليا والصين والتبت واجزاء من شرق وجنوب شرق اسيا وفي عصر سلالة يوان المغولية حققت الصين ازدهار كبير وتعرفوا على التراث العلمي العربي/الفارسي في الفلك والرياضيات والطب وغيرها وترجم الى الصينية وشيدت مراصد ضخمة والمشروع الضخم قناة الصين الكبرى انجز معظمه في العصر المغولي.
وسلالة يوان من حيث العمر والتأثير والمساحة هي اكبر من بعض السلالات الصينية مثل الجين وشيا الغربية ووي.
ولكن ارتكبت سلالة يوان اخطاء قاتلة في التعامل مع جنوب الصين مركز سلالة سونغ وهذا تسبب بثورة شعبية عارمة انتهت بسقوط السلالة.
اما الذي يقول ان ازدهار امبراطورية يوان المغولية كانت حصرا في الصين هذا الكلام ينم عن جهل شديد بالتاريخ.
لقد ازدهرت منغوليا في عصر الامبرطورية المغولية وتاسست مدن جديدة وازدهرت مدن قديمة وهذه أمثلة منها:

1- مدينة شانغدو العاصمة الثانية لسلالة يوان وكانت تقع في منغوليا وهي مدينة كبيرة الحجم والسكان ولقد أشاد الرحالة ماركو بولو كثيرا بقصر الخان وذكر انه قصر رخامي وغرفه مبنيه بالذهب ومطلية بزخارف ورسومات عديدة.
2- مدينة ينغتشانغ وتقع في منغوليا وتأسست من قادة من قبيلة قنقرات
3- مدينة خارا خودا وتقع في منغوليا وهي مدينة قديمة ازدهرت في العصر المغولي ولقد اكتشف اثارها علماء الاثار الروس ويعتبر اكبر اكتشاف اثري حققه علماء الاثار الروس.

4- مدينة اولون سوم وهي مدينة قديمة مسيحية لشعب الاونجود ازدهرت في العصر المغولي.

5- مدينة كاراكورم العاصمة الاولى للامبراطورية المغولية ولقد ظلت مدينة مزدهرة في عصر سلالة يوان وذكرها الرحالة ماركو بولو وهي ذات طابع مختلط حيث تتواجد منازل اليورت داخل الاسوار والثقافة الاوراسية متسامحة بين مكوناتها الاجتماعية ما بين البدو والحضر بعكس مجتمعاتنا الشرق اوسطية توجد حساسية وعدائية ما بين الحضر والبدو، ولا يجدون مشكلة في تواجد منازل اليورت داخل اسوار المدن او خارجها ملاصقة للاسوار ولقد ذكر ذلك المؤرخين عن مدن الخزر وبلغار الفولغا والدانوب ولاحقا مدن المغول الى يومنا هذا تتواجد منازل اليورت في مدن منغوليا المستقلة والصينية.

ولقد ذكرت كتب البلدانيات عن قرى زراعية في بلاد ما وراء النهر منازلها من اليورت.

ولا اعلم هل هذا الوضع كان موجود في العصور السلجوقية والعثمانية في اقاليم الاناضول وفارس وغيرها.

ولكن ما يعاب على هذه المدن انها متباعدة عن بعضها وضعف الدعم والتواصل فيما بينها وهذا ما مكن سلالة مينغ لاحقا من تدمير هذه المدن وتشتيت المغول في منغوليا.

ولقد احتاج مغول منغوليا الى قرن واكثر حتى أعادوا ترتيب أوضاعهم وبناء قوتهم مرة اخرى وفرض وجودهم ولكن على شكل دول خانات متفرقة.

مغالطات القوميين الهنود حول الحكم التيموري في القارة الهندية

لقد شاهدت الفيلم الهندي الجميل عن السلطان العظيم جلال الدين اكبر عدة مرات، وهذه الأغنية تحديدا كنت احب الاستماع اليها حتى في اثناء قيادة السيارة.
الحقيقة اثناء قراءاتي الاولى عن التاريخ التركي وقعت على كتاب تاريخي عن تاريخ الترك في موقع بوذي تبتي!! وتحدث الكتاب عن الاتراك في مصادر متعددة ومنها مصادر هندوسية. مؤلف الكتاب يذكر ان هنالك علاقة متجذرة بين القارة الهندية وشعوب اسيا الوسطى واوراسيا.
هل تعلم ان أقوى فرضية حول هجرة الآريين ترجح ان موطنهم في اسيا الوسطى.
توجد عندي تفاصيل كثيرة حول علاقة الهند بشعوب اسيا الوسطى واوراسيا والهجرات المتعددة والممالك المختلفة لأني بحثت حول هذا الموضوع وهذه التفاصيل احتفظ بها لوقتها.
اذكر لك منها انه قبل فتوحات السلطان محمود الغزنوي كانت توجد مملكة تركية بوذية في شمال الهند تسمى ترك شاهي ولقد ذكر العالم البيروني في كتابه ان احد أفراد هذه الاسرة الحاكمة قد ذكر له انه من اصل تركي وأنهم من ترك شاهي. وهذا مؤكد من جهة انه توجد مملكة تركية من بقايا امبراطورية غوكترك تعرف بمملكة كابل شاهي يوجد حولها اختلاف هل انتهت في القرن التاسع الميلادي ام في القرن الحادي عشر مع فتوحات السلطان الغزنوي وهل هندو شاهي استمرار لكابل شاهي ام هي مملكة مستقلة. ربما تتحفنا الاكتشافات القادمة بحل لهذه الاشكاليات.
ولقد ذكرت مصادر التاريخ الاسلامي الحروب التي جرت مع الملك زنبيل والاتراك في مناطق كابل وزابلستان وغيرها ولقد كنت في السابق استغربها لانه لم يكن عندي اطلاع موسع حول مدى اتساع نفوذ الهجرات التركية في اسيا الوسطى وما جاورها.
ولقد أسسها السلطان بابور حفيد التيموريين سلطنة مغول الهند او السلطنة البابورية واسقط سلطنة دلهي وأسس امبراطورية جديدة في جنوب اسيا استمرت لثلاثة قرون.
وللاسف وجدت في بعض المواقع الانجليزية التي ادخلها للبحث والاستفادة بعض الهنود الذين يبدون نوع من الاستهتار والتنكر للحضارة المغولية الهندية والزعم انهم قدموا مع بداوتهم الى الهند رغم اعترافهم بانها حضارة جديدة مختلفة جذريا عن الحضارة الهندية الأصلية.

ينحدر السلطان بابور من سلالة التيموريين التركية التي حكمت اسيا الوسطى لمدة قرن ونصف، ولقد حمل السلطان بابور وأحفاده من بعده تاريخ وحضارة آسيا الوسطى من شتى الجوانب التي تشمل العمارة والمطبخ والفنون والفكر وغيرها.
لقد كانت هذه السلالة مهتمة بالعلوم والثقافة والعمارة وظهرت في عصرهم عمارة جديدة تعرف بالعمارة التيمورية وفنون منمنمات جديدة وكتاب كبار وعلماء يطلق المؤرّخين على العصر التيموري اسم العصر الذهبي المفقود. وأفراد هذه السلالة كانوا فعلا علماء ومثقفين مثل اولوغ بيك العالم الفلكي وحسين بايقرا كان أديب وخطاط.
ولقد شهد علماء الشام لتيمورلنك انه مثقف واسع ولقد أبهرهم بإجاباته الدقيقة واطلاعه الواسع رغم تشنيعهم على دمويته.
والسلطان بابور مؤسس السلالة كان أديب ومثقف متمكن وله عدة مؤلفات في الادب والتاريخ والدين والسياسة وغيرها.
واثناء عصر سلطنة مغول الهند ظهرت اشكال معمارية جديدة فالعمارة المغولية الهندية هي عمارة جديدة وعلى الرغم ان لها جذور مستمدة من عمارة اسيا الوسطى ومع ذلك هي مختلفة كثيرا عن العمارة التيمورية التي تطورت منها وفنون جديدة مثل المنمنمات وموسيقى مختلفة ومطبخ جديد وآداب جديدة وتراث معرفي ضخم. حقيقة اعجز عن التعبير عن تاريخ هذه السلطنة والسلالة. فالأمر يحتاج الى عدة مجلدات.

انتهاكات الفتوحات الأموية في بلاد ما وراء النهر

مقدمة:

لقد اطلعت على تاريخ الفتوحات الاموية في آسيا الوسطى ورأيت ان المذكور في المرويات يخالف الصورة الوردية التي تم رسمها في الكتب والدراما والدعايات وغيرها وأغفلت عن الطرف المعتدي وما جرى من انتهاكات وجرى تصوير الأحداث كما لو انها كانت رحلات سياحية وليست حروب ومعارك وحصار واسرى ودماء مسفوكة.

سوف اضغ سلسلة عن الانتهاكات الاموية في آسيا الوسطى وموثقة بالمصادر التاريخية وطبعا لا استطيع نقل كل التفاصيل وانما اكتفيت بنقل الشواهد ومن اراد التوسع عليه الرجوع الى المصادر الأصلية ويعرفوا انها كانت حروب عسكرية وليست ورود وحب

وارجو من القراء ان يعرفوا في البداية ان مصطلح الفتح لا يعني ان الأمور تمت بالحب والورود، وانما يعني الفتح السيطرة على اراضي الاخرين بعد الحرب وقد تنتهي الحرب بالسيطرة على الأرض بعد الاخضاع الكامل للخصم والقضاء عليه ويسمى ذلك عنوة.

او قد تنتهي الحرب في بدايتها لخوف الخصم بسبب قلة الإمكانيات او سقوط المركز وضياع الدولة ويطلب الصلح والامان خشية الحرب المكلفة او يطلب الصلح والامان بعد خوض حربا طويلة وقبل انتهاء الحرب رأى ان النتائج النهائية قد تكون في غير صالحه فيفضل الاستسلام للخصم المقابل ويسمى ذلك صلحا.

ولذلك نجد كتب التاريخ تتكلم بصراحة عن فتوحات الاسكندر وفتوحات كورش وفتوحات جنكيز خان وفتوحات الاشورين وفتوحات الرومان وفتوحات غوكترك وفتوحات الهون وفتوحات السلاجقة وغيرهم

فكل حرب انتهت بالسيطرة على اراضي الخصم تسمى فتحا

وارجو من صاحب القناة ان يتحملني لأنني سأكتب التعليقات باللغة العربية فهذه لغتي الأصلية.

-1-

اعتداء عبيدالله بن زياد على بخارى واستعباد سكانها وتخريب ديارها

تاريخ الطبري: "وقدم عُبَيْد اللَّهِ خُرَاسَان ثُمَّ قطع النهر إِلَى جبال بخارى عَلَى الإبل، فكان هُوَ أول من قطع إليهم جبال بخارى في جند، ففتح راميثن ونصف بيكند- وهما من بخارى- فمن ثُمَّ أصاب البخارية".

وجاء في كتاب تاريخ البخارى للنرجشي:

"عبر نهر جيحون وجاء الى بخارى، ..... مشابه لسياق رواية الطبري.... واسترق كثيرين واخذ اربعة آلاف من رقيق بخارى لنفسه ...... وأخذوا سلاحا وثيابا وادوات ذهبية وفضية ورقيقا وواحدة من خفي الخاتون مع جورب والخف من الذهب المرصع بالجواهر .... وأمر عبيدالله بن زياد بقطع الأشجار وتخريب الديار وتعرض المدينة للخطر ايضا "

-2-

قتل سبايا خوارزم

تاريخ الطبري: "كتب الحجاج إلى يزيد أن اغز خوارزم،فكتب إليه:أيها الأمير، إنها قليلة السلب، شديدة الكلب فكتب إليه الحجاج: استخلف واقدم،فكتب إليه: إني أريد أن أغزو خوارزم فكتب إليه: لا تغزها فإنها كما وصفت، فغزا ولم يطعه، فصالحه أهل خوارزم، وأصاب سبيا مما صالحوه، وقفل في الشتاء، فاشتد عليهم البرد، فأخذ الناس ثياب الأسرى فلبسوها، فمات ذلك السبي من البرد".

-3-

حرق القرى ببخارى

تاريخ الطبري: "ووجه المهلب ابنه حبيبا إلى ربنجن فوافى صاحب بخارى في أربعين ألفا، فدعا رجل من المشركين إلى المبارزة، فبرز له جبلة غلام حبيب، فقتل المشرك، وحمل على جمعهم، فقتل منهم ثلاثة نفر، ثم رجع ورجع العسكر، ورجع العدو إلى بلادهم، ونزلت جماعة من العدو قرية، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف، فقاتلهم فظفر بهم، فأحرقها، ورجع إلى أبيه فسميت المحترقة ويقال إن الذي أحرقها جبلة غلام حبيب".

-4-

بدايات عدوان قتيبة الباهلي على البلاد التركية ومقتلة بيكند ونهبها

تاريخ الطبري: "فسقط الحائط وهم يعلقونه، فقتل أربعين من الفعلة، فطلبوا الصلح، فأبى وقاتلهم، فظفر بهم عنوة، فقتل من كان فيها من المقاتلة، وكان فيمن أخذوا في المدينة رجل أعور كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين

إن قتيبة لما فتح بيكند أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى بيهس الباهلي، فأذابا الآنية والأصنام فرفعاه إلى قتيبة، ورفعا إليه خبث ما أذابا، فوهبه لهما، فأعطيا به أربعين ألفا، فأعلماه فرجع فيه وأمرهما أن يذيباه فأذاباه، فخرج منه خمسون ومائة ألف مثقال- أو خمسون ألف مثقال- وأصابوا في بيكند شيئا كثيرا، وصار في أيدي المسلمين من بيكند شيء لم يصيبوا مثله بخراسان ورجع قتيبة إلى مرو، وقوي المسلمون، فاشتروا السلاح والخيل، وجلبت إليهم الدواب، وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة، وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين، وقال الكميت:

ويوم بيكند لا تحصى عجائبه ... وما بخاراء مما أخطأ العدد".

-5-

الغدر بسكان بخارى

تاريخ الطبري: "قال أَبُو عُبَيْدة معمر بْن المثنى أتى قتيبة بخارى فاحترسوا منه، فقال دعوني أدخلها فأصلي ركعتين فأذنوا له في ذلك فأكمن لهم قوما، فلما دخلوا كاثروا أهل الباب ودخلوا فأصاب فيها مالا عظيما وغدر بأهلها".

-6-

التنكيل بسكان شومان

تاريخ الطبري: "ثم أتى شومان وقد تحصن ملكها فوضع عليه المجانيق، ورمى حصنه فهشمه، فلما خاف أن يظهر عليه، ورأى ما نزل به جمع ما كان له من مال وجوهر فرمى به في عين في وسط القلعة لا يدرك قعرها.

قال: ثم فتح القلعة وخرج إليهم فقاتلهم فقتل، وأخذ قتيبة القلعة عنوة، فقتل المقاتلة وسبى الذرية".

-7-

حرق فرياب

تاريخ الطبري: "وامتنع عليه فرياب فحرقها فسميت المحترقة".

-8-

تدمير معابد سمرقند وخداع أهلها

في تاريخ الطبري: "انصرفوا، فصالحهم من الغد على ألفي ألف ومائتي ألف في كل عام، على أن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس، ليس فيهم صبي ولا شيخ ولا عيب، على أن يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل

قال: أما الباهليون فيقولون: صالحهم قتيبة على مائة ألف رأس، وبيوت النيران وحلية الأصنام، فقبض ما صالحهم عليه، وأتى بالأصنام فسلبت، ثم وضعت بين يديه، فكانت كالقصر

العظيم حين جمعت، فأمر بتحريقها،".

كلمة رأس الواردة في سياق الحديث تعني عبيد.

وايضا في الطبري: "واستخلف على سمرقند عبد الله ابن مسلم، وخلف عنده جندا كثيفا، وآلة من آلة الحرب كثيرة، وقال:

لا تدعن مشركا يدخل بابا من أبواب سمرقند إلا مختوم اليد، وإن جفت الطينة قبل أن يخرج فاقتله، وإن وجدت معه حديدة، سكينا فما سواه فاقتله، وإن أغلقت الباب ليلا فوجدت فيها أحدا منهم فاقتله".

وفي كتاب فتوح البلدان للبلاذري : "أنه صالح قتيبة عَلَى سبعمائة ألف درهم وضيافة المسلمين ثلاثة أيام، وكان في صلحه بيوت الأصنام والنيران فأخرجت الأصنام فسلبت حليتها وأحرقت".

اذكر في السابق أننا شاهدنا مقاطع مسلسلات تاريخية رومانسية وسمعنا خطب ومحاضرات صحوية حول محكمة سمرقند وكيف ان سكان سمرقند دخلوا بعد ذلك في الدين أفواجا.

بينما الحقيقة هي عكس ذلك تماما وهي ان قتيبة الباهلي غدر بسكان سمرقند وفي عهد عمر بن عبدالعزيز طلبوا الانصاف فعقد لهم محكمة وخيرهم القاضي بين خوض الحرب من جديد او استمرار الوضع الراهن، ونظر اهالي سمرقند انه لا طاقة لهم بالحرب مجددا ففضلوا استمرار الاوضاع الراهنة كما هي، ولا يوجد في القصة أصلا أية إشارة الى حدوث اسلام جماعي واليكم الرواية:

"قال أَبُو عُبَيْدة وغيره لما استخلف عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيزِ وفد عَلَيْهِ قوم من أهل سمرقند فرفعوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين عَلَى غدر فكتب عُمَر إِلَى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا فإن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا فنصب لهم جميع بْن حاضر الباجي فحكم بإخراج المسلمين عَلَى أن ينابذوهم عَلَى سواء فكره أهل مدينة سمرقند الحرب وأقروا المسلمين فأقاموا بَيْنَ أظهرهم".

-9-

خداع ملوك خوارزم وضربهم ببعض وقتل الأسرى

تاريخ الطبري: "قال: ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد، فمدينة الفيل احصهن، فنزلها خوارزم شاه- وقتيبة في هزار سب دون النهر لم يعبره بينه وبين خوارزم شاه نهر بلخ- فصالحه على عشرة آلاف راس، وعين ومتاع، وعلى أن يعينه على ملك خام جرد

وبعث قتيبة أخاه إلى ملك خام جرد، وكان يعادي خوارزم شاه، فقاتله، فقتله عبد الرحمن، وغلب على أرضه وقدم منهم على قتيبة بأربعة آلاف اسير، فقتلهم، وامر قتيبة لما جاء بهم عبد الرحمن بسريره فأخرج وبرز للناس قال: وأمر بقتل الأسرى فقتل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وخلف ظهره ألف قال: قال المهلب بن إياس: أخذت يومئذ سيوف الأشراف فضرب بها الأعناق، فكان فيها ما لا يقطع ولا يجرح، فأخذوا سيفي فلم يضرب به شيء إلا أبانه، فحسدني بعض آل قتيبة، فغمز الذي يضرب أن أصفح به، فصفح به قليلا، فوقع في ضرس المقتول فثلمه".

وايضا في الطبري: "وقال الباهليون: أصاب قتيبة من خوارزم مائة ألف رأس.

وقال مُحَمَّد بن أبي عيينة لسلم بن قتيبة بين يدي سُلَيْمَان بن علي: إن العجم ليعيرون قتيبة الغدر إنه غدر بخوارزم وسمرقند.".

-10-

حرق الشاش

تاريخ الطبري: "ثم أتى قتيبة كاشان مدينة فرغانة، وأتاه الجنود الذين وجههم إلى الشاش وقد فتحوها وحرقوا أكثرها".

-11-

التنكيل مرة اخرى بخوارزم

تاريخ الطبري: "وقدم المغيرة فسبى وقتل".

-12-

مذبحة طالقان

تاريخ الطبري: "وفي هذه السنة، أوقع قتيبة بأهل الطالقان بخراسان- فيما قال بعض أهل الأخبار- فقتل من أهلها مقتلة عظيمة، وصلب منهم سماطين أربعة فراسخ في نظام واحد".

-13-

ما خفي من أمر كاشغر

تاريخ الطبري: "بعث قتيبة كثير بن فلان إلى كاشغر، فسبى منها سبيا، فختم أعناقهم مما أفاء الله على قتيبة، ثم رجع قتيبة وجاءهم موت الوليد".

توجد معلومات خاطئة سببها الدعايات الدينية في العقود الاخيرة حول هذا الفتح المزعوم لكاشغر.

لقد ظلت مدينة كاشغر محط صراع بين التبت وتانغ ومن ثم استقلت وحكمها شعب اليغما التركي بشكل مستقل كليا ولم تكن تابعة لدار الخلافة حتى ضمتها الدولة القاراخانية في فترة مبكرة من تاريخها حتى كانت دولة القاراخانيين تسمى احيانا بمملكة كاشغر الاسلامية.

ولم ترد في المصادر الاسلامية عن وجود حاكم مسلم عليها او عملة اسلامية صدرت باسمها.

ولقد جاء في المصادر الصينية ما يفند هذه المزاعم
"في عام 722 ، أرسل كاشغار 4000 جندي لمساعدة الصينيين على إجبار التبتيين على الخروج من البولو الصغير أو جيلجيت .
في عام 728 ، حصل ملك كشجار على جائزة من الإمبراطور الصيني.
في عام 739 ، يتعلق تانغشو بأن حاكم الحامية الصينية في كاشغار ، بمساعدة فرغانة ، كان يتدخل في شؤون تورغيش حتى تالاس" .

-14-

ثورة سكان بلاد ما وراء النهر المنسية والابادة المخفية

تاريخ الطبري: "في هذه السنة ارتحل أهل السغد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو الحرشي فلحقوا بفرغانة، فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين.
فارتحل كارزنج وجلنج بأهل قي، وأبار بن ماخنون وثابت بأهل إشتيخن، وارتحل اهل بياركث واهل سبسكث بألف رجل عليهم مناطق الذهب مع دهاقين بزماجن، فارتحل الديواشني بأهل بنجيكث إلى حصن ابغر، ولحق كارزنج واهل السغد بخجنده.
....
قَالَ: فامتنع أهل السغد، ولم يكن لهم سلاح، فقاتلوا بالخشب، فقتلوا عن آخرهم فلما كان الغد دعا الحراثين- ولم يعلموا ما صنع أصحابهم- فكان يختم في عنق الرجل ويخرج من حائط إلى حائط فيقتل، وكانوا ثلاثة آلاف- ويقال سبعة آلاف- فأرسل جرير بْن هميان والحسن بْن أبي العمرطة ويزيد بْن أبي زينب فأحصوا أموال التجار- وكانوا اعتزلوا وقالوا:لا نقاتل- فاصطفى أموال السغد وذراريهم، فأخذ منه ما أعجبه".

لا حول ولا قوة الا بالله إنها جريمة حرب عظمى وفق كل المقاييس وهذه القصة لوحدها تكفي في نسف كل الدعايات المزعومة.

الخاتمة:

اعلم ان البعض قد أصابتهم الصدمة الشديدة من بعض ما نقلته وانا لم انقل كل شيء.

والسبب أننا كنا ضحية الدعايات الرومانسية المزعومة التي تقول ان سكان اسيا الوسطى دخلوا في الدين افواجا بعد فتوحات قتيبة وان الباهلي ومن اتى بعده نثروا الحب والورود على السكان وغير ذلك من الاكاذيب والمبالغات.

طبعا اي فتوحات وتوسعات عسكرية عبر التاريخ تجلب معها فترات تحول جديدة ونقلات حضارية، حيث جلبت الفتوحات الاموية فترات التحول اللاحقة التي حدثت في العصر العباسي الاول وفي الدول المستقلة مع السامانيين والقاراخانيين وغيرهم، وذلك عبر فتح طرق تجارية جديدة وجلب منتجات جديدة وافكار جديدة ووافدون جدد ونظم سياسية جديدة ونحو ذلك، كما جلبت فتوحات الاسكندر الاكبر تحولات جديدة لاسيا الوسطى، ولاحقا جلبت فتوحات جنكيز خان تحولات جديدة وأتت بالعصر الذهبي التيموري وغير ذلك.

مغالطات حول التوسع العسكري للخلافة الأموية

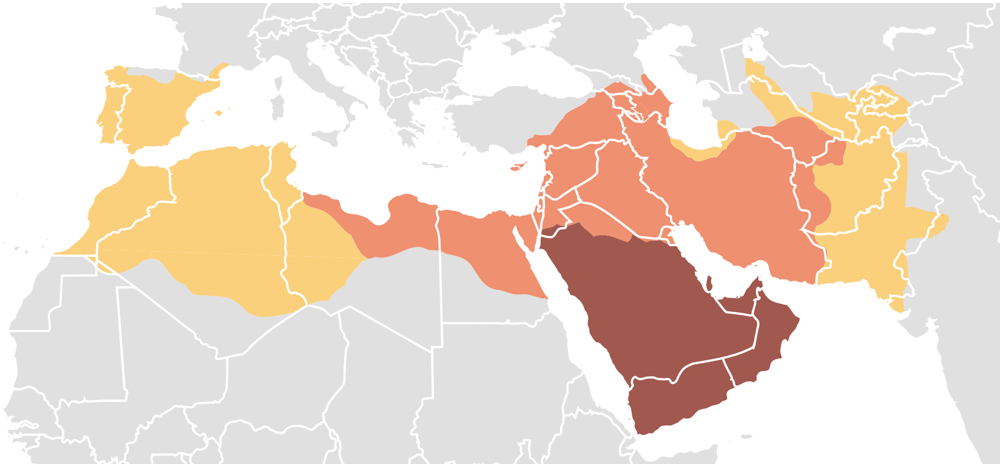
اولا: خاقانية الخزر اعتنقت اليهودية في العصر العباسي كما ذكر المؤرخين وقبل ذلك كانت على الدين التركي القديم الوثنية الشامانية.

ثانيا: الحروب التي دارت ما بين الخزر والخلافة استمرت سجالية لاكثر من قرنين حتى العصر العباسي الأول.

في بعض المعارك ينتصر الخزر وفي بعض المعارك تنتصر الخلافة الاسلامية.

ولقد ظلت خاقانية الخزر مستقلة لأكثر من ثلاثة قرون وتسيطر على مناطق شاسعة في شرق اوربا والقوقاز واسيا الوسطى.

ثالثا: لم تصل الخلافة الاموية الى الصين.



وهذه خارطة مع حدود الدول الحالية لأقصى مساحة وصلتها الخلافة الأموية باللون البرتقالي:

وهذه الأكذوبة غير موجودة في المصادر الاسلامية الاخرى كالبلاذري والمسعودي وابن خياط وغيرهم

وحتى الطبري ذكر انهم تراجعوا بعد دخول كاشغر ولم يؤكد على اكمال الضم لها.

واتحدى ان ياتوا باسم والي مسلم واحد تابع للخلافة على هذه المناطق.

الوثائق المحفوظة تفند ما يشاع من اكاذيب

وهذه منقولات من المصادر الصينية الدقيقة تفند الأكاذيب حول منطقة كاشغر: "في عام 722 ، أرسل كاشغار 4000 جندي لمساعدة الصينيين على إجبار التبتيين على الخروج من البولو الصغير أو جيلجيت .

في عام 728 ، حصل ملك كشجار على جائزة من الإمبراطور الصيني.

في عام 739 ، يتعلق تانغشو بأن حاكم الحامية الصينية في كاشغار ، بمساعدة فرغانة ، كان يتدخل في شؤون تورغيش".

ولقد ظلت مناطق اسيا الوسطى الشرقية في مناطق ايسيك وتالاس فضلا عن مناطق اسيا الداخلية تابعة لامبراطورية تانغ حتى اواخر القرن الثامن الميلادي..

رابعا: كما لاحظتم من الخريطة السابقة أغلب مناطق نهر سيحون او سير داريا التي تعتبر جزء من بلاد ما وراء النهر خارج السيطرة.
وحتى تعرفون سبب ذلك ذكرت كتب التاريخ انه حدثت معارك لاحقة ما بين خانية توركش والامويين في عصر هشام بن الملك حقق فيها التوركش انتصارات ساحقة في يومي الاغواث والاحمال بل حتى وصلوا الى مناطق جيحون امور داريا ورغم التوركش انهارت بعد وفاة الخان سولوك وتدخلات التانغ.
ومع ذلك ظلت منطقة اسبيجاب وهي منطقة كبيرة في بلاد ما وراء النهر خارج السيطرة الى العصر الساماني كما ذكر المؤرخين، يقول البلاذري:
" ثُمَّ غلب عَلَيْهِ الترك ومعهم قوم من أهل الشاش، ثُمَّ فتحه نوح بْن أسد الساماني"
وهذه قاعدة جغرافية عامة.
آسيا الوسطى منطقة شاسعة.
وبلاد ما وراء النهر تعتبر جزء من اسيا الوسطى.
واما منطقة حوض تاريم او تركستان الشرقية هي منطقة اخرى تسمى اسيا الداخلية.
فضلا ان بلاد الترك الشاسعة الممتدة من بحيرة البايكال وغابات التايغا شمالا الى جبال هندوكوش جنوبا ومن منشوريا شرقا الى هضبة بانونيا غربا كانت خارج السيطرة كليا ولا يحلمون بالوصول اليها.
وهذه الخارطة الشاسعة تضم مناطق تورفان ونهر ايلي وجبال تيان شان وجبال آلتاي ومنطقة كومول ومنطقة اورخون ومنطقة كاشغر ومنطقة البايكال ومنطقة توفا ومنطقة نهر ينسي ومنطقة جنوب الفولغا ومنطقة شمال قزوين ومنطقة القرم ومنطقة بانونيا ومنطقة شمال البحر الاسود ومنطقة بحيرة ايسيك وغير ذلك.
وفي العصر الاموي والعباسي كانت توجد عدة خاقانات تركية وهي غوكترك ثم الويغورية في الشرق والخزر في الوسط والبلغارية في الغرب.
ولقد سرد كتاب حدود العالم لجغرافي فارسي المناطق التركية في اسيا الوسطى الغير مسلمة وليست تابعة لدار الخلافة مثل اليغما وجكل والقارلوق والاوغوز وغيرها وفي مناطق سوياب وكاشغر وغيرها.
وفي القرن الرابع الهجري اعلن خاقان القراخانين في تركستان اسيا الوسطى اعتناق الاسلام وبدأ يتوسع ويضم مناطق كاشغر وخوتان وايسيك وغيرها ينشر الاسلام بين سكان هذه المناطق وحتى حاول ضم بلاد الويغور البوذية وفشل.

جذور التصوف التركي

لقد قرات في الأيام السابقة عدة كتب تتناول هذا الموضوع مثل كتاب للمؤرخ كوبريلي للأسف حصلت على ترجمة للجزء الاول فقط وايضا قرات عدة أبحاث عميقة عن دراويش الاناضول في الفترة السلجوقية والعثمانية المبكرة.

التصوف التركي الأناضولي هو تصوف ترتبط جذوره بالثقافة التركية القديمة في اسيا الوسطى والسهوب الأوراسية.

باختصار شديد الاتراك بعدما اعتنقوا الاسلام لم يتخلوا عن ثقافتهم الأصلية كما لم يتخلوا اجمالا عن لغتهم وقاموا بصب ثقافتهم القديمة في قالب إسلامي بما لا يتعارض عموما مع صلب العقيدة.

ولقد نجح المتصوفة في صب مفاهيم الشامان وحركاته والوصول الى النشوة الروحية وافكار كثيرة في قالب إسلامي فأصبح الشيخ الصوفي في مرتبة تشبه الشامان ومريديه وأحواله وحركاته وسكناته.

تمتد جذور التصوف التركي الأناضولي الى الحركة اليسوية التي ظهرت في عصر الدولة القاراخانية بين التركمان المسلمين في اسيا الوسطى. ولقد انتقلت الحركة اليسوية الى الاناضول مع المريدين التركمان.

ومن الحركة اليسوية انبثقت العديد من الحركات الصوفية في اسيا الوسطى والاناضول مثل البكداشية والنقشنبدية والمولوية وغيرها.

ومع الاجتياح المغولي لآسيا الوسطى انتقل الكثير من المتصوفة والدراويش الى الاناضول. والحركة المولوية على سبيل المثال تشكلت بين تركمان الاناضول واستوعبت الكثير من الثقافة التركية القديمة. فالرقصة الدائرية على أنغام الموسيقى تشبه كثيرا رقصة الشامان على الطبل والمزمار والغناء حتى الوصول الى مرحلة يشعر فيها بنشوة روحية. اذا التصوف التركي في الاناضول واسيا الوسطى هو يستمد جذوره من الثقافة التركية القديمة مع التعاليم الاسلامية مع وجود تاثيرات ثانوية للثقافات الاخرى.

مع العلم الاتراك اعتنقوا عدة اديان أخرى كالبوذية والمانوية والمسيحية واليهودية.

ولقد انتشر التصوف التركي في الهند والأناضول والشرق الأوسط واوربا وغيرها.

والوثنية الشامانية حسب ما قرات تعتبر الأساس الذي قامت عليه الديانة الزرادشتيه وقرات ان زرادشت كان في الاصل رجل شامان في الديانة الآرية القديمة وانتقل الى خوارزم وتنقل بين اسيا الوسطى وتلك المناطق كانت متوغلة في الدين الوثني الشاماني.

حضور مودو شانيو في الذاكرة الجمعية التركية

هل كانت ذكرى مودو شانيو حاضرة في الذاكرة التاريخية عند الشعوب التركية والمغولية؟

الإجابة بكل تاكيد هي نعم.

لقد قمت ببحث بسيط حول حضور هذه الشخصية التاريخية المؤسسة لمملكة شيونغو قبل الفين ومائتين سنة.

نعم كان الذاكرة التاريخية الشفهية او المكتوبة حاضرة لدى شعوب الهضبة المنغولية.

ولقد ورد في الاساطير التركية بمسمى ميتي خان ويوجد تشابه لافت بين سيرة خاقان أوغوز في الملحمة اوغوز خان مع سيرة مودو في المصادر الصينية القديمة,

ولقد وجدت انه بعد قيام الامبراطورية المغولية كانت هذه الشخصية حاضرة في رسائل وخطابات جنكيز خان.

في خطاب دعوة من جنكيز خان إلى راهب الطاوية تشيو تشوجي:

"لقد كرم شعبنا آلهتهم منذ أن كان بعيدًا عن شانيو"

"منذ وقت بعيد من شانيو لم يشهد مثل هذه الإمبراطورية الشاسعة".

لاحظ أن مودو شانيو عاش حوالي عام 200 قبل الميلادأي قبل حوالي 1000 عام من عصر جنكيز خان.

وهذا بالمحصلة يعني ان هذه المملكة وحكامها كانوا حاضرين في الملاحم والأساطير التركية.

ولكن الوضع قد يختلف نوعا ما فيما يتعلق بشخصية اوغوز جد قبايل شعب الغز فعلى الارجح انها كانت شخصية أسطورية كجد تفرعت منه قبائل الغزية.

الجدل حول اصل السلالة العثمانية

من الأشياء الغريبة التي تروج أحيانا حول أصل العثمانيين العرقي والديني.
اولا: جميع المصادر تجمع على اصل الأسرة العثمانية الغزي التركماني.
وان الغازي ارطغرل ينحدر من عشيرة تعود لقبيلة القايي التركمانية الغزية.
لقدر زار الرحالة ابن بطوطة الاناضول والسلطنة العثمانية في بدايتها وقال: "وسلطان برصى هو اختيار الدين أرخان بك بن السلطان عثمان جوق، و جوق تفسيره بالتركية الصغير، و هذا السلطان أكبر ملوك التركمان و أكثرهم مالاً و بلاداً و عسكر".
وتوجد عدة كتب تركية عثمانية مبكرة تثبت اصل الأسرة العثمانية الى قبيلة كايي وشعب الاوغوز مثل تواريخ آل سلجوق ودستور نامه أنوري وبهجة التواريخ وتواريخ آل عثمان وغيرها.

ان البعض ممن يطلع على المباحث اللغوية والتاريخية التركية نظرا لأنه يطلع وهو يحمل سوء نية وتخطيط مسبق واجندة لأجل الطعن والتشويه فيتلفق اية تحليل لأجل الترويج للتشويه.
في كتاب ديوان لغات الترك وهو من اندر الكتب في التراث العربي حيث يبحث لغوياً ومعجميا في لغات الترك ويجوب بك في جغرافيا ربوع تركستان واوراسيا من الشرق الى الغرب وما جاورها كبلاد الصين والهند والتبت.
في هذا الكتاب ذكر في المقدمة مجموع الشعوب التركية العشرين ومجموع قبائل الغز الاثنان وعشرون. البعض ممن يطلع على المباحث اللغوية والتاريخية التركية نظرا لأنه يطلع وهو يحمل سوء نية وتخطيط مسبق لأجل الطعن والتشويه فيتلفق اية تحليل لأجل الترويج للتشويه. في الشعوب التركية العشرين التي ذكرها الكاشغري ذكر أربعة شعوب يباقو وتتار وقاي ويسمل وجمعهم في خانة واحدة من ناحية اللغة التركية وطبعا المؤرّخين واللغويين اختلفوا فيما بينهم حول ماذا يقصد الكاشغري هل يقصد ان لكل واحد منهم لهجة تركية مختلفة ام يقصد انهم شعوب مختلطة وثنائية اللغة لأن كلمة التتار في تلك الفترة كانت تطلق على شعوب الهضبة المنغولية من اتراك ومغول ام يقصد ان لهم لغة تركية متقاربة.
وايضا يوجد ملاحظات حول مجموع الشعوب التركية العشرين لانه لم يضم شعوب تركية اخرى ذكرهم في ثنايا الكتاب مثل القارلوق والبلغار والخلج وغيرهم وايضا شعوب تركية اخرى ذكر اسباب لغوية لعدم ضمهم.
وتوجد ملاحظات اخرى ليس هذا مجال ذكرها.
فهنا يأتي بعض من يحملون سوء نية وسوء فهم فيقرأ عن شعب قاي الذي يوجد حوله جدل ويظن انها نفس القبيلة الغزية وهذا غير صحيح وباطل.

عندما سرد العالم الكاشغري قبائل شعب الغز ذكر انهم اثنان وعشرون قبيلة ولكل قبيلة منهم بطون وفروع. وذكر قبيلة قايي بتكرار الياء وبالرسم التركي قيغ التي تحمل علامة IYI ضمن مقدمة قبائل الغز وفي ثنايا الكتاب ايضا ذكر قايي وأكد على انها قبيلة غزية.

فيأتي البعض ويخلط ما بين قبيلة قايي الغزية IYI مع قبيلة قاي الأخرى.

فالاسرة العثمانية من قبيلة قاي الغزية IYI

ثم كيف يكونون تتر مغول ويهربون من انفسهم ويتخلون عن المكاسب السياسية والاقتصادية ومن اي قبيلة من القبائل التي وحدها جنكيز خان.

وفي قائمة القبائل التركية المغولية التي وحدها لخاقان العظيم جنكيز خان لا توجد قبيلة تحمل اسم قبيلة القايي.

وعلى فرض انهم من اصل تتري مغول وهذا غير صحيح

هذا لا يعتبر مسبة وطعن بل هو فخر وعز وأمجاد تاريخية لاكبر امبرطورية في التاريخ صنعت حضارة مهما لعناهم وكرهناهم فالحقيقة فوق المحبة والكراهية، لقد امتلكت الامبرطورية المغولية في مرحلتها الاولى حضارة فيها جميع المعالم الحضارية من شرائع ونظم ادارية وعمران واداب وكتابة ومراصد وتجارة طريق الحرير وغيرها في خان باليق وشانغدو ومراغة وسراي باتو وغيرها وفي المرحلة الثانية صنع التيمورين حضارة اخرى في اسيا الوسطى ثم صنعوا حضارة ثالثة في الهند.

وعلى كل حال هذا الاحتمال غير صحيح وباطل تاريخيا والاجماع التاريخي والتواتر التاريخي يفند هذا الادعاء المتاخر.

واما ما قيل من فرضيات حول الأصل العربي الحجازي طبعا هذه مجرد تخريفات قيلت في وقتها وسبق ان روجت دعاوي باطلة وكتب التراث مشحونة بذلك.

دعاوي الانساب كانت منتشرة في ازمان مختلفة والبعض يختلقها تقربا للحكام او لتحقيق مكاسب اخرى.

والعبرة هو بما يقوله اصحاب الشأن انفسهم وما اثبته المحققون.

وما يجهله الكثيريون من هؤلاء العنصريين ان المجد هو الذي يصنع النسب وليس العكس وهذه حقيقة ثابتة حول المجد سواء كان مجد سياسي او عسكري او علمي او ديني وغير ذلك.

وعندما سئل الامام الطبري عن نسبه قال:

قد رفَعَ العجَّاجُ ذِكْري فادْعُني *** بِاسْمِي إذا الأنسابُ طالتْ يَكْفِني

وقال الشاعر:

ليس الفتى من يقول كان ابي **** ان الفتى من يقول ها انا ذا

والعثمانيون قد نالوا الامجاد كلها صنعوا امبراطورية كبيرة سادت على ثلاثة قارات لستة قرون وحضارة مزدهرة وعصر كامل ارتبط باسمهم

ويجهل الكير من العنصريين انه يوجد عدة اعلام في التاريخ الاسلامي من اصول مملوكية من الموالي المعتقين والعبيد مثل بيبرس والحسن البصري وغيرهم
هؤلاء الاعلام لم يفكر احد في اصولهم فما قدموه من امجاد وانجازات صنعت لهم انساب خالدة.
فالامجاد هي التي تصنع الانساب وليس العكس.

ثانيا: الطعن في اسلامية الاسرة العثمانية في الفترة المبكرة بحجة الاسماء ارطغرل واطمان بدل عثمان.
وهذا من ما اعجب يتم تكفير الاشخاص بناء على اسمائهم.
وطبعا هذا التكفير مرتبط بسلسلة تكفر الدولة العثمانية على العموم.
فالسلاجقة العظام احتفظوا بالاسماء التركية مثل سلجوق وطغرل والب ارسلان وغيرها ولم يكفرهم أحد.
والفرس احتفظوا باسمائهم الاصلية وغير ذلك
بالاضافة ان تواجد قبائل الغز في خراسان في العصر السلجوفي هذا مثبت تاريخيا ومعروف في الفتنة المعروفة بفتنة الغز عندما اساء احد عمال قصر السلطان سنجر التعامل مع احدى قبائل الغز وظلمهم وبسبب ذلك حدثت فتنة عظيمة انتهت بنهاية مرحلة السلاجقة العظام والدخول في مرحلة السلطنة السلجوقية المقسمة تقسيما حديا.
وهذه الفرضية حول اعتناق الاسرة العثمانية هي فرضية غربية طرحها المؤرخ الانجليزي جويبنز وليست موجودة في المصادر التاريخية الاسلامية القديمة ولقد فندها المؤرخ فؤاد كوبرللي وعلى فرض انهم من اصول وثنية ثم اعتنقوا الاسلام.
ما المشكلة في ذلك ؟!
إن جميع شعوب الارض مرت بتحولات وانتقلت من اديان الى اديان اخرى ومنهم العرب.
ثم هل يقاضي الشخص وينظر اليه دينيا بناء على حالته الراهنة ام بناء على احوال اسلافه قبل مئات وعشرات السنين.

الخليفة العثماني وشرط القرشية

ما ان تأتي سيرة الخلافة العثمانية حتى يأتي بعض المتعصبين ويحاول سلب لقب الخلافة منهم الذي استقر للإمبراطورية العثمانية بشكل واقعي لمدة تقارب أربعة قرون منذ عصر السلطان سليم الثاني.
وسوف ارد على هؤلاء من خلال عدة معطيات تاريخية:

اولا: هل تعلمون اول من تلقب بالخلافة من غير العرب ؟ انهم الحكام الموحدين الأمازيغ في المغرب الأقصى والأندلس حيث اعتمد حكام الموحدين لقب الخلافة وإمارة المؤمنين وسجلوه في عملاتهم وسجلاتهم. "ثم انتحل عبد المؤمن ولي عهده اللقب بأمير المؤمنين و جرى عليه من بعده خلفاء بنى عبد المؤمن و آل أبى حفص من بعدهم استئثاراً به عمن سواهم لما دعا إليه شيخهم المهدي من ذلك و أنه صاحب الأمر و أولياؤه من بعده كذلك دون كل أحد لانتقاء عصبية قريش و تلاشيها فكان ذلك دأبهم". هذه الدولة التي اعتمدت المهدوية التومرتية عقيدة والظاهرية مذهبا فقهيا رسميا.

ثانيا: يوجد خلاف متاخر عن الإجماع القديم حول شرط القرشية وبعضهم أجاز الخلافة في غير قريش كالباقلاني والجويني وبعض الأحناف. "من القائلين بنفي اشتراط القرشية القاضي أبو بكر الباقلاني لما أدرك عليه عصبية قريش من التلاشي والاضمحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفاء فأسقط شرط القرشية".

ثالثا: توجد فرق إسلامية تجيز الخلافة في غير قريش وفي كل مسلم كجمهور المعتزلة. يقول ابن حزم ” وذهبت الخوارج كلها وجمهور المعتزلة وبعض المرجئة إلى أنها – أي الإمامة – جائزة في كل من قام بالكتاب والسنة , قرشيا كان أو عربيا أو ابن عبد“.

رابعا: انقل كلام وتحليل العلامة ابن خلدون لشرط القرشية فابن خلدون يرى ان هذا الشرط تلاشى وانتهى حكمه منذ القرن الرابع الهجري ويرى ان كل من امتلك القوة والعصبية يحق له القيام بأمور الخلافة من اي شعب كان تركي او فارسي او أمازيغي او

عربي. "إلى أن اضمحلّ أمر الخلافة وتلاشت عصبية العرب. فإذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب، وعلمنا أنّ الشارع لا يخص الأحكام بجيل ولا عصر ولا أمة، علمنا أنّ ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها وطلبنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية، وهي وجود العصبية، فاشترطنا في القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولي عصبية غالبة على من معها لعصرها، وإذا نظرتَ سر الله في الخلافة لم تعد هذا؛ لأنه سبحانه إنما جعل الخليفة نائباً عنه في القيام بأمور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم، وهو مخاطب بذلك، ولا يخاطب بالأمر إلا من له قدرة عليه، ثم إن الوجود شاهد بذلك؛ فانه لا يقوم بأمر أمّة أو جيل إلا من غلب عليهم، وقلّ أن يكون الأمر الشرعي مخالفاً للأمر الوجودي".

الزعيم اتاتورك

اتاتورك هو زعيم ثوري عظيم وهو من القادة العظماء النادرين في التاريخ التركي العام والانساني.

1- اتاتورك مناضل وطني قاوم الاستعمار وأفشل مخططاته وحافظ على وحدة الاناضول.

2- اتاتورك رجل دولة أسس جمهورية للشعب ذات مؤسسات حقيقية وبنية قوية تراعي مصالح المواطنين، ولذلك حدثت عدة تطورات بعد سنوات قليلة من وفاته استنادا على مبادىء الجمهورية مثل الديمقراطية والأحزاب والإعلام المفتوح وغيرها، ولم يكن شخص فاسد يسعى لمصالحه الشخصية او الحزبية او العرقية ولم يحول تركيا الى مزرعة لعائلته وأقاربه ورفاقه.

3- اتاتورك عمل نقلة نوعية لتركيا نحو دولة عصرية في التعليم والاقتصاد والفنون وغيرها وكثير من الإنجازات التي تحظى بها تركيا حاليا يعود لثورة اتاتورك فالتطور هو عملية تراكمية.

4- اتاتورك كان سياسي سابق لعصره حيث اقر إصلاحات كثيرة في عدة مجالات بعض هذه الإصلاحات حاليا تسعى الدول الاسلامية لتبنيها ومنها اتاتورك منح المرأة التركية المساواة وجميع حقوقها وسبق بذلك دول كثيرة غربية فضلا عن الاسلامية وانخفضت الأمية بنسب انفجارية وألغى الإقطاع ومنح العمال والفلاحين جميع حقوقهم والكثير الكثير ....

5- اتاتورك منح الحريات للشعب وضمن للمواطن التركي جميع حرياته الشخصية بحيث يمارس حياته بحرية مطلقة ولا تتدخل الدولة في حياته.

6- اتاتورك حرر المرأة وجعلها مواطنة مساوية للرجل.

7- اتاتورك عمل مشاريع صناعية وخدمية كبرى لعمل نهضة صناعية وفي البنى التحتية.

اما الانتقادات التي توجه نحو مؤسس الجمهورية اتاتورك اغلبها سطحية وكيدية ومبالغ فيها:

- نبدأ من الأبجدية وهذا النقد عبارة عن جهل بتاريخ اللغة التركية، فاللغة التركية عبر تاريخها كتبت بعدة أبجديات، ومع ظهور الجمهورية كان لابد من عمل إصلاحات للغة كانت حتمية فإصلاح الأبجدية تتطلب حل مشكلة الحروف والحفاظ على نقاء اللغة حيث كانت توجد مشاكل لغوية ودخلت الكثير من المفردات العربية والفارسية على حساب المفردات التركية ولم تكن المسألة خصومات مع اي احد كان بل ان المطالبة بإصلاح اللغة تمتد الى العهد العثماني. - إلغاء الدولة العثمانية وهذا نقد سطحي وخارج التاريخ، فالدولة العثمانية سقطت عمليا مع الحرب العالمية الاولى وانتهت كليا وترافق سقوطها مع سقوط الملكيات في روسيا وألمانيا والنمسا وكانت تنتظر اعلان حالة وفاتها والتي أعلنت مع بيانات حركة الاستقلال التركية، ثم انه ثابت تاريخيا ان اي دولة بالعالم تنتهي بمرحلة السقوط والنهاية.

- استخدام اللغة التركية في الأذان والصلاة وغيرها وهذا يدخل في مجال الفقه وليس العقيدة ويجوز في المذهب الحنفي الأذان والصلاة بغير العربية، ويجهل الناقدين ان الترك

ترجموا القران الى لغتهم منذ فترة مبكرة في العهد القاراخاني وكانت ترجمة تركية نقية، واذكر ذات مرة قرات ان الأذان والخطبة والصلاة في دولة الموحدين كان يتم باللغة الأمازيغية في بعض أقطار شمال افريقيا.

- الزعيم اتاتورك لم يحارب الدين ونص الدستور التركي على حرية الدين والعلمانية من ناحية الاصطلاح تعني الحيادية تجاه الاديان وليس محاربتها ولقد تبنى اتاتورك هذا المفهوم وكان متاثر بالنموذج الفرنسي وراى ان الدين علاقة شخصية بين الانسان وخالقه ولقد امر بترجمة حديثة للقران الى اللغة التركية وأمر بإنشاء وزارة للأوقاف وجميع المقاطع التي وصلتنا عن عصر اتاتورك تظهر المواسم الرمضانية والأعياد والصلوات والجوامع وغيرها.

- ما يتعلق باستخدام قوة السلطة بشكل محدود عبر القانون وهذا نقد سطحي للغاية، لا توجد دولة عبر التاريخ لم يرافق تأسيسها حدوث اعمال عنف قوية او ضعيفة ومنها الدولة العثمانية، وجميع اعمال بسط قوة السلطة المحدودة التي حدثت في عهد اتاتورك كانت مبررة ومقيدة سواء ضد اعمال عنف عصابات الشوارع ضد الدولة او اعمال عنف تستهدف وحدة الدولة وبقاؤها وجميعها انتهت بخسائر قليلة.

- الزعيم اتاتورك تبنى القومية الوطنية على غرار القومية الفرنسية القائمة على توحيد الهوية واللغة ولقد نص الدستور الذي اصدره على المساواة الكاملة بين المواطنين بغض النظر عن الدين واللغة والعرق وكان ضد العنصرية وانتقد النازية وتوجد حادثة شهيرة انه التجأ اليه علماء ألمان يهود وراسله النازيون لرد العلماء ورفض وانتقد عنصريتهم وأرسل اليه العلامة العظيم أينشتاين رسالة شكر وكان يحيط بأتاتورك مجموعة من مختلف الأصول الكردي والشركسي والبلقاني وغيرهم.

شعب الاوغوز

لقد اطلعت على مقالة بحثية جميلة منشورة بالتركية حول شعب الاوغوز قبل ظهور السلاجقة.
ذكر صاحب المقال ان اصول الاوغوز هم من غوكترك الغربية في اسيا الوسطى وهذا الرأي الشائع المعتمد بناء على تحليلات العالم الكاشغري.
وايضا ذكر الاوغوز قام على الاتحاد بين القبائل وذكر مثال شعب البجناك هم قبيلة مختلفة ومستقلة ومعروفة ولقد ذكرهم الكاشغري كشعب مستقل.
تاريخيا حدثت حرب سيطرة بين الاوغوز والبجناك انتصر فيها الاوغوز وهاجر معظم البجناك الى وسط اوربا واقاموا خانية ومن بقي منهم اعتبروا لاحقا ضمن قبائل الاوغوز وهذا ما فعله الكاشغري حيث ذكر قبيلة بجناك تابعة للاوغوز وذكر شعب البجناك عند مملكة الروم.
ولذلك نرى ان ابن فضلان اثناء رحلته الى بلاد البلغار مر بقبائل البجناك التي بقيت ونظر اليهم كشعب مستقل.
تحدث كاتب المقال عن عن التنظيم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لاوغوز يابغو.
ولقد نقل في المقال عن البيروني والكاشغري عن سكن الاوغوز في بعض المدن في شمال بلاد ما وراء النهر.
وايضا نقل عن كتابي رحلة ابن فضلان وحدود العالم.
ولكن كما نعرف كانت بلاد الاوغوز في اسيا الوسطى مجاورة لبلاد ما وراء النهر بالاجماع التاريخي وكثير من المصادر التاريخية كتبت عنهم.
بحسب كتاب حدود العالم يقع شرقها وجنوبها بلاد ما وراء النهر ومفازة غوز خراسان، ويقع في غربها وشمالها بحر الخزر ونهر آتل.
ويقول عن بحيرة خوارزم انه تحيط به مساكن الغوز من كل جانب.
نجد المصادر التاريخية متضاربة حول حياة الاوغوز ولكن يمكن الجمع بينهم بكل سهولة والقول ان شعب الاوغوز يسكن بعضه في المدن ومعظمهم من الرحل وتسودهم الثقافة القبلية ويوجد فيهم التجار.
يقول المؤرخ المسعودي " وعليها لمدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة، وفيها المسلمون، والأغلب من الأتراك في هذا الموضع الغزية، وهم بواد وحضر".
ويقول الجغرافي ابن حول النصيبي: "وبالقرية الحديثة مسلمون غير أنّها دار مملكة الغزّيّة ويقيم بها فى الشتاء ملك الغزّيّة وبقربها جند وخواره وبهما من المسلمين تحت سلطان الغزّيّة".
وفي نفس كتاب حدود العالم يقول:"وملك الغوز يأتي في الشتاء إلى قرية نو هذه".
وحتى نفهم سياق الشتاء كان للاوغوز مدينتين صيفية وشتوية يقيم فيهما حاكم الاوغوز.

وجاء من رحلة ابي دلف عن بلاد الاوغوز:
"ثم انتيهنا الى قبيلة يقال لهم الغز، لهم مدينة من الحجارة والخشب والقصب، ولهم بيت عبادة ليس فيه أصنام، ولهم ملك عظيم يستأدى منهم الخراج، ولهم تجارات الى الهند والى الصين، ويأكلون البر فقط وليس لهم بقول، ويأكلون لحوم الضأن والماعز الذكران والاناث، ويلبسون الكتان والفراء ولا يلبسون الصوف، وعندهم حجارة بيض تنفع منه القولنج وحجارة حمراء إذا مرت على السيف لم يقطع شيئا، وكان مسيرنا فيهم شهرا في أمن وسلامة".
وذكر كتاب حدود العالم ان في الاوغوز التجار ولهم اطباء كبار.

لقد اعجبتني هذه الخلاصة التي قدمها الكاتب "يمكننا أن نقول أن الأوغوز الذين سيؤسسون الدولة السلجوقية في المستقبل كانوا مرتبطين أولاً بغوكتورك الغربية ، وأنشأوا الدولة التركية في منطقة سيحون بعد انهيار غوكترك واجتمعوا في هيكل يسمى أغوز يابغو بعد انهيار هذه الدولة".

السلاجقة العظام

في عام 375 هجريا هاجر الامير سلجوق ومعه بعض قبائل الاوغوز الى بلاد ما وراء النهر وأعلن إسلامه ومن معه من القبائل.

هذه القبائل التي ذهبت معه كانت معظمها من البدو التي تمتلك قيم أصيلة وعريقة من الشجاعة والفروسية وتقديس العمل في انتاج المنتجات النسيجية والمعدنية وغيرها.

كما نقلت سابقا تقع بلاد الاوغوز بجوار بلاد ما وراء النهر يقابل حاليا معظم جغرافيا دولة كازاخستان .

يوجد تفسيرات مختلفة حول اسباب انتقال الامير سلجوق هل كان انشقاق سياسي عن مملكة الاوغوز كما ذكرت معظم المصادر التاريخية ام كانت هجرة لأسباب اقتصادية.

يجب في البداية إعطاء بانورامية عن الأوضاع في اسيا.

كانت الدولة السامانية تحكم بلاد ما وراء النهر وفي مرحلة الأفول والانهيار.

الدولة القاراخانية صاعدة بقوة وسيطرت على مساحات واسعة من شرق أسيا الوسطى.

الدولة الغزنوية صاعدة في جنوب اسيا وتمكنت لأول مرة في التاريخ الاسلامي في فتح الهند.

أعطى السلطان الساماني للأمير سلجوق الاراضي الواقعة بين سمرقند وبخارى واتخذ سلجوق من مدينة جند مركز لهم.

تقريبا في عام 389 هجريا انهارت الدولة السامانية ومع ذلك دافع الغز عن الامير الساماني الهارب حتى انهار السامانيين بشكل كامل.

تقاسم القاراخانيين والغزنويين مناطق السيادة لكل منهما.

انتقل السلاجقة الى خراسان الواقعة تحكم الحكم الغزنوي ولكن كانت توجد مشاكل واقعة بين السلاجقة والغزنويين.

كان هدف الغزنويين الرئيسي هو التركيز فتح الهند وحكمها بما تمتلكه من ثروات طائلة لا يمكن تخيلها وطبعا السلطنة الغزنوية حققت العديد من الإنجازات وليس هذا مجال ذكرها.

وهذا أوجد فرصة للأمراء السلاجقة لحكم خراسان وزيادة نفوذهم وتذكر كتب التاريخ اعجاب الخراسانيين بحكمهم.

انتهى ذلك بحدوث صدام عسكري بينهم عام 429 انتهت بانتصار السلاجقة وزيادة قوتهم في خراسان.

بعد ذلك تولى السلطان العظيم طغرلبك السلطنة عام 429 هجريا.

ثم حدثت معركة اخرى فاصلة وهي معركة دانداناقان انتهت بانتصار سلجوقي ساحق وتوطدت السلطنة السلجوقية.

لقد امتلك السلاجقة قوة مكنتهم من تحقيق هذه الانتصارات وبناء الامبراطورية وهي قوة العصبية التي تحدث عنها العلامة ابن خلدون طويلا في المقدمة.

فكروا ان بعض قبائل الاوغوز هي التي التحقت بالسلاجقة فكيف لو التحقت بهم كل القبائل او وحدوها قبل ذلك.
لقد وصلنا الان الى عهد السلطان العظيم طغرلبك وسوف نعطي صورة بانورامية اخرى.
الدولة البويهية تسيطر على العراق وإيران ومقسمة الى عدة إمارات بين الأمراء البويهيين.
الخلافة العباسية ضعيفة جدا والخليفة مجرد رمز وطرطور واصلا الخلافة العباسية ضعفت بعد عهد الخليفة المتوكل وتقسمت الى عدة ممالك وانحلت وضعفت.
وفي ذلك الوقت نشط الفاطميين في بغداد وصاروا على مقربة من إسقاط العباسيين.
الدولة البيزنطية استعادت قوتها وسيطرت على بعض الاراضي ووصلت الى قلب الشام.
اما الشام فهي مقسمة بين الإمارات المتعددة والفاطميين.
الدولة الفاطمية تسيطر على بعض الشام ومصر والحجاز وتعاني من مشاكل داخلية منذ وفاة الحاكم بأمر الله وانفصلت عنها اجزاء من شمال افريقيا.
تمكن السلطان طغرلبك من بسط سيطرة السلاجقة على مساحات واسعة وبناء امبراطورية وخطب له في بغداد وانقذ العباسيين من سقوط محتم وأعاده منصبا رمزيا كما كان.
وكما نقول بالعامية كثر الله خيرهم وهم أنقذوا العباسيين من سقوط محتم.
هنا سوف نصل الى فترة السلطان العظيم الب ارسلان.
كان هدف السلاجقة الرئيسي هو توحيد العالم الاسلامي ثم مواجهة البيزنطيين الذين استعادوا قوتهم.
وبعض المتعصبين ينشرون افكار خاطئة وباطلة عن معركة ملاذكرد وأسباب مجيء الصليبين تنم عن عدم معرفة بالأحداث التي كانت سارية في ذلك الوقت.
ركز السلطان الب ارسلان على مشروعه لتوحيد العالم الاسلامي وإسقاط الفاطميين، وعند ذلك أعلن البيزنطيين الحرب على السلاجقة ظنا منهم انها فرصة مناسبة لإسقاطهم واعدوا لذلك جيشا ضخما وتفاجأ السلاجقة بتحرك البيزنطيين الضخم وهم في مشروع اخر خاص بالعالم الاسلامي.
لقد حاول السلاجقة تفادي المعركة بالطرق السياسية ولكن اصر البيزنطيين على المواجهة.
وحدثت معركة ملاذكرد الفاصلة في التاريخ وانتصر السلاجقة بجيش صغير وتم أسر الإمبراطور البيزنطي لأول مرة في التاريخ.
واوجه أسئلة الى هؤلاء المتعصبين الذين يعدون هذه المعركة كسبب الحروب الصليبية.
ماذا تريدون أيها المغفلين هل تريدون هزيمة السلاجقة وتوسع البيزنطيين في أراضي اكبر من السابق.
وبذلك امتدت مساحة الامبراطورية السلجوقية من أقصى بلاد الروم الى حدود الصين في امبراطورية سلجوقية مترامية الأطراف.

معركة طلاس

لا يوجد دليل يدعم التغيير الجيوسياسي أو الديموغرافي الناتج عن هذه المعركة بخلاف نقل الورق. وفي الواقع ، يبدو أن تأثير تانغ على آسيا الوسطى ازداد قوة بعد 751 ، وبحلول 755 ، كانت قوة تانغ في آسيا الوسطى في أوجها. تم أخذ العديد من العوامل بعد المعركة في الاعتبار قبل 751. أولاً ، لم يبد القارلوق أبدًا بأي حال من الأحوال معارضًا للصينيين بعد المعركة. في عام 753 ، قدم يابغو الكارلوك تحت قيادة تشينغ جيانلي وأسر A-Busi ، وهو مرتزقة صينية خيانة لرئيس تونجلو (تييلي) (الذي انشق في وقت سابق في 743) ، وحصل على لقبه في المحكمة في 22 أكتوبر.

كتب المؤرخ الصيني المسلم باي شوي أنه علاوة على ذلك ، في نفس الوقت الذي حدث فيه تالاس ، أرسل تانغ أيضًا جيشًا من مدينة شيباو في تشينغهاي إلى سوياب وعزز السيطرة الصينية على تورغش. التوسع الصيني في آسيا الوسطى لم يتوقف بعد المعركة. اجتاحت القائد الصيني فنغ تشانغ تشينغ ، الذي تولى المنصب من غاو شيانزي عبر وانغ زينججيان ، منطقة كشمير تقريبًا واستولى على جيلجيت بعد ذلك بقليل. حتى طشقند أعادت تأسيس موقعها التبعي في عام 753 ، عندما منح تانغ لقبًا لحاكمه.

من المؤكد أن النفوذ الصيني في غرب جبال بامير لم يتوقف نتيجة المعركة. استمرت دول آسيا الوسطى الخاضعة لسيطرة المسلمين ، مثل سمرقند ، في طلب المساعدة من تانغ ضد العرب على الرغم من تالاس ، وبالتالي في عام 754 ، أرسلت جميع الممالك التسع لتركستان الغربية عرائض إلى تانغ لمهاجمة العرب واستمر تانغ لرفض مثل هذه الطلبات كما فعلت لعقود.

فرغانة ، التي شاركت في المعركة في وقت سابق ، انضمت في الواقع بين مساعدي آسيا الوسطى مع الجيش الصيني تحت استدعاء ودخلت قانسو خلال ثورة آن لوشان في 756. كما أشار باي إلى أن العلاقات بين الصين والعرب لم تسوء ، حيث استمر العباسيون ، مثل أسلافهم (منذ 652) ، في إرسال سفارات إلى الصين دون انقطاع بعد المعركة. أسفرت هذه الزيارات بشكل عام عن 13 هدية دبلوماسية بين 752 و 798. لم تتحول جميع القبائل التركية في المنطقة إلى الإسلام بعد المعركة أيضًا - فقد كان تاريخ تحولهم الجماعي إلى الإسلام في وقت لاحق ، في القرن العاشر تحت حكم القاراخانين.

على أن الأغرب من ذلك هو تجاهل المؤرخين المسلمين لهذا الحدث، فلم يعطه الطبري، مثلاً، أكثر من سطور قليلة، وسمى النهر الذي وقعت على ضفافه المعركة نهر طراز. كما لم يدخل شعراء العصر على السفاح مهنئين.

والاغرب انه لا الطبري ولا الأعمال التاريخية المبكرة في التراث العربي التي وصلت إلينا بشكل عام تذكر ذلك والمؤرخ ابن الاثير تحدث عنها بشكل عابر وخصص أربعة اسطر عنها.

مشاهدات السفير الصيني عن مملكة اليوغور

في عام 981 م ارسل امبراطور سلالة سونغ وفد الى تركستان وتحديدا الى مملكة اليوغور البوذية، وضم الوفد عضو القصر وانغ ين تي وصديقه كاو تشانج، ولقد اكتملت رحلته وعاد إلى الصين عام 984 م وبعد عودته قدم تقرير عن رحلته للإمبراطور في العاصمة الصينية.

1-التماسك الاجتماعي والرفاهية:

قال عنهم: "لا يوجد فقراء في هذه الأرض.

أنها توفر المساعدة الغذائية للمحتاجين.

الناس يعيشون لفترة طويلة. عادة ما يصل عمرهم إلى مائة عام.

لا يوجد موت في سن مبكرة.

استخدم الناس قماش الحرير الثمين للارتداء

استخدموا الذهب والفضة للأواني.

كل الفقراء يأكلون اللحوم". (الفقراء في الصين لا يستطيعون أكل اللحوم)

2- المدن التركية:

قال عن مدنهم: "في مدينة بيشباليق، كانت معظم المنازل من طابقين وتم تبييض جميع المنازل.

الأتراك يزرعون بشكل مكثف. استخدموا المياه بشكل فعال ، خاصة في الزراعة والمطاحن.

(يسير النهر من جبال تشينلينغ في جميع أنحاء العاصمة ، ويروي الحقول والبساتين ويدير طواحين المياه. ينمو Wu-ku (خمسة حبوب) في هذا المكان).

هناك العديد من المباني المكونة من طابقين في المدينة. الناس هم أصحاب حسن الخلق والحرفية".

ملاحظة: بيشباليق واحدة من المدن التركية ويوجد مدن اكبر منها

3- الأعمال الحرفية:

قال عن أعمالهم الحرفية: "كانوا يعملون في أوعية الذهب والفضة والنحاس والحديد.

كان هناك نوع من الصناعة الكيميائية. تم استخدام الأمونيا التي ينتجونها في أعمال الجلود.وانهم ينتجون سلع قيمة".

4-الأداب والفنون:

قال عن فنونهم: "كان هناك طعم وانتشار للموسيقى في الأتراك. سوف يستمتعون بفعل ذلك بكميات كبيرة.

كانت هناك أيضًا مسارح وممثلين جعلوها مهنة. (ثم كان هناك مسرحية ، عزفها الموسيقى والمشروبات والمآدب والعروض حتى منتصف الليل.

في اليوم التالي ، كان لدينا رحلة بالقارب. كانت الطبول تعزف في جميع أنحاء البحيرة".

وتحدث عن مكتباتهم العامرة وانه رأى وجود المصادر الكونفوشيوسية في المكتبات اليوغورية.

5- زيادة الثروة:

قال عن ثروات اليوغور: "لم يفلت رفاهية الأتراك من أعين السفير. كان أكبر ثروة في تلك الفترة أكبر من أن يحسب قطعان المراعي والحيوانات. كاعان وتيكين لم يعرفوا عدد بضائعهم.

(كان ملكهم (أرسلان هان) يصنع الخيول والأغنام ليأكلها ، لقد كان لذيذاً للغاية ، [هذا] الخيول في الأرض كثيرة.

لكل من الملك (هان) والأميرات وفاليات قطعان من الخيول. يرعون [قطعان] على السهل المسطح [الذي] يزيد عرضه عن ألف لي.

يميزون لون جلد [الخيول] مع قطيعهم. لا أحد يعرف عدد القطيع".

6- تعدد الأديان:

قال عن تعددية الاديان والطوائف لديهم: "هناك أكثر من خمسين ديرًا بوذيًا لديها.

يوجد 166 دير للمانوية".

كان المجتمع التركي مجتمع متعدد الاديان حيث توجد الاديان التنغرية والبوذية والمانوية وغيرها وكان الجميع متساويين في المعاملة والتقاضي والحقوق.

7- مكانة المرأة:

قال عن وضع المراة عندهم: "وفقًا لعاداتهم، فإن معظم نساء اليوغور يركبون الخيل ويطلقون السهام".

تصورات سطحية حول أشكال الحضارات التركية

من الأمور الخاطئة التي يقع فيها بعض الاتراك وحتى معظمهم من انصاف المتعلمين هو تقديم صورة سطحية ومغلوطة عن تاريخ الشعوب التركية وحضاراتها المختلفة وتجاهل مراحله وتطوراته وحضاراته المختلفة التي جرت على مدار اكثر من الفين عام.

وللأسف هذه الاخطاء الشنيعة استغلها العنصريين والمعادين للشعوب التركية.

فالاحاطة بشئ معين يتطلب التخصص والتعمق في البحث والقراءة وليس يعني ان شخص ما ينتمي الى هوية معينة انه مباشرة سوف يرضع كل تاريخه من والدته، فالمصري العادي يحتاج الى ان يقرأ في الكتب الذي كتبها علماء المصريات حتى يعرف تاريخه وابرز من كتبوا وبحثوا في علم المصريات هم غربيين.

وللأسف بسبب غياب ترجمات كتب النخب التركية وتصدر العوام وانصاف المتعلمين انتشرت هذه المغالطات والأخطاء.

وانا شخصيا لقد استفدت كثيرا من الاطلاع على مواقع وصفحات كوكبة من العلماء الاتراك عبر استخدام مترجم قوقل لمعرفة وفهم مراحل التاريخ التركي فضلا عن الاطلاع على المصادر الغربية.

وفيما يتعلق باحدى جوانب الحضارة التركية وهي العمارة فالعمارة هو مجرد جانب حضاري وليس الكل كما يخطئ الكثير.

لقد تطورت العمارة عند الشعوب التركية على مدار اكثر من الفين وخمسمائة سنة سواء عمارة المنازل الثابتة او عمارة المنازل المتحركة في شتى المناطق في السهوب الاوراسية الشرقية والغربية وفي اسيا الوسطى واسيا الداخلية وسيبريا وشرق اوربا وغيرها..

وسوف أبدأ بالسهوب الاوراسية نظرا لأنه يكثر حولها المغالطات والأخطاء:

عندما يتحدث العلماء عن نمط الانتاج في السهوب الاوراسية وانها قائمة على الرعي فهؤلاء العلماء لا يقصدون الصورة السلبية التي تقفز الى ذهن المواطن في الشرق الاوسط والذي توجد لديه قطيعة جغرافية تمنعه من فهم المناطق الاخرى المختلفة في اسيا الداخلية.

انما يتحدث العلماء عن الجانب الاقتصادي وانه اقتصاد يعتمد بشكل أساسي على الرعي حيث يعتبر الرعي من اهم الموارد الشائعة في السهوب حيث الاراضي القاسية جدا وتعتبر من اقسى الاراضي في العالم.

حيث استطاعت شعوب السهوب التكيف مع هذه الاوضاع القاسية وتطوير نمط الاقتصاد الرعوي وتأسيس الممالك والامبراطوريات وحضارات مختلفة وممارسة الزراعة فيما يعرف بالزراعة الرعوية وانشاء مدن ومستوطنات حضرية تتكيف مع البيئة العامة للسهوب حتى اسماه العلماء العارفين بالاستقرار الرعوي منذ عصر مملكة شيونغو مرورا بامبراطورية غوكترك الى خانات احفاد

اسرة يوان حيث مرت بثقافات وحضارات بل ما قبل شيونغو من ثقافات وحضارات مثلا حضارة شيماو الغامضة تقع في السهوب.

وهذه بعض الصور من تاريخ السهوب:

مدينة خارا خوتا والتي ازدهرت في عصر الامبراطورية المغولية التترية:



معبد ستوبا بوذي يعود الى عصر مملكة الخيطان:



في عام 821 م زار سفير من الدولة السامانية اسمه تميم بن بحرمدينة أوردو باليق عاصمة خاقانية اليوغور الواقعة في منطقة نهر اورخون وقال "انها مدينة كبيرة الحجم ومكتظة بالسكان و مزدحمة بشكل كثيف ولديها أسواق تتوفر فيها مختلف المهن ".

ولقد اكتشف علم الاثار بعض الجوانب المخفية من هذه المدينة القديمة.

وايضا اكتشف علماء الاثار اثار مدن ومعابد ومقابر ونقوش واعمال حرفية ونسيجية وغير ذلك تعود الى عصور غوكترك وشيونغو وجوان جوان وغيرهم.
وذكر كتاب حدود العالم عن خاقانية الخزر :" وهي بلاد ذات نعم وفيرة، عامرة ذات تجارات واسعة، ترتفع منها الثيران والخراف والرقيق بكثرة... مدن في بلاد الخزر، جميعها ذوات أسوار حصينة ونعم ".
وفي التقرير الصيني عن مملكة اليوغور الذي يعود للقرن العاشر الميلادي ومما جاء فيه: "في مدينة بيشباليق، كانت معظم المنازل من طابقين وتم تبييض جميع المنازل".

ونستطيع الحديث عن انماط المنازل الكاشغرية والخوتانية والطاشقندية والتوربانية والسهوبية وغيرها
وعن الانماط المعمارية مختلفة سواء اليوغورية والقاراخانية والتترية والسلجوقية والعثمانية والتيمورية وغيرها
هنالك شتى انماط الحضارات التركية المختلفة التي تعاقبت خلال اكثر من الفين سنة في مناطق السهوري الاوراسية الشرقية والغربية وفي اسيا الوسطى واسيا الداخلية وسيبريا وشرق اوربا وغيرها.
سوف اذكر جانبا من هذه الجوانب التي تطورت خلال مسيرة الحضارات التركية

المنزل الكاشغري القديم:



وتتكون معظم منازل كاشغر من طابقين أو ثلاثة طوابق. عادة ما يكون كل منزل مجهزا بدرج يؤدي إلى قمة المبنى. يتميز الطوب الطيني بأنماط اويغورية مع زخارف منحوتة بالزهور.
يحتوي كل منزل على فناء يختلف حجمه حسب التضاريس. تزرع جميع الساحات أشجارًا وزهورًا إسلامية شهيرة ، مثل التوت ، والتين ، والرمان ،واللوز ، والعنب ، والورد ، أو وردة الصين.
الساحات مظللة بشكل كبير ، مما يوفر بيئة هادئة للاسترخاء. داخل الساحات الكبيرة.

وهذا قصر طاش خولي في خيوز بخوارزم المتاثر بالطابع التيموري:





وأما بالنسبة للمنازل المتحركة المعروفة باسم اليورت
فهي ظهرت قبل الالاف السنين وتطورت مع الحضارات التركية المتعاقبة سواء من حيث الحجم والاشكال الفنية وكانت تختلف احجامها باختلاف الطبقات منزل الخاقان عن منزل القائد العسكري ومنزل الانسان العادي وغير ذلك
ومثلا يورت الخاقات يتسع لآلاف الاشخاص وايضا يورت الكورلتاي كان كبير المساحة وغير ذلك.
ولقد كانت الحواضر التركية عبر التاريخ تقبل بوجود منازل اليورت مع المساكن الثابتة في نفس المكان
مثلا ذكرت المصادر التاريخية والدراسات الاثرية التي اجريت على مدن الخزر بوجود منازل اليورت في داخل مدنها.
وفي تاريخ الامبراطورية المغولية وما تلاها توجد مدن كانت تحوي منازل اليورت مع المنازل الثابتة.

وهذه صورة تقريبية لمدينة كاراكورم:



وتذكر المصادر الصينية القديمة ان بعض امراء تانغ قاموا ببناء منازل اليورت في داخل القصور وكانت تحظى لديهم بالاعجاب الشديد.
اما ما يقال من مغالطات حول اقتباس بعض الجوانب من شعوب اخرى والاضافة عليها.
هذا لا يعد شتيمة بل فضيلة وتفاعل ايجابي.
فالحضارات بشكلٍ عام تقوم على مبدأ التراكمية.
مثلا كوريا واليابان اقتبسوا من الصين تعاليمها الكونفوشيوسية والعمارة والبوذية الصينية واضافوا عليها وطوروها ولا تجد عالم عاقل يقول عنها حضارة صينية لا يقولون حضارة يابانية وحضارة كورية.
والشعوب الجرمانية اقتبسوا من الحضارة الرومانية خلال العصور الوسطى كالعمارة والعلوم والقوانين وغير ذلك واضافوا عليها وطوروها واسمها العلمي هو الحضارة الجرمانية المسيحية.
والحضارة الرومانية نقلت من الحضارة اليونانية النمط المعماري والعلوم والفنون وغيرها وطوروها واضافوا عليها.
واما فيما يتعلق باللغة والمغالطات التافهة التي تثار حول نقل المفردات.
فاللغة هي امر غريزي عند الانسان لعمل تواصل.
ونظرا لحدوث تفاعلات مختلفة بين الشعوب يحدث عملية نقل بين مفردات اللغات المختلفة.
مثلا تبلغ نسبة المفردات اللاتينية في اللغة الانجليزية حوالي 30٪
وايضا توجد تاثيرات عربية وتركية على اللغة الفارسية.
وهذه مجرد امثلة للتوضيح.
واذا كان المقصود بذلك الطعن في اللغة التركية
فالرد في ابسط السهولة
وهو انه يوجد للاتراك قواميس لغوية قديمة من اشهرها موسوعة ديوان لغات الترك تحتوي على الالاف المفردات في كل المجالات.
ومثلا الشاعر الصوفي الكبير يونس ايمره الاغلبية الساحقة من المفردات المستخدمة في دواوينه هي تركية بحتة.

هذا فضلا عن المخطوطات والنقوش التركية القديمة وغير المرتبطة بالتاريخ الإسلامي.
وما يثار حول تركيبة اللغة التركية العثمانية هو مجرد مغالطات وجهل وعدم معرفة بالسياق والتطورات.
لاحقا في عملية الاصلاحات اللغوية التي جرت مع قيام الجمهورية قاموا بعمل قواميس باللغة التركية الأناضولية المحلية غير الرسمية وعادوا للمصادر التركية غير العثمانية واجروا اصلاحات كثيرة وقاموا بتصفية الكثير من المفردات غير التركية.
ولقد اثرت اللغة التركية على اللغات الفارسية واللهجات العربية ولغات اخرى.
ممكن في اللغة الفصحى حدث في التاريخ الاسلامي من قبل اللغويين تشدد يقوم بتصفية المفردات.
ولكن في اللهجات العربية المحلية هذا الامر غير موجود.
هؤلاء المتعصبون بدل من ان يبرز هذا التفاعل الايجابي بين الشعوب الاسلامية لترسيخ التعايش والاخاء.
وعدم التدخل في الاصلاحات اللغوية التي تعملها الدول الاسلامية المختلفة واعتبارها شأن خاص وهي كذلك.

الجدل حول الامبراطورية الجنكيزية

ان الامبراطورية التترية المغولية هي امبراطورية تركية قلبا وقالبا وبجذورها وفروعها.

عند النظر الى المصادر التاريخية القديمة مثل الجويني والهمداني والنسوي وابن الاثير وغيرهم، والتي كانت بعيدة عن التأثيرات السياسية المعاصرة وبعيدة عن الحساسيات الطائفية. نجدهم يقولون ان الامبراطورية التترية هي امبراطورية تركية واعتبروا قبيلة المغول من قبائل الترك.

وسوف اذكر الأسباب القطعية:

1- الخانات والقبائل التي وحدها جنكيز خان هي تركية ومغولية مندمجة مع بعضها مثل كيريت وميركيت والنايمان واونجود وغيرهم.

والقبائل التركية كانت تسكن في السهوب الشرقية منذ اقدم العصور.

2- الجيش المغولي التتري هو ذاته كان يرسل الى الاتراك في البلاد الاخرى ويقولون لهم نحن وأنتم شعب واحد وهذا قالوه للقفجاق.

وايضا اثناء اجتياح المغول للامبراطورية الخوارزمية حاول بعض الاتراك المسلمين في بلاد ما وراء النهر الانضمام الى المغول وقالوا لجنكيز خان نحن وأنتم شعب واحد.

واليك المصادر:

نقل ابن الاثير عن احداث غزو المغول لبلاد القفجاق: "فأرسل التتر إلى قفجاق يقولون: نحن وأنتم جنس واحد".

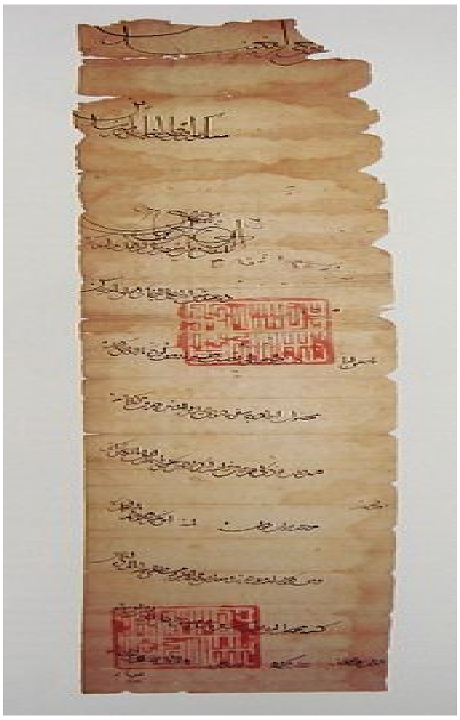
وايضا نقل ابن الاثير عن احداث غزو المغول لبلاد ما وراء النهر: "فلما رأى الباقون من الجند والعامة ذلك ضعفت نفوسهم وأيقنوا بالهلاك، فقال الجند، وكانوا أتراكا: نحن من جنس هؤلاء ولا يقتلوننا".

3- شكل الاويغور الجهاز البيروقراطي للامبراطورية التترية وفروعها طوال تاريخها منذ عصر جنكيز خان.

ولقد قرأت عدة دراسات جميلة حول هذا الموضوع الشيق.

4- تحولت اللغة التركية في عصر الامبراطورية التترية الى لغة عالمية شائعة الاستخدام في كل الاقاليم كما ذكر ذلك الرحالة والمصادر التاريخية في ذلك العصر.

وهذا مرسوم من خان الايلخانية كيخاتو صادر باللغتين التركية والفارسية:



وتوصلت الابحاث الاثرية الى اكتشاف الكثير من النقوش والمخطوطات التركية المكتشفة في مناطق شعب الاونجود والجغتائية وغيرهم.
5- لقد قدمت الامبراطورية التترية على انها وريثة التاريخ التركي السابق لهم سواء الاسلامي او غير الاسلامي.
6- الترك والمغول هم قومية واحدة. ويوجد تشابه كبير جدا في اللغة والمعجم والاساطير والدين الاصلي وغير ذلك.
وهذا الذي تم ذكره في المصادر التاريخية القديمة.
هم فعلا مثل عدنان وقحطان عند العرب ومثل السلاف الشرقيين والسلاف الغربيين عند السلاف.
هذا الامر يتطلب حاليا شجاعة والابتعاد عن الحساسيات السياسية والطائفية.

لست ادري، لماذا يهرب بعض الناس في تركيا من حقيقة وجود علاقة مؤكدة وقطعية مع الامبراطورية المنغولية، وبينما يسعون الى تأكيد الارتباط مع عصور اخرى مثل السكيث.
من الناحية الحضارية، لقد كانت حضارة الامبراطورية المنغولية هي اضخم بمراحل كثيرة من حضارة السكيث.
ولقد احتوت الامبراطورية المنغولية على مدن ضخمة المساحة والسكان مثل ساراي باتو وخان باليق والسلطانية وغيرها.
ولقد قدمت الامبراطورية المنغولية تراث معرفي ضخم ومكتوب بعدة لغات مختلفة، واشتهرت ببناء المراصد ودعم العلماء والحرفيين وغير ذلك.
ومن الناحية العسكرية، الامبراطورية المنغولية هي اضخم امبراطورية التي عرفها التاريخ من حيث المساحة او مساحة الاراضي المتصلة.

وكانت الامبراطورية المنغولية شبه علمانية ومتسامحة مع جميع الاديان، وسعت الى عمل عولمة مبكرة من خلال انشاء اكبر خطوط بريدية في العصور الوسطى، ومحاولة عمل ابجدية واحدة لجميع لغات العالم وغير ذلك.

وتمثل الامبراطورية المنغولية مرحلة الذروة في امبراطوريات السهوب الاوراسية منذ عصر مملكة شيونغو.

بحيث ساهمت الامبراطورية المنغولية في نشر تأثير حضارة السهوب على العالم في مجالات الحكمة والقانون والادب والعسكرية وغيرها.

ولذلك تأثرت أسس الامبراطورية العثمانية بالايلخانية والسلجوقية.

وكانت شخصية جنكيز خان حاضرة بشكل كبير في المخيال السياسي العثماني.

ولقد أكد الزعيم اتاتورك على اهمية ومحورية تاريخ الامبراطورية المنغولية في التاريخ التركي العام.

عصر الهون في أوربا واسيا

ليس مصادفة حدوث تقارب المراحل الزمنية لهجرات قبائل الهون في اوراسيا وايضا ظهور امبراطوريات الهون في اوراسيا خلال القرنين الرابع والخامس من الميلاد.
ويمكن اعتبار القرنين الرابع والخامس الميلادي هما "عصر الهون" وفق كل المعايير.
وفيما يتعلق بممالك الهون في اسيا الوسطى والتي وصلت توسعاتها الى جنوب اسيا والهضبة الايرانية.
لدينا مصدر تاريخي يرصد صراعات الامبراطورية الساسانية مع ممالك الهون وهو كتاب ملحمة الشاهنامة للفردوسي.
ولقد ربطت ملحمة الشاهنامة ما بين الاتراك وممالك الهون ربطا كاملا.
تذكر الشاهنامة أنه في عصر الشاهنشاه بهرام جور جرت معركة مع مملكة الكيداريين، حيث قام الكيداريين بمحاولة التوسع في اراضي ايران الشرقية "خراسان"، يقول الفردوسي في هذا السياق: "وجاء الخبر الى بهرام بدخول الخاقان الى ممالك إيران ... وهرب بهرام ثم ارسل الموبذ الى الخاقان بالاقرار بدفع الخراج له وتسليم البلاد اليه ... وفرح الخاقان بذلك وقال لأمراء الترك: من يستطيع ان يسيطر على بلاد ايران بغير قتال سواي ...".
ويذكر الفردوسي احداث صراع الامبراطورية الساسانية مع امبراطورية الهفتاليين في عصر الشاهنشاه بيروز الاول: " وتجهز بيروز لقتال ملك الترك خوش نواز .... وقال الخاقان لبيروز: لقد كان جدك بهرام أفخم منك أمرا وأعظم منك قدرا، ولم يكن في ملوك ايران مثله في الروعة والجلال والشهامة والصرامة. وقد رضي بهذه القسمة العادلة بين المملكتين، وهذا عهده معنا ... فإنك ان فعلت ذلك اضطررت الى جر الجنود لقتالك والاستعداد للقائك، فعد وأنذر .... وأرسل الخاقان رسولا آخر الى بيروز يحذره من عاقبة الغدر ويحذره من مخالفة اتفاقية جده .... ساق الخاقان جنوده الى معسكر بالقرب من سمرقند وأمرهم بحفروا بجانب المعسكر حفرة عميقة مثل الخندق وغطوها بالتراب ... وتقابل الجيشان وسقط بيروز مع اخيه هرمز ووولده قباذ وجماعة من امراؤه وقادته في الحفرة العميقة ... واخذ الخاقان من سقطوا في الحفرة وأسرهم ... وهجم على الايرانين وقتلهم وأسر بعضهم، وغنم اسلحتهم واموالهم، وعاد الخاقان الى بلاده منتصرا في المعركة ... ".
بعض الدراسات التاريخية تضع فرضية تاريخية راجحة حول سر نجاح التوسع السريع الخاطف للخاقان العظيم استيمي في بلاد ما وراء النهر واندماج الصغديين السريع مع سلالة أشينا.
وهو ان هؤلاء الصغديين هم من قبائل الهون التي استقرت في بلاد ما النهر وشكلوا الطبقة الارستقراطية في المدن ولذلك سرعان ما اندمجوا مع سلالة أشينا.

وبل حتى بعض المصادر التاريخية الوسيطة تذكر معلومة ملفتة للنظر، وهي ان بعض الصغديين في بلاد ما وراء النهر كان يمكن تمييزهم عن باقي الصغديين من حيث ثقافتهم التي تشبه الثقافة التركية، وعلى الأرجح هؤلاء الصغديين احتفظوا بجزء أساسي من ثقافتهم الأصلية الهونية.

وتوجد شواهد تاريخية على ذلك عديدة.

مثلا من اسباب تجذر وجود الامبراطورية الغزنوية في باختيريا وتوسعاتها الناجحة في جنوب آسيا، هو وجود قبائل الخلاج التركية التي استطاع السلالة الغزنوية تجنيدهم بكل سهولة في فتوحاتها.

ويذكر العالم والفيلسوف البيروني معلومة مثيرة للاهتمام حول وجود أشخاص من سلالة ترك شاهي اشينا في غزنة.

ويمكن أيضا التوصل الى استنتاج ان انتشار القبائل التركية في اوراسيا قد شكل عامل كبير في نجاح توسعات الامبراطورية الجنكيزية.

الإشكاليات حول تاريخ السلطان محمود الغزنوي

من الناحية التاريخية يعتبر السلطان محمود الغزنوي من اعظم الشخصيات القيادية في العصور الوسطى واحد اعظم الفاتحين واشهر القادة في الامبراطورية الغزنوية وايضا هو مؤسس عصر هندوستان الاسلامية.
ولقد كان السلطان محمود الغزنوي شاعر وكاتب و مؤلف للكتب ويهتم بالمطالعة في العلوم والفلسفة وجمع العلماء في بلاط قصره وغير ذلك.
وكانت مدينة غزنة عاصمة الدولة الغزنوية تنافس مدن بغداد والقاهرة وقرطبة في حينها من حيث وجود العلماء والمدارس والمكتبات والقصور والحدائق وغيرها.
ومن ضمن الاشكاليات التي تثار حول السلطان محمود الغزنوي هو تحيزاته لمذهب السنة ومواقفه الاقصائية ضد المذاهب غير السنية والانتهاكات وممارسة القمع ضد الهندوس وهدم المعابد وغيرها.
ولكن مهلا ...
كل هذه الاشكاليات هي حقائق وأخطاء غير قابلة للتبرير.
ولكن السلطان محمود الغزنوي لم يخرج عن سياقات العصور الوسطى.
وعلى سبيل المثال: الخليفة العباسي الشهير عبدالله المأمون.
هو الذي اشرف على اكبر حركة ترجمة في العصور الوسطى وبنى المكتبات والمراصد وغيرها.
وفي المقابل لقد كان المأمون متعصب لمذهب المعتزلة ومارس القمع ضد المذاهب الاخرى في "فتنة خلق القران"، وطلب من صابئة حران ان يختاروا ما بين اعتناق الاسلام او القتل، وايضا مارس قمع شديد ضد المسيحيين الاقباط في مصر، وغير ذلك.

هوية جلال الدين الرومي

عندما يُثار موضوع الشاعر الصوفي العالمي جلال الدين الرومي، نجد أن بعضهم يطرح في كل مرة السؤال المثير للجدل: هل الرومي تركي أم إيراني؟

ومع أن الرومي أجاب عن سؤال الهوية في تراثه الأدبي، فقد قال:
حتى لو كتبتُ بالهندية، فإن أصولي تركية...

الهوية تتجاوز مجرد النسب والتحليل الجيني، بل هي تتشكل وفق الجغرافيا والثقافة والمجتمع.
هذا فضلا ان تراث الرومي الصوفي يتجاوز الانتماءات المحلية إلى فضاءات إنسانية أوسع من ذلك، ولقد انتشر تراث الرومي خلال العصر العثماني في بلاد الهند والشام والحجاز وايران واسيا الوسطى وغيرها.

والحقيقة التاريخية هي أن جلال الدين قد عاش معظم حياته منذ طفولته في بلاد سلطنة سلاجقة الروم، واندمج مع المجتمع التركي الأناضولي.
وإذا عدنا إلى كتب التاريخ، فسنجد أن المؤرخين عندما يذكرون نسب الرومي، ينقلون أنه من جهة والده ينتمي إلى الخليفة أبي بكر الصديق، ومن جهة والدته ينتمي إلى سلالة خوارزمشاهي، لذا فهو ذو أصول تركية جزئيًا.

صحيح أنه وُلد في مدينة بلخ الخراسانية، وكانت الفارسية اللغة الأم لعائلته، ولكن لا ينبغي أن نغفل أن اللغة الفارسية كانت اللغة الرسمية المعتمدة في الممالك التركية، كما كانت اللغة اللاتينية اللغة الرسمية المعتمدة في الممالك الجرمانية خلال العصور الوسطى.

ومع ذلك، هناك بعض الأبيات لجلال الدين الرومي التي كتبها باللغة التركية الخاقانية وليس باللغة التركية الاوغوزية، وهي اللغة المتداولة في آسيا الوسطى وليس في الأناضول، وهذا يدل دلالة غير مباشرة على أن جلال الدين الرومي استخدم اللغة التركية في حياته اليومية وتعلمها من موطنه الأم.

ومن الأمور الأخرى أن الرومي استعار الكثير من الثقافة التركية وأدخلها في الطريقة الصوفية المولوية، كتبجيل الرقم تسعة والرقص الشاماني الدائري مع الموسيقى وغيرها، مما جعل الطريقة المولوية ذات طابع تركي بحت.

كما أن معظم تلامذة الرومي الذين حملوا أفكاره ونشروها في الأناضول والعالم الإسلامي كانوا من الأتراك. لذلك، نجد أن استخدام اللغة التركية قد ازداد في التراث المولوي لدى أحفاد جلال الدين الرومي الاوائل من خلال جيل واحد.

يُثير البعض ملاحظات تاريخية حول سيرة جلال الدين الرومي، كتعاونه مع الإمبراطورية المغولية، ولا أدري إن كان هؤلاء النقاد يريدون من الرومي تعريض حياته للخطر وضياع هذا التراث الأدبي والفني.

لقد تعامل جلال الدين الرومي مع الواقع، إذ وفرت إمبراطورية جنكيز خان الأمن والسلام، ولأنه كان فقيهًا حنفيًا، فإن المذهب السني يحرم الخروج على الحاكم ويقدم اولوية السلام على الخروج واشاعة الفوضى.

وإذا نظرنا إلى السياق التاريخي، نجد أن الجميع في تلك المرحلة قد نظروا إلى إمبراطورية جنكيز خان ضمن التاريخ التركي العام، بحيث اعتبروا أن تراجع الدولة السلجوقية لصالح الدولة الجنكيزية مجرد تغيير في السلالة وليس زوالًا للدولة التركية.
هناك من ينتقد جلال الدين الرومي لنظرته المُزدريّة للمرأة، ومع أن هذه النظرة لم تُشكّل استثناءً من التفسير المُحافظ في العصور الوسطى الذي حصر وجود المرأة في المنزل فقط، إلا أن الفلسفة الغنوصية والصوفية سعت إلى تطهير الجسد من الذنوب والشهوات، وربطت المرأة بالشهوات، مما أدى إلى تراجع مكانة المرأة في الفكر الصوفي.

أسلاف الشعوب التركية

يمكن تتبع أسلاف الأتراك المباشرين من خلال عدد من المصادر، مثل:
1- الملاحم التركية المتناقلة شفويًا عبر أجيال طويلة ومن العصور القديمة، والتي سُجِّل معظمها في العصور الوسطى.
2- السجلات الصينية التي بحثت في تفاصيل ممالك السهوب المجاورة للصين، وتقاليد التدوين التاريخي في الصين تعود إلى أكثر من 2500 عام.
3- علم الآثار، الذي يدرس بقايا الممالك القديمة والثقافات الأقدم، إلخ.
4- الدراسات التاريخية الحديثة.
5- التحليلات الجينية الوراثية وتعقب انتقال جينات الشعوب القديمة إلى الشعوب الحديثة.
إذا عدنا إلى السجلات الصينية القديمة، فسنجد أنها حددت مجموعة من الأسلاف المباشرين للأتراك، مثل:
هيونغو، دينغلنغ، جيكو، شينلي، سو، شونيو، بيدي، تييلي، إلخ.

سأتطرق إلى شعب دينغلنغ، حيث وصفتهم السجلات الصينية القديمة بأنهم أصحاب العربات العالية.
اكتشف علماء الآثار عربات طويلة في ثقافات قديمة في أراضي جبال ألتاي، تعود إلى العصر البرونزي وأوائل العصر الحديدي، مثل ثقافات بازيريك وتاغار، وغيرها.

تُقدم هذه الاكتشافات الأثرية أدلة علمية على التواصل الثقافي بين ثقافات ألتاي خلال اقدم العصور والشعوب التركية القديمة.

كما نرى، هناك توافقٌ ملحوظ بين السجلات الصينية والملاحم التركية والدراسات الأثرية على اعتبار ألتاي موطنًا ساهم في تشكيل الوعي الجماعي للأتراك الأوائل، والذي تبلور بشكل عام في منغوليا وسيبيريا وجونغاريا، وصولًا إلى بحيرة بايكال شمالًا وصحراء جوبي جنوبًا.

سيحاول بعض المتطرفون الآريون الذين يتبنون أفكارًا معادية للأتراك الرد على هذا بطريقة موضوعية، ويدّعون، على سبيل المثال، أن ثقافة بازيريك هي ثقافة إيرانية 100% نظرًا لوصفها بالثقافة السكيثية.

الرد على هؤلاء المتطرفين الآريين سيكون كما يلي:

أولاً: أقدم مرجع تاريخي تحدث عن السكيثيين، وهو تاريخ هيرودوت، لم يذكر أنهم شعب واحد،

بل تحدث عن عالم واسع يجمع بين عناصر ثقافية وجغرافية متشابهة، ويضم شعوبًا مختلفة اللغات والأصول. وقد أكد هيرودوت أن السكيثيين الغربيين في سهوب البنطس كانوا مختلفين عن السكيثيين الشرقيين.

يذكر المؤرخ هيرودوت أن السارماتيين والأمازونيات تعلموا لغة السكيثيين الغربيين، وبما أن السارماتيين كانوا يتحدثون لغة إيرانية، فإن السكيثيين الغربيين كانوا يتحدثون لغة إيرانية، ويمكن إضافة شعب الماساجيتا إليهم، حيث ذكر هيرودوت أنهم من نفس العرق السكيثي، ووفقًا لبعض المؤرخين اليونانيين القدماء، فإن الماساجيتا كانوا يتحدثون لغة شبه سكيثية. مع أن هيرودوت ذكر أن السكيثيين الغربيين لم يتمكنوا من معرفة لغة وعرق الأمازونيات لاختلافهم عنهم في الأصل، إلا أننا سنعتبرهم قد اندمجوا في هوية واحدة مع السارماتيين.

كما ذكر المؤرخ هيرودوت وجود مجموعة من الشعوب المختلفة داخل العالم السكيثي، تنحدر من أصول مختلفة وتتحدث لغات مختلفة، مثل:
1- الأرجيبيون، الذين يتحدثون لغتهم الخاصة، ويستخدمون أسلوب اللباس السكيثي، ويعيشون على ثمار الأشجار.
2- الأندروفاجوي، الذين يرتدون ملابس مشابهة للسكيثيين، ولديهم لغتهم الخاصة.
3- الميلانشلاينوي، وهم من عرق مختلف وليسوا سكيثيين، ويمارسون نفس عادات السكيثيين.
4- الجيلونيون، وهم من أصل يوناني، بينما لا يستخدم البودينويون نفس لغة الجيلونيين، ولا يتشابهون في أسلوب حياتهم.
٥- الأصول المختلفة للإسيدونيين والأريماسبيين.

لذلك، يؤكد هيرودوت أن السكيثيين مارسوا عملهم من خلال سبعة مترجمين وسبع لغات مختلفة.

ثانيًا: عندما يذكر المؤرخون المعاصرون في مصادرهم الثقافات والقبائل السكيثية، فإنهم لا يقصدون وجود شعب محدد يتحدث لغة واحدة متشابهة، بل يتحدثون عن شعوب من أعراق ولغات وأصول مختلفة، حيث توجد مجموعة من الخصائص المشتركة بينهم.
يقول المؤرخ كريستيان كريستيانسن إن أكثر الافتراضات إقناعًا بشأن الأصول العرقية للسكيثيين القدماء تبقى إمكانية أنهم "لم يكونوا شعبًا محددًا"، بل شعبًا يتألف من مجموعة متنوعة من الأعراق "المشار إليها في عصور مختلفة من التاريخ، وفي أماكن متعددة، لم يكن أي منها موطنهم الأصلي".

ثالثًا: خلصت الدراسات العلمية حول ثقافة بازيريك إلى أنها احتوت على تمازج عرقي كبير وتنوعات جينية متباينة، تصل أحيانًا إلى 60% لجينات شرق آسيا و40% لجينات غرب اسيا.

رابعًا: خلصت الدراسات العلمية حول ثقافة بازيريك إلى وجود تواصل وراثي قوي مع القبائل التركية البدائية.

خامسًا: خلصت الدراسات العلمية حول ثقافة بازيريك إلى عدم وجود اختلافات جينية جوهرية عن شعب ألتاي الحالي.

شعب التركمان واتراك تركيا

يذكر المؤرخ الايلخاني رشيد الدين الهمداني (1247–1318) عن أشكال التركمان الأوغوز: "أن ملامح شعب التركمان الأوغوز تشبه ملامح الطاجيك".
وذكر المؤرخ ابوالغازي بهادر خان (1603 – 1664) عن أشكال التركمان الأوغوز: "بدأت عيونهم تكبر، ووجوههم تصغر، وأنوفهم تكبر".
طبعا كلا من الهمداني وبهادر خان يتفقان حسب سياق كلامهما على استمرار التنوع العرقي عند التركمان ولكن يعتمدان على العامل المناخي كسبب أساسي أدى الى حدوث تحول كبيرة في الملامح الخارجية لدى التركمان.
وهذا قصور في التفسير لأن شعوب العرق الشرق الاسيوي منتشرون من اقصى شمال المناطق القطبية الى اقصى جنوب المناطق الاستوائية ويوجد تشابه في الشكل العام لملامح العرق الشرق الاسيوي مع وجود اختلافات في الالوان وملامح العيون والأنف وما يتعلق بالطول ونحو ذلك.
وتوجد قبائل وشعوب من شرق اسيا هاجرت الى اوربا وغرب اسيا قبل مئات السنين ولم تتغير ملامحهم كثيرا عن السابق.
السبب الجوهري لوجود هذا التنوع العرقي عند التركمان الاوغوز ليس العامل المناخي وانما لوجود اصول عرقية متنوعة بين قدماء الاتراك وثبت ذلك عبر الابحاث الاثرية والانثروبولوجية في مستوطنات الاتراك القديمة في السهوب واسيا الوسطى.
ولذلك الانتقادات التي يوجهها البعض الى اشكال الشخصيات التركمانية في مسلسل "ارطغرل" بمزاعم انها متعارضة مع المصادر التاريخية القديمة حول السلاجقة والتركمان فهي ليست صحيحة وبل ان المسلسل من هذه الناحية قد اتفق مع المصادر التاريخية القديمة وعلى الرغم ان مسلسل "ارطغرل" قدم شخصيات تركمانية كثيرة متنوعة عرقيا بشكل واضح جدا للمشاهد وكثير من هؤلاء الممثلين والممثلات ينحدرون من اصول تركية بحتة.
وأما المتعصبين الذين يبالغون في ظاهرة "التتريك" وكأنها خاصة بالشعوب التركية حول العالم الاوراسي، يتجاهل ان بعض الشعوب التركية في العصر القديم قد انصهروا وتلاشت هويتها ضمن شعوب اخرى مثل الشعوب الصينية والمغولية والايرانية والمجرية والبيزنطية والسلافية وغيرها.
وسوف اعطي مثالا تاريخيا لا يتطرق اليه الكثير من الباحثين والهواء وهو ان اعظم فاتح في التاريخ وهو جنكيز خان بحسب بعض المصادر التاريخية القديمة كالصينية والفارسية هو ينحدر من اصل تركي وان قبيلته التركية هاجرت الى اراضي قبائل شعب المغول وانصهرت بينهم.

الخاقان تاسبار والديانة البوذية

حسب السجلات الصينية القديمة لقد اعتنق الخاقان تاسبار الديانة البوذبة وأمر بانشاء معبد بوذي وترجمة النصوص الدينية البوذية الى اللغة التركية.
ويبدو من المصادر التاريخية القديمة والاكتشافات الاثرية ان الديانة البوذية حظيت بدرجة معينة من الانتشار بين الشعوب التركية خلال القرن السادس الميلادي، ولقد اكتشف علماء الاثار اثار معابد بوذية وشعارات دينية بوذية في مدن ومراكز وتماثيل غوكترك الغربية.
وقبل عصر غوكترك حظيت الديانة البوذية بالانتشار ما بين شيونغنو والهون وطبغاج وغيرهم.
حيث وصفت السجلات الصينية القديمة ان الديانة البوذية هي ديانة اجنبية قام بادخالها شعوب سهوب الشمال الى داخل الصين لمواجهة الفلسفات الصينية كالكونفوشيسية والطاوية.
وبالنسبة للكتابات التركية فحسب السجلات الصينية القديمة ان طريقة الكتابة الرونية التركية هي نفسها كتابة شيونغنو وتذكر السجلات الصينية في القرن السادس بوجود كتابة خاصة للاتراك.
وكما مر معنا سابقا ان الخاقان تاسبار أمر بترجمة النصوص البوذية الى اللغة التركية.
ويتضح من اشكال البوذية في التبت ومنغوليا حاليا ان البوذية القديمة تأقلمت مع الديانة الأصلية في هضبات التبت ومنغوليا وهذا ما نتصور حدوثه خلال عصور اشينا والهون وغيرهم.
وأما بالنسبة لمملكتي تشو الشمالية وتشي الشمالية فهنالك ملاحظة تاريخية مهمة ارجو الانتباه لها من قبل هواة التاريخ الذين افسدوا التاريخ بتحليلاتهم السطحية حول التاريخ التركي العام.
تنحدر سلالات الحكم تشو الشمالية وتشي الشمالية من الجنرالات الذين عملوا في مملكة وي الشمالية.
الإمبراطور وينشوان مؤسس سلالة تشي الشمالية هو من اصل الهان الصينية التي اندمجت عشيرته من الهان الصينية ضمن اتحاد شيانبي.
وبينما الإمبراطور شياومين مؤسس سلالة تشو الشمالية هو من اصل شيونغنو حيث اندمجت عشيرته يوبين من شيونغنو ضمن ضمن اتحاد شيانبي.
وتؤكد السجلات الصينية ان لغة يوبين شيونغنو مختلفة كليا عن شيانبي وكذلك ثقافتهم مختلفة عن شيانبي.
الاتحادات القبلية في السهوب الاوراسية أو المتأثرة بثقافة السهوب هي معقدة ومتداخلة وتخضع لعوامل كثيرة ومتنوعة وليس كما يتصورها السذج ان اتحادات هذه القبائل تنحدر من نفس الاب والأم أو تنحدر من نفس القبيلة فهذا التصور الساذج ليس صحيح مطلقا.

الهون والبلغار

تؤكد مصادر العصور الوسطى المبكرة البيزنطية واللاتينية وجود اتصال كامل ما بين الهون الاوربيين وما انبثق من اتحادات قبلية مثل أونوغور وكوتريغور وأوتيغور والبلغار من حيث النسب واللغة والثقافة وغيرها.

ومن المثير للدهشة نجد ان سلسلة الانساب في مصادر العصور الوسطى تضع الهون والخزر والبلغار وصابر ضمن مجموعة واحدة متصلة النسب.

فيما يلي بعض المقتطفات من كتاب بروكوبيوس "الحروب":

"يسكن تلك المنطقة الهون الذين يُطلق عليهم اسم صابر، بالإضافة إلى بعض القبائل الهونية الأخرى."

"غرب بحيرة مايوتيك، ونهر تانايس، أقام الهون الكوتريغوريون مساكنهم على معظم سهول تلك المنطقة..."

"ثم ثار خوف هؤلاء المبعوثين من الهون الأوتيغوريين فقاموا بالإعلان علنًا عن هدف قدومهم..."

"في العصور القديمة، جاب حشد كبير من الهون هذه المنطقة التي ذكرتها للتو، وكان لملك واحد سلطة عليهم جميعًا. وفي وقت من الأوقات، تولى رجل السلطة، وُلد له ولدان، أحدهما يُدعى أوتيغور والآخر كوتريغور."

قال حاكم أوتيغور سانديلش: "ليس من العدل ولا اللائق إبادة رجال قبيلتنا (الكوتريغور)، الذين لا يتحدثون لغة مطابقة للغتنا فحسب، بل هم جيراننا ويشاركوننا نفس الملابس وعادات الحياة، بل هم أيضًا أقاربنا، حتى وإن كانوا خاضعين لأمراء آخرين".

يحاول بعض القوميين الذين يعتنقون ايديولوجية معادية للاتراك محو هذا التاريخ التركي الثابت في المصادر التاريخية القديمة وعلم الاثار وغيرها.

عندما نطلع على المصادر التاريخية الخاصة بتاريخ الشعوب السلافية نجدهم يتقبلون ان اغلب السلالات الحاكمة في التاريخ السلافي الوسيط من اصول جرمانية (النورمان الفايكنج والقوط والالمان الفرنجة وغيرهم) وكذلك في التاريخ الاوربي الوسيط بشكل عام كان الجرمان يشكلون العنصر الحاكم لاغلب الممالك الاوربية.

وايضا نجد في التاريخ السلافي الوسط ان الجرمان كانوا يشكلون العنصر الاساسي في النخب العسكرية والثقافية ونحوها.

وايضا عندما نطلع على المصادر الفارسية الوسيطة نجدهم يعترفون ان السلالات الحاكمة من الهون الهفتاليين والهون الكيداريين واشينا الى اواخر العصر القاجاري هم من الاتراك.

ولكن للاسف يحاول بعض القوميين الايرانيين المعاصرين ازالة هذا التاريخ التركي الثابت من خلال ايديولوجيتهم المعادية للاتراك، على الرغم ان اتصال الاتراك مع شيونعنو والهون تم التأكيد عليه في المصادر التاريخية القديمة ومن ضمنها الفارسية القديمة وعلم الاثار وغيرها. ويحاول بعض القوميين الايرانيين طرح اسئلة ساذجة وسطحية دون الاطلاع بشكل كافي على سياق التاريخ القديم ومسارات الهجرات وتركيبة المجتمعات واهمية وجود طبقة الجنود المحاربين وطبقة القادة العسكريين والسياسيين ضمن نظام المجتمع وغيرها.
لقد كانت المصادر الفارسية القديمة اكثر انفتاحا وسعة افق من بعض القوميين الايرانيين المعاصرين.

الهون وخاقانية الافار الاوربية

لماذا يقوم البعض بتحريف نصوص المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس القيسراني.
نصوص بروكوبيوس قاطعة حول ان الهون مرتبطين ارتاطا وثيقا مع قبائل أونوغور وكوتريغور وأوتيغور وذكر ايضا اختلافهم الجذري عن القوط والجرمان.

بالنسبة لخاقانية الافار الاوربية لماذا يجادل البعض بطريقة الاسود او الابيض حول هذه المسألة التاريخية.
هنالك احتمالات مختلفة ويوجد ما يعرف بشفرة نصل أوكام لحل هذه الاشكالية.
لقد ذكرت المصادر التاريخية القديمة ان قبائل الافار القادمة من الشرق من خاقانية خوان خوان على ارجح الاحتمالات قد اختلطت مع قبائل الأونوغور وشكلا معا كونفدرالية قبلية في وسط اوربا، والدليل على ذلك هو وجود الكثير من عشائر الأونوغور في تركيبة خاقانية الافار.
وتتميز خاقانية الافار انها حافظت كثيرا على تقاليد السهوب الشرقية في وسط اوربا ومزجتها مع بعض التقاليد الرومانية البيزنطية وشكلت حضارة متميزة في سهوب بانونيا، ونرى ان تقاليد الافار قد استمرت بنفس الكيفية مع مملكة البلغار الأولى لاحقا.
وأما بالنسبة للسمات العرقية الشرق الاسيوية لماذا يتحسس البعض من هذا الموضوع ولا يريد الاعتراف به على الرغم من وجود براهين كثيرة عليه، لقد كانت الشعوب التركية مختلطة عرقيا منذ القدم وستظل تمتلك نسبة ملحوظة من السمات الشرق الاسيوية منذ اقدم العصور.
سواء استطاعوا ايجاد حل لمعضلة الأصل العرقي الأول أو لم يستطيعوا حل هذه المعضلة التاريخية.

تعقيب على الدراسة الصينية الجينية حول اميرة اشينا

لقد توصلت هذه الدراسة الى وجود جذور جينية للاتراك تتصل الى ثقافات القبور المبلطة ووجود روابط مشتركة مع شعوب المغول والتونغوس ولكن هنالك بعض الملاحظات عليها:

أولاً: إن الهندو-أوروبية مجرد عائلة لغوية وليست عرقًا محددًا.

ثانيًا: الدراسة الصينية للأميرة أشينا دراسة مُسيّسة في نتائجها، ولها أهداف سياسية تتجاوز استهداف الشعوب التركية عمومًا والأويغور خصوصًا.
لا يخفى على المطلعين أن هنالك صراع وطني/سياسي تاريخي طويل على منطقة تركستان الشرقية، وبالتالي لا يمكن في نظري فصل نتائج الدراسة عن هذا السياق الصريح.
بالطبع، أنا أتناول نتائج هذه الدراسة فقط من الناحية التاريخية وبعيدا عن التجاذبات السياسية، ولن أتطرق الى الآلية المستخدمة في تحليل جسد الأميرة أشينا، والتي كانت تُفترض صحتها سابقًا.

ثالثًا: ذكرت الدراسة في نتائجها "دحض فرضيات الأصل الأوراسي الغربي وتعدد الأصول"، وهنا ارتُكبت مغالطة التعميم الخاطئ. هل يمكن تعميم هذه النتيجة على بعض الشعوب التركية القديمة، مثل: قرغيز ينيسي، والكومان، والبجناك، وغيرهم؟

رابعًا: أشارت هذه الدراسة الصينية أيضًا إلى أن "المساهمة المحدودة للغوكتورك القدماء في السكان الناطقين بالتركية الحديثة تؤكد مجددًا صحة نموذج الانتشار الثقافي على نموذج شبه الانتشار لانتشار اللغات التركية".
يهدف هذا البيان إلى دحض حدوث هجرات القبائل التركية خلال العصور الوسطى إلى الشرق الأوسط وأوروبا الشرقية ومناطق أخرى في أوراسيا.

أي شخص لديه معرفة أساسية بالتحليل السياسي يفهم الأبعاد السياسية لسياق هذا البحث الصيني.
هجرة الشعوب التركية إلى الأناضول في العصور الوسطى مثبتة تاريخيًا وعلميًا بشكل قاطع.
ذكرت المصادر البيزنطية واللاتينية والعربية والفارسية هجرات تركمانية واسعة النطاق إلى الشرق الأوسط خلال العصر السلجوقي.
في الأناضول، على سبيل المثال، ذُكر أن من نتائج انتصار معركة ملاذكرد حدوث هجرات تركية ضخمة بملايين الأتراك إلى الأناضول.

وعندما ذكر ابن سعيد المغربي عدد التركمان في الأناضول، قال إنه كان هناك 200 ألف خيمة تركمانية في أنطاليا وما حولها، و30 ألف خيمة تركمانية في أنقرة وما حولها، ونحو 100 ألف خيمة تركمانية في قسطموني وما حولها.
ومن المؤسف أن الباحثين الصينيين في هذه الدراسة يجهلون هذه التفاصيل التاريخية البديهية.
وعلى سبيل المثال، كان مؤرخو العصور الوسطى القدماء، عند تناولهم الأناضول ودولة المماليك في مصر، على دراية بهذه التفاصيل الجوهرية. وصفوا دولة سلاجقة الروم والإمارات التركية في الأناضول بالدول التركية، كما وصفوا الأناضول بتركستان نظرًا للوجود التركي الكبير في هذه المنطقة الجغرافية، أما في مصر فقد وصفوا دولة المماليك بالدولة التركية ولم يصفوا مصر بتركستان نظرًا لعدم وجود هجرة تركية كبيرة إلى مصر.

خامسًا: لم تتطرق هذه الدراسة إلى ما ورد في المصادر الصينية عن الخصائص الخارجية لخاقان مقن، وتعمل على تقديم تفسير جديد للنص الصيني القديم يختلف جذريًا عما هو شائع ويحل مشكلة التناقض.
إن الوقوع في مغالطة المأزق المصطنع يدفع الباحث إلى اعتماد نتائج مليئة بالأخطاء والمغالطات.
إن كون الشعوب التركية مختلطة عرقيًا منذ القدم هي معلومة بديهية يدعمها السياق التاريخي والواقع المعاصر والبحث العلمي.

يتعامل الباحثون الموضوعيون مع التاريخ التركي العام من منطلق أنه نتاج أكثر من ألفي عام وليس مقتصرًا على لحظة تاريخية محددة.

إن النقاش حول الأصل العرقي هو نقاش عقيم في الوقت الحاضر لأنه يدور حول معضلة تاريخية لم يتم حلها والتي ظلت خاضعة لأجندة أيديولوجية وصراع عرقي، على الرغم من أن الاختلاط بين الأعراق لم يكن له ذلك الأثر في الماضي على اختلاف الهويات بين الأعراق والثقافات وكان يشكل قوة إيجابية.
إذا كانت أصل العرق هو (أ) أو (ب)، فما المشكلة التي ستنجم عن ذلك؟ لا شيء على الإطلاق.
نحن أبناء الحاضر، ولسنا أسرى ما حدث في العصور الوسطى والعصرين البرونزي والحديدي.
الهوية بنية معقدة تخضع لتفاعلات بين عوامل مختلفة عديدة وتراكمات تاريخية طويلة الأمد.

جذور سلالة اشينا

يمكن تصنيف الفرضيات الواردة في المصادر الصينية القديمة حول سلالة اشينا الى قسمين، وهما:

الأول: فرضيات عامة:
وهي تتناول الأسطورة العامة للاتراك وجذورهم التاريخية.
حيث نقل المؤرخين الصينين عن الاتراك اسطورة الذئب وايضا أكد المؤرخون الصينيون وجود علاقة كاملة ما بين الاتراك وشيونغنو من حيث النسب والثقافة والعادات واللغة وغيرها.
وأيضا تذكر اراضي السهوب الشرقية وجبال آلتاي باعتبارها الارض الأم للشعوب التركية.
ومن المثير للانتباه ان بعض المؤرخين الصينين اشار الى وجود علاقة ما مع السهوب الغربية في اراضي بحر قزوين وهذا ربما يدل على معرفة المؤرخين الصينين بانتشار هجرات القبائل التركية الى وسط أوربا في عصر الهون.

الثاني: فرضيات خاصة:
وهذه الفرضيات الخاصة تتناول جذور تاريخ قبيلة اشينا.
حيث ذكرت المصادر الصينية ان قبيلة اشينا كانت متحالفة مع مملكة Northern Liang من أصل شيونغنو في مقاطعة قانسو والتي كان يتوسع نفوذها الى حوض تاريم.
وهذا يدل على ان قبيلة اشينا كانت على معرفة كاملة بتفاصيل الثقافة الصينية والديانة البوذية وليس كما يشاع عند البعض ان اباطرة سلالة اشينا كانت لديهم حساسية من هذه الأمور وبينما تفاصيل السياقات التاريخية تفند ذلك.
ويجب معرفة ان اقليم قانسو في العصور الوسطى والقديمة كان متنوع سكانيا بشكل كبير ويوجد فيه شعوب مختلفة من الاتراك والتبتين والتانغوت بالاضافة الى الهان وغيرهم.
علما ان قانسو كانت تابعة لامبراطورية شيونغنو في ذروة توسعاتها.
ولقد ساهمت مملكة ليانغ الشمالية في تأسيس بعض أهم المعابد البوذية في قانسو والتي تم تصنيفها ضمن التراث العالمي وتحظى باعجاب عالمي.
والأمر الآخر تذكر المصادر الصينية ان افراد قبيلة اشينا كان حرفيين ماهرين في الحدادة والتعدين وصناعة الذهب وغيره بالاضافة الى القتال واستراتيجيات الحرب وغيرها وكانوا يشكلون المصدر اللوجستي الأساسي لخاقانية خوان خوان.
هنالك بعض الملاحظات حول بعض المعلومات الواردة في المقطع.

لقد كانت كونفدرالية شعب Tiele أساسية ومؤثرة في السهوب الشرقية منذ وقت مبكر ومذكورة في المصادر الصينية القديمة، فمثلا قبيلة فوفولو من كونفدرالية تيلي تمكنت في القرن الخامس الميلادي من فرض سيطرتها على حوض تاريم وتأسيس مملكة ودخلت في صراع طويل مع خاقانية خوان خوان.

طبعا علاقة خاقانية خوان خوان مع الاتراك بشكل عام وقبيلة اشينا بشكل خاص كانت معقدة ومتداخلة، حيث كانت خوان خوان تتكون بشكل أساسي من كونفدرالية قبلية وحيث كانت تضم قبائل وعشائر تركية عديدة وتوجد تأثيرات تركية واضحة على على خاقانية خوان خوان سواء من طبقة النبلاء والأسماء والمصطلحات المستخدمة وغيرها.

ولذلك يعتبر الكثير من المؤرخين ان حركة الأخوين بيومين استيمي كانت بمثابة ثورة داخلية في السهوب الشرقية.

وبعد ذلك تمكنت سلالة اشينا من مواجهة تحديات صعبة وفرضت سيادتها على اتحادات قبلية تركية مختلفة مثل تيلي وقرغيز وشيويانتو ويوبين وغيرهم.

وتمكنت سلالة اشينا من تحقيق انتصارات ساحقة ضد سلالة سوي أدى الى سقوطها، ولم تتمكن سلالة تانغ من تحقيق تقدم نوعي ضد سلالة أشينا الا بعد أن حققت اختراق في داخل غوكترك وجذب الكثير من الاتراك التابعين للخاقانية وشكلت جيش خاص من الاتراك وغير ذلك.

توجد نقطة جوهرية يتجاهلها البعض وهي تغطي الفجوة التاريخية التي تفصل ما بين صعود الممالك الشمالية بعد انهيار امبراطورية الهان وصعود امبراطورية غوكترك في اوراسيا.

ويتمثل ذلك في مرحلة ظهور مملكة بوذية من أصل سهوبي في بعض اجزاء السهوب الشرقية وشمال الصين وهي مملكة وي الشمالية.

ينظر البعض الى تاريخ وي الشمالية بشكل سطحي وذلك عبر الاكتفاء بأصل السلالة من شيانبي وهذه نظرة غير موضوعية.

لقد كانت مملكة وي الشمالية تنطلق بشكل أساسي من كونفدرالية قبلية تسمى باسم طبغاج وتتكون من عدة قبائل وعشائر تركية مثل شيونغنو وTiele وقرغيز وغيرهم.

و نجد ان محمود الكاشغري في القرن الحادي العشر الميلادي يذكر في موسوعته اللغوية معلومة مثيرة للاهتمام حول وجود قبيلة تركية قديمة سكنت في الصين وهي قبيلة طبغاج.

وعلى الأرجح ان هذه المعلومة نقلها الكاشغري من العقل الجمعي التركي حول معلومة تاريخية متداولة بين الاتراك عن طبغاج.

وكما نعلم ان الامير الكاراخاني محمود الكاشغري كان يعيش بافكاره ضمن السياق الاسلامي بين كاشغر وبغداد ومنقطع عن المصادر التركية الشرقية والمصادر الصينية، على الرغم ان المملكة القاراخانية كانت أهم لاعب أساسي في طريق الحرير بالعصور الوسطى وهذا موضوع طويل ويحتاج للتفصيل أكثر حول تاريخ المملكة القاراخانية.

وبغض النظر عن أصل سلالة وي الشمالية والجدل القائم حولها، فلا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهل المكون التركي الكبير في الكونفدرالية الأساسية والذي ظهر تأثيره في العنوان العام للكونفدرالية والأسماء والمصطلحات الشائعة بينهم.

ولست أدري لماذا هذا الإشكال السطحي يختفي لدى البعض عندما يتعامل مع القبيلة الذهبية او قبيلة بارلاس او السلالة الصفوية وغيرهم.

والتعامل عبر المنهج العلمي يحل كل هذه الاشكاليات البسيطة فالمنهج العلمي يجمع ولا يفرق.

العثمانيون الجدد والتاريخ العثماني

لقد ظهر في العشر سنوات الاخيرة ظاهرة خطيرة حول التعامل مع التاريخ العثماني وذلك من تيار العثمانين الجدد وبرز ذلك من خلال الاعمال الفنية ووسائل الاعلام والتواصل الاجتماعي.

وهذا التعامل المزيف مع التاريخ العثماني يقوم على تقديس التاريخ العثماني وترقية السلاطين العثمانيين الى مستوى الآلهة.

ولم يعد النقاش حول التاريخ العثماني يدور حول مستوياتهم الايجابية والسلبية وسياقاتهم التاريخية ومراحل الازدهار والتراجع، كما جرى سابقا مع المؤرخين الكبار مثل خليل اينالجك ومحمد فؤاد كوبرولو وإلبر أورتايلي وغيرهم.

وإنما يقوم أسلوب العثمانين الجدد على تقديس التاريخ العثماني وتجاهل سلبياتهم وحصر جميع التاريخ التركي بشكل عام في التاريخ العثماني فقط والتقليل من شأن المراحل الزمنية الاخرى في التاريخ التركي وذلك من منطلق ايديولوجي بحت.

ومنع الاعمال الفنية التي تعرض التاريخ العثماني من منطلقات موضوعية.

مثلا في مصر: يوجد تيار يرى أن العصر الملكي أفضل من العصر الجمهوري ولكن ذلك التيار لا ينكر السلبيات الموجودة في العصر الملكي والمثبتة في المصادر التاريخية والوثائق ويعترف ان الخديوي توفيق طلب تدخل الجيش البريطاني الى مصر في عام 1882.

علما ان المملكة المصرية كانت اقرب الى صيغة الدولة العلمانية الوطنية بعد ثورة ١٩١٩ وكان الخديوي اسماعيل في القرن التاسع عشر يخطط ان تكون مصر قطعة من أوربا.

وبينما الاسلاميون المتاجرون بالدين يسعون أن تكون البلدان ذات الاغلبية الاسلامية قطعة من العصور الوسطى.

وفي المقابل يسعى تيار العثمانين الجديد الى تجاهل اخطاء وسلبيات الدولة العثمانية مثل: خيانة السلطان وحيد الدين واتصالاته مع الاستعمار البريطاني بعد الحرب العالمية الاولى وموافقته على معاهدة سيفر الظالمة واجراءاته التي سعى من خلالها الى ضرب جهود حركة الاستقلال التركية الوطنية لتحرير الأناضول ومقاومة الاستعمار وغير ذلك.

ويتجاهلون باقي اخطاء الدولة العثمانية مثل: قتل الامراء الاطفال وسجن الأخوة وتسلط رجال الدين على الحياة العامة حتى قاموا بمنع الطباعة وهدم المراصد الفلكية، وفتاوي شيوخ الدولة العثمانية الكثيرة في تكفير وشرعنة قتل الاخرين، وسياسة خطف الاطفال الصغار من الاسر غير المسلمة، وفي عصر السلطان محمد الفاتح حدث ارتكاب مجزرة ضد الصوفية الحروفيين، وقام السلطان سليم الاول بارتكاب مجزرة ضد التركمان العلويين، وغيرها من الأحداث المذكورة في المصادر العثمانية.

وحتى يحاول العثمانيون الجدد إنكار ما ورد في المصادر العثمانية ذاتها أن السلاطين العثمانين كانوا يشربون النبيذ ويمتلكون الكثير من الجواري وغيرها، ويريدون يقدمون للجهلة والعوام صورة مزورة وخادعة عن حياة السلطان العثماني في القصر تشبه صورة الدرويش في التكية.
ولم يقتصر العثمانيون الجديد على مجرد النقاش التاريخي حول العصر العثماني وإنما يسعون لإعادة سياقات التاريخ العثماني القروسطوية في القرن الحادي والعشرين وإلغاء جميع المكاسب الانسانية التي تحققت مع الجمهورية الحديثة منذ حوالي مائة عام، مثل: اعادة ثقافة الحرملك ونشر خرافات الدراويش واعادة نظام الحسبة والتسلط على حياة الناس العامة وعودة هيمنة رجال الدين على الشأن العام واعادة السلطة المطلقة للسلطان واعادة فوضى القوانين والغاء القانون المدني الموحد وصياغة نظام تعليمي متخلف يكرس الخرافة والجهل والغاء المواطنة المتساوية وغيرها.
ولقد ظهرت مجموعة من المؤشرات التي تدل على إمكانية حدوث ذلك من تيار العثمانين الجدد.
وليعلم الجميع ان حركات الاستقلال الوطنية في البلقان والشرق الأوسط وشمال افريقيا تعتبر عصر الدولة العثمانية هو عصر احتلال وغزو استعماري وهذا مسجل في الادبيات الوطنية للاستقلال وفي الاعمال الفنية والاناشيد الوطنية وغيرها.
وبسبب ذلك تحالفت القوى العربية مع بريطانيا في الحرب العالمية الاولى وضربوا الجيش العثماني لأنهم ببساطة كانوا يعتبرونه جيش احتلال.
ولذلك تأسست الدول الوطنية المستقلة في ألبانيا واليونان وبلغاريا والعراق ومصر وغيرها قبل تأسيس الجمهورية التركية في عام ١٩٢٣.
وما يقوم به العثمانيون الجديد في تركيا من نقل اقوال ايجابية من غير الاتراك حول العصر العثماني وتمجيد السلاطين بشكل مطلق هي تعود الى الحركات الاسلامية المتاجرة بالدين مثل جماعة الاخوان المسلمين وحزب التحرير وغيرها ، وهؤلاء يمثلون قلة بسيطة وهم حركات أممية ضد الوطن ولا يعترفون بمفهوم الدولة الوطنية.

أصل السلالة العثمانية

تنحدر السلالة العثمانية من قبيلة كايي وهي قبيلة اوغوز تركمانية مشهورة.
ولقد وضع محمود الكاشغري قبيلة كايي في المرتبة الثانية ضمن قائمة قبائل شعب الاوغوز، والارجح انه ترتيب مقصود حيث وضع قبيلة كينك المرتبطة بالسلاجقة في المرتبة الاولى.
ويقول رجل الدولة والمؤرخ الإيلخاني رشيد الدين حمداني أيضًا إن قبيلة كايي تنحدر من أقدم أحفاد أوغوز خان البالغ عددهم 24 حفيدًا والذين كانوا بطاركة قبائل أوغوز القديمة، وأن اسم كايي يعني "القوي".
وبعض الكتابات التركية المبكرة التي تهاجم السلطنة العثمانية لم تتعرض الى اصل قبيلة كايي، وإنما بعضها هاجمت العثمانيون من منطلق الاقدمية وأنها هاجرت بشكل متأخر الى الاناضول وليست مرتبطة بالفتح السلجوقي للاناضول، حيث قدمت السلالة العثمانية الى الاناضول مع الخوارزميين بعد اكتساح المغول لاسيا الوسطى وساعدوا السلطان علاء الدين كيقباد ولذلك كافئهم بمنحهم اراضي عند الحدود البيزنطية كما ذكر المؤرخ ابن بيبي.
ومارس القارامانيون هذا الاتجاه المعارض حيث اعتبروا انفسهم انهم احق بالسلطنة من العثمانين في ناحية الاقدمية.
وكذلك الفاتح العالمي تيمورلنك لم يطعن في الأصل التركماني للسلالة العثمانية وإنما كان يعتبر نفسه هو خاقان جميع الشعوب التركية لأن حكمة السهوب تؤكد على عدم وجود شمسين في السماء الزرقاء وبالتالي لا يوجد حاكمين في العالم.
طبعا في المنافسة السياسية الشرسة بين الخصوم يتم اطلاق اتهامات كبيرة من هذه النوعية لغرض اسقاط الشرعية عن المنافس الآخر.
وأما من الناحية الموضوعية فجميع المصادر التاريخية المختلفة تربط السلالة العثمانية بقبائل التركمان الاوغوز.
وتوصلت الدراسات العلمية حول التاريخ العثماني المبكر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الى وجود انتشار استخدام تمغا IYI في الاثار العثمانية المبكرة.
ومن الناحية التاريخية لقد اعتبر العثمانيين انفسهم هم امتداد شرعي للسلطنة السلجوقية.
وتعتبر الدولة العثمانية هي امتداد طبيعي للدول التركية الاسلامية مثل القاراخانية والغزنوية والسلجوقية والمملوكية وغيرها.
وايضا تأثرت الدولة العثمانية ببعض جوانب الامبراطورية الجنكيزية وخاصة عند القبيلة الذهبية والايلخانية.
وتوصل المؤرخ خليل انليجاك الى ان جذور التقاليد العثمانية تعود الى التقاليد التركية المبكرة في السهوب.

وتشمل تاثيرات الحضارة التركية على الجوانب العثمانية المختلفة في السياسة والجيش والادب والقانون والفنون والثقافة وغيرها.
ومن المثير للانتباه ان الرحالة الاوربيين الذين زاروا القصور العثمانية في اسطنبول وادرنة خلال القرن الخامس عشر أكدوا انها مستوحاة من منازل اليورت وحتى اطلقوا على القصور العثمانية مصطلح "قصور اليورت الثابتة".
طبعا ليس كل التقاليد العثمانية مستمدة من اصل تركي، فبعض التقاليد هي جديدة كليا واختراع عثماني وبعض التقاليد ظهرت بسبب التأثر المتبادل.
مثلا ظاهرة "الحرملك" العثمانية من أصل شرق اوسطي وتتعارض كليا مع التقاليد التركية حيث كانت المرأة التركية تعيش حياتها بحرية وتشارك في القتال والشأن العام.
والحضارة بشكل عام قائمة على قانون التراكمية والتحولات والتأثيرات المتبادلة.
أما الزعم ان الادارة العثمانية كانت خالية كليا من العنصر التركي هو قول مبالغ فيه كثيرا، وحتى وصل بعضهم الى الزعم ان العثمانين منعوا الاتراك من دخول اسطنبول!!!.
لقد شاركت الكثير من الأسر التركية في الدول العثمانية طوال التاريخ العثماني في جوانبها المختلفة.
مثلا كانت عائلة جاندرلي عائلة سياسية تركية بارزة، ولقد زودت الإمبراطورية العثمانية بخمسة صدور عظام خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر.
وعائلة طاش كوبري هي عائلة تركية برزت في الإمبراطورية العثمانية بفضل العلماء والقضاة والفنانين البارزين الذين أنجبتهم. ومن أشهرهم الموسوعي طاشكبري زاده.
أسرة العمادي في الدولة العثمانية قدمت الكثير من الرموز الدينية والعلمية في الدولة العثمانية مثل عالم الفلك علي قوشجي الذي وضع نظام المدارس العثمانية وابو السعود افندي اشهر شيخ اسلام في العصر العثماني وعالم البصريات مريام جلبي وغيرهم.
ولقد اعتمدت الدولة العثمانية على جيش خانية تتار القرم كقوة عسكرية ضاربة في القارة الاوربية.
ولقد ذكر المؤرخ المملوكي ابن اياس الذي عاصر سقوط الدولة المملوكية ان جيش السلطان سليم الاول الذي دخل الى مصر كان مكون من قسمين وهما: الانكشارية والتركمانية.
وفي القرن الثامن عشر اعتمدت الدولة العثمانية كثيرا على الأسر الاقطاعية التركمانية في الاناضول مثل: كارا عثمان أوغلو وجيهان أوغلو وتورهان أوغلو وغيرهم.
ولقد قدمت أسرة جيهان أوغلو مساهمات مهمة في العمارة العثمانية وهي أول من ادخلت العمارة الباروكية وكانت رائدة في فن العمارة الباروكية العثمانية.
وأيضا في القرن الثامن عشر اعتمدت الدولة العثمانية على الولاة الاتراك في الأقاليم مثل اسرة العظم في سوريا واسرة قرمانلي في ليبيا وغيرها.

واتبعت الدولة العثمانية سياسة توطين الاتراك في المستوطنات العثمانية في البلقان منذ مرحلة مبكرة.

أما المغالطة التي ينشرها البعض حول صدامات السلطنة العثمانية مع بعض القبائل التركمانية بسبب مسائل الضرائب والتوطين فهي غير صحيحة في سياقها التاريخي ومجرد تهويل مبالغ فيه.

لقد ذكر المؤرخ ابن خلدون في المقدمة الشهيرة ان الدول بشكل عام تنتقل من مرحلة البداوة الى مرحلة الاستقرار.

ولقد مارس السلاجقة والقاراخانيين وغيرهم من الدول التركية سياسة التوطين مع القبائل.

وايضا مارست الامبراطورية الجنكيزية هذه السياسة مع القبائل.

فهي تشكل مرحلة اساسية وضرورية ضمن مراحل تطور الدولة بشكل عام.

طبعا لقد كانت الدولة العثمانية هي امبراطورية شاسعة المساحة وعابرة للقوميات وقائمة على الشرعية الدينية وتتعامل مع شعوب مختلفة وليست قائمة على مفهوم القومية الوطنية ومعايير الدولة الحديثة ولذلك يجب فهم سياقاتها التاريخية.

كايي وقاي

يحاول بعض المؤرخين اثارة اشكالية حول اصول قبيلة السلالة العثمانية وذلك عبر الزعم ان سلالة عثمان تنحدر من قبيلة كومو شي التي تعود الى اتحاد شيانبي.

طبعا هذا الرأي مرفوض بالكلية في الوسط العلمي، وذلك حيث ان قبيلة كايي تختلف اسما ونسبا عن قبيلة قاي.

ولقد ميز الكاشغري في كتابه "ديوان لغات الترك" ما بين قبيلة قاي عن فرع قاييغ القبيلة الفرعية من قبائل الأوغوز التركمانية

حيث تحمل قبيلة كاي تمغا IYI كما ذكره محمود الكاشغري والهمداني وغيرهم.

ويقول رجل الدولة والمؤرخ الإلخاني رشيد الدين حمداني أيضًا إن قبيلة كايي تنحدر من أقدم أحفاد أوغوز خان البالغ عددهم 24 حفيدًا والذين كانوا بطاركة قبائل الأوغوز القديمة، وأن اسم كايي يعني "القوي".

ولقد اكتشف علماء الاثار اثار كثيرة تحمل تمغا قبيلة كاي في المستوطنات العثمانية المبكرة في الاناضول بالقرنين الثاني عشر والثالث عشر.

الأمر الآخر لو فرضنا جدلا وجود شيء من الصحة في الفرضية الثانية حول أصل قبيلة كومو شي فلا توجد أية مشكلة في ذلك.

إن احدى الفرضيات حول أصول قبيلة كومو شي أنها تعود الى يويين شيونغنو التي اندمجت لاحقا ضمن اتحاد شيانبي.

ولقد ذكر محمود الكاشغري قبيلة قاي ضمن قائمة الشعوب التركية وأنها تمتلك لهجة تركية خاصة بها وتتقن اللغة التركية المشتركة.

وفضلا أنه لا يمكن الجزم بكل يقين حول طبيعة شعب قاي وخاصة انه لا تتوفر معلومات مفصلة حولهم في السجلات التاريخية الوسيطة خلال الفترة التي عاشها الكاشغري.

ولو فر ضنا جدلا ان الاصل هو قاي وليس كايي فلا توجد مشكلة في ذلك لأن لها اصل شيونغنو الذين يشكلون اسلاف الاتراك المباشرين.

والأهم من كل ذلك ان طبيعة التركيبة السكانية في السهوب الأوراسية عبر التاريخ قد شهدت حالات كثيرة من التداخل والاندماج ما بين الشعوب المختلفة.

المغالطات التاريخية حول الفتوحات الأموية في أسيا الوسطى

من ضمن المغالطات التي تحاول التيارات المتاجرة بالدين نشرها في تركيا، هي اكذوبة انه لم يوجد شخص تركي واحد في اراضي بلاد ما وراء النهر خلال الفتوحات الأموية.

وتسعى التيارات المتاجرة بالدين في تركيا من خلال هذه الاكاذيب الى تخفيف حجم الصدمة لدى القارئ عندما يطلع على المصادر التاريخية الاسلامية مثل تاريخ الطبري وتاريخ ابن الاثير وتاريخ ابن خلدون وغيرهم.

وهذه اولا غير صحيح تاريخيا، وثانيا ان مبادئ حقوق الانسان تتعامل مع جميع البشر بشكل متساوي.

ولماذا تذكر المصادر التاريخية الاسلامية عن الحاميات التركية وطلبات المساعدة من امراء مدن بلاد ما وراء النهر الى الاتراك.

في القرن الثامن الميلادي كانت اراضي بلاد ما وراء النهر واسيا الوسطى بشكل عام تضم تنوع عرقي وشعوب مختلفة ومكونة بشكل أساسي من الاتراك والصغديين.

ولقد حدثت هجرات لشعب الهون الى اراضي بلاد ما وراء النهر منذ القرون الميلادية الاولى مع الكيداريين والهفتاليين وغيرهم.

وفي عام 552 ميلادي تأسست امبراطورية غوكترك وشملت اراضي كثيرة ولقد ضمت اراضي اسيا الوسطى.

وكان يقع مركز وعاصمة غوكترك الغربية في اسيا الوسطى، ولقد احتوت غوكترك الغربية على قبائل تركية تسكن في قلب اراضي اسيا الوسطى.

ولقد كانت امبراطورية غوكترك عبارة عن تحالف ووئام واندماج ما بين الاتراك والصغديين، واستطاعت ان تعمل تحالفات ناجحة مع الساسانيين والبيزنطيين وسيطرت على حركة التجارة عبر طريق الحرير.

تصف السجلات الصينية لامبراطورية تانغ، الخاقان لامبراطورية غوكترك الغربية تونغ يابغو :

" كان تونغ يهو كاغان رجلاً شجاعًا وذكيًا، بارعًا في فنون الحرب. وهكذا سيطر على قبائل تيلي شمالًا، وواجه بلاد فارس غربًا، واتصل بكاسميرا (كشمير حاليًا) جنوبًا. جميع الدول خاضعة له. سيطر على عشرات الآلاف من الرجال بالسهام والأقواس، مُرسخًا سلطانه على المنطقة الغربية. احتل أرض ووسون ونقل خيمته إلى تشيان تشوان شمال طشقند.".

إذا إتجهنا الى علم الاثار....

لقد كشفت البحوث الاثرية في اوزبكستان في عام 1965 جدرايات قصر افراسياب في سمرقند، حيث احتوى على رسوم عديدة وتبين بشكل صريح أن الجنود الاتراك كانوا متواجدين في داخل سمرقند، وتقدم الجداية صورة واضحة حول التأثير التركي الواسع على آسيا الوسطى.

عندما حدثت الفتوحات الأموية في اراضي بلاد ما وراء النهر خلال القرن الثامن الميلادي، كانت توجد خانية تركية وهي خانية توركيش (699–766).

وهذه قائمة المعارك التي وقعت بين الامبراطورية الأموية وخانية توركيش:

1. قصر الباهلي (720/721)
2. يوم العطش (724)
3. بايكند (729)
4. كمرجة (729)
5. وقعة الشعب (731)
6. يوم الأثقال (737)
7. وقعة خاريستان (737)

يطرح البعض سؤال خاطيء ويحتوي على جهل كبير ومغالطات كثيرة.

وهو اين كانت خاقانية غوكترك الثانية عن هذه الأحداث ؟

وهذا السؤال ينم عن جهل كبير بسياقات الاحداث.

في عام ٥٨١ ميلادي حدث انقسام في امبراطورية غوكترك الى قسمين شرقي وغربي.

في عام ٦٣٩ ضمت امبراطورية تانغ اراضي غوكترك الشرقية.

وفي عام ٦٥٧ ضمت امبراطورية تانغ اراضي غوكترك الغربية.

وحدث تفكك كبير في غوكترك وانقسمت الى ممالك وخاقانيات مختلفة وسمتقلة عن بعضها مثل الخزر وشاهي ترك وغيرها.

وكان السبب الأساسي لانتصارات تانغ الصينية ان قسم كبير من الاتراك قدم دعم وتحالف مع اباطرة تانغ، واتخذت سلالة تانغ قادة وجيوش وامراء من الاتراك.

في عام ٦٨٢ قاد خاقان إليتريش ثورة شعبية في ارض اتوكان وتمكن من الاستقلال عن تانغ الصينية وأسس غوكترك الثانية، وبالتي كانت الأولوية لدى غوكترك الثانية هو حماية كيانها من سلالة تانغ في جهة شرق آسيا.

وعندما حدثت الفتوحات الأموية في اراضي بلاد ما وراء النهر كان الصراع الأساسي مع الأتراك الغربيين.

وحاول الدوغمائيين طرح سؤال خاطيء ومليء بالجهل التاريخي حول مدى التواجد التركي في معركة كاشغر لقتيبة الباهي المزعومة في اعوام (٧١٤ - ٧١٥) .

اولا: لم تذكر السجلات الصينية اي تفصيل حول حدوث معركة كاشغر، وثانيا: ظلت كاشغر تابعة لسيادة تانع الصينية ولم تخضع لسيطرة الامبراطورية الأموية. واحيانا خضعت لسيطرة امبراطورية التبت ثم عادت لسيطرة الاتراك كما كانت سابقا في عهد غوكترك.

في عام ٧١٧ حدثت معركة أقسو في مقاطعة أقسو الحالية في شينجيانغ (تركستان الشرقية)، ولقد قاد الخاقان الغربي شين اشينا فرسان القارلوق وتمكن من هزيمة الجيش الأموي.

سوء الفهم لتاريخ شعوب السهوب

يوجد سوء فهم كبير حول تاريخ الشعوب والقبائل في السهوب الاوراسية.
إن الشعوب والقبائل في السهوب الاوراسية ليست ثابتة على تركيب معين في طيلة التاريخ.
إن الشعوب والقبائل التركية كان يتم اعادة تشكيلها في كل مرحلة تاريخية معينة ضمن اسماء مختلفة ويحدث دمج بين الشعوب والقبائل التركية حيث يتم افراز كيانات جديدة.
في عصر امبراطورية غوكترك كانت توجد تشكيلات باسماء معينة للشعوب والقبائل التركية.
في خاقانية اليوغور حدث اعادة تشكيل الشعوب والقبائل التركية ضمن اسماء مختلفة.
في عصر مملكة لياو الخيطان حدث اعادة تشكيل مختلفة.
في عصر مملكة القاراخانية حدث اعادة تشكيل مختلفة.
مثلا كان شعب الكومان يتكون من قسمين كبيرين وهما: شعب الكيبتشاك وشعب كيماك.
وبينما شعب كيماك كان يتكون من عدة قبائل ومن ضمنهم قبيلة التتار.
وفي عصر الامبراطورية المنغولية حدث اعادة تشكيل الشعوب والقبائل التركية ضمن اسماء مختلفة.
وتقسموا على اربعة اقسام رئيسية، وهي:
الاول: القبيلة الذهبية.
الثاني: جاغاطاي.
الثالث: الايلخانية.
الرابع: يوان.
وكل قسم من هذه الاقسام انقسم لاحقا الى مكونات فرعية مستقلة.
طبعا بعض الشعوب التركية التي ذكرها الكاشغري في موسوعته القاموسية، استطاعت ان تحافظ على كيانها القديم من حيث الاسم والفروع.
وكما نعرف ان القبيلة يزداد عدد افرادها مع الزمن وتنقسم الى قبائل اخرى.
مثال: تذكر المصادر التاريخية ان شعب الاوغوز هم عشرون قبيلة.
حاليا عدد قبائل شعب الاوغوز يصل الى مئات القبائل.
وظهرت تحالفات قبلية جديدة جديدة بين قبائل التركمان.

أب الحداثة التركية ومؤسس تركيا الحديثة

حسب اطلاعي الشعب التركي يحب الزعيم مصطفى كمال اتاتورك ليس لأنه اسمه اتاتورك وانما يحبه ويعظمه لإنجازاته واعتبارات تاريخية يلمسها في حياته اليومية، ومنها:

1- اتاتورك مناضل وطني قاوم الاستعمار وأفشل مخططاته وحافظ على وحدة الاناضول.

2- اتاتورك رجل دولة أسس جمهورية للشعب ذات مؤسسات حقيقية وبنية قوية تراعي مصالح المواطنين، ولذلك حدثت عدة تطورات بعد سنوات قليلة من وفاته استنادا على مباديء الجمهورية مثل الديمقراطية والأحزاب والإعلام المفتوح وغيرها، ولم يكن شخص فاسد يسعى لمصالحه الشخصية او الحزبية او العرقية ولم يحول تركيا الى مزرعة لعائلته وأقاربه ورفاقه.

3- اتاتورك عمل نقلة نوعية لتركيا نحو دولة عصرية في التعليم والاقتصاد والفنون وغيرها وكثير من الإنجازات التي تحظى بها تركيا حاليا يعود لثورة اتاتورك فالتطور هو عملية تراكمية.

4- اتاتورك كان سياسي سابق لعصره حيث اقر إصلاحات كثيرة في عدة مجالات بعض هذه الإصلاحات حاليا تسعى الدول الاسلامية لتبنيها.

5- اتاتورك اعطى جميع الحريات للشعب.

اما الانتقادات التي توجه نحو مؤسس الجمهورية اتاتورك اغلبها سطحية وكيدية ومبالغ فيها:

- نبدأ من الأبجدية وهذا النقد عبارة عن جهل بتاريخ اللغة التركية، فاللغة التركية عبر تاريخها كتبت بعدة أبجديات، ومع ظهور الجمهورية كان لابد من عمل إصلاحات للغة كانت حتمية فإصلاح الأبجدية تتطلب حل مشكلة الحروف والحفاظ على نقاء اللغة ولم تكن المسألة خصومات مع اي احد كان بل ان المطالبة بإصلاح اللغة تمتد الى العهد العثماني.

- إلغاء الدولة العثمانية وهذا نقد سطحي وخارج التاريخ، فالدولة العثمانية سقطت عمليا مع الحرب العالمية الاولى وترافق سقوطها مع سقوط الملكيات في روسيا وألمانيا والنمسا وكانت تنتظر اعلان حالة وفاتها والتي أعلنت مع بيانات حركة الاستقلال التركية، ثم انه ثابت تاريخيا ان اي دولة بالعالم تنتهي بمرحلة السقوط والنهاية.

- استخدام اللغة التركية في الأذان والصلاة وغيرها وهذا يدخل في مجال الفقه وليس العقيدة، ويجهل الناقدين ان الترك ترجموا القران الى لغتهم منذ فترة مبكرة في العهد القاراخاني وكانت ترجمة تركية نقية، واذكر ذات مرة قرات ان الأذان والخطبة والصلاة في دولة الموحدين كان يتم باللغة الأمازيغية في بعض أقطار شمال افريقيا وأرجو من الأخوة الأمازيغ يعقبوا على هذه المعلومة التاريخية.

- ما يتعلق باستخدام العنف المحدود وهذا نقد سطحي للغاية، لا توجد دولة عبر التاريخ لم يرافق تأسيسها حدوث اعمال عنف قوي او ضعيف ومنها الدولة العثمانية، وجميع اعمال العنف المحدودة والمقيدة التي حدثت في عهد المؤسس اتاتورك كانت مسموح بها ضمن

نطاق القانون ومبررة وجرت ضمن الإجراءات القضائية في المحاكم سواء ضد اعمال عنف عصابات الشوارع ضد الدولة او اعمال عنف تستهدف وحدة الدولة وبقاؤها وجميعها انتهت بخسائر قليلة، وللأسف انجر بعض الأعضاء في حزب العدالة والتنمية الى المهاترات السياسية حول هذه القضايا التاريخية بسبب الخصومات الحزبية وطرحها بشكل سطحي ومودلج سياسيا.

ولولا جهود اتاتورك كانت الاناضول مقسمة بين عدة دول تتقاتل فيما بينهما وتعاني من مشاكل مزمنة. لقد كان اتاتورك قائد داهية وبطل مغوار مشهور منذ ما قبل الحرب العالمية وكل الاتهامات الباطلة ضده غير حقيقية وكاذبة.

وهو الذي بادر وطرد الاستعمار وأسس جمهورية حديثة للشعب التركي.

لقد منح الزعيم اتاتورك الحريات للشعب وثبت لهم حقوقهم في الدسترو والقانون وطور من كل وسائل الحياة، والذين يرفضون الحريات هم العبيد.

والزعيم اتاتورك لم يكن يعادي الدين كما يقول معارضوه الافاكون، لقد كانت لديه نظرته الخاصة الى الدين ويراها انه علاقة بين العبد وربه، ولقد امر بترجمة القرآن الى اللغة التركية وأمر بإنشاء وزارة للأوقاف، وبقيت الجوامع وكل شيء كما هو ولم تمس.

وأما الامور التي يثيرها كارهيه بجهل وسطحية حول الأبجدية واللباس وغيره هؤلاء الافاكون لا يقدمون لاتباعهم الحقيقة كاملة بل عشر الحقيقة مع تحريض وأكاذيب.

تغيير الأبجدية مشروع طرح منذ العهد العثماني لحل مشكلة الحروف وتنقية اللغة ومحو الأمية واللغة التركية خلال تاريخها كتبت بعدة أبجديات.

وأما الصلاة والآذان بغير العربية ليست قضية عقائدية ولقد أجازها بعض الفقهاء الأحناف.

وأما اللباس فهؤلاء لا يفرقون بين اللباس الرسمي والعادي، فالرسمي في مؤسسات الدولة يتم فرضه في كل دول العالم وأما العادي في الشارع فهذا لا تتدخل به الدولة، والدولة العثمانية بذاتها ألغت البسة واعتمدت البسة جديدة مثل الطربوش. ولم تضع الدولة في عصر اتاتورك عقوبات جسدية وإنما كانت مجرد عقوبات مخففة وثم ان الزعيم اتاتورك قد أعطى للشعب التركي الحرية في لبس ما يريدون ماذا تريد اكثر من ذلك.

واوجه رسالة الى الذين يشيطنون الزعيم اتاتورك ولا يحفظون له إيجابية واحدة انتم بالمقابل تستحقون عندما يقابلكم الآخرون بالمثل ويشيطنون التاريخ العثماني.

الفاتح العالمي تيمورلنك

تيمورلنك سواء أحببناه ام كرهناه هو يعتبر بشكل متفق عليه تاريخيا من ضمن القادة الفاتحين العظام الذي استطاع ضم مساحات ضخمة وتقريبا انتصر في جميع معاركه وأعاد توحيد الامبراطورية المغولية واعادة الاعتبار الى المغول مرة اخرى فيما فشلوا فيه حيث هزم أعداؤهم السابقين الذين انهزموا أمامهم عدة مرات وهم المماليك في مصر والمماليك في الهند.

وهو زعيم سياسي جمع المتناقضات من جهة كان حاكم شديد القسوة مع اعدائه ولا يعرف معهم الرحمة وارتكب الانتهاكات البشعة في الشام والهند وغيرها.

وفي الوقت ذاته كان حاكم راعي للفنون والآداب والعلوم وحدثت في عهده نهضة عمرانية كبيرة في اسيا الوسطى وظهرت أشكال معمارية وفنية جديدة ونرى اثر ذلك في نسله حيث ظهر منهم علماء وكتاب وأشهرهم العالم الفلكي اولوغ بيك.

ينحدر تيمورلنك من عشيرة مغولية تدعى بارلاس يرتبط نسبها مع قبلية كيان التي ينحدر منها جنكيزخان واستند في شرعيته على صلة القرابة بجنكيز خان ورغم ذلك لم يتخذ لقب خان او خاقان، وسعى لإعادة توحيد الممالك المغولية المنقسمة ثم التوجه الى الصين.

استمرت إمبراطوريته متماسكة لمدة تقريبا 80 عام، ثم انقسمت ودخلت في صراعات مع وجود استقرار في بعض الأقاليم كهراة وظهر من هذه الامير بابور الذي أسس مملكة عظيمة في الهند تضم القارة الهندية وأفغانستان.

احد الأخطاء التي ارتكبها تيمورلنك فيما اطلعت عليه انه لم ينظم شؤون الحكم كما فعل جده جنكيز خان وأحفاده وتركها للزمن ولهذا حدثت الصراعات بعد 80 عام.

رغم ما فعله تيمورلنك بالسلطان بايزيد الصاعقة وبعاصمتهم وبالدولة ومع ذلك لم يحقد العثمانيين على التيموريين ولم يشيطونهم وعملوا لاحقا علاقات مع الأمراء التيموريين في اسيا الوسطى ثم مع سلاطين الهند وكان بينهم تبادل ثقافي وعسكري وغير ذلك، وهذا يحسب للعثمانيين بشكل كبير ويشهد لهم بانهم حكماء وعقلاء ومنصفين ونرى اثر هذه العلاقة لاحقا حيث كان الهند من اكبر الداعمين للدولة العثمانية في القرن التاسع العشر.

العمارة العثمانية

لقد لاحظت في بعض مواقع التواصل الاجتماعي وجود بعض التعليقات في قمة السطحية وتتحدث بشكل جاهل عن العمارة العثمانية وتتهمها كذبا وبهتانا بالسرقة عن أقاليم عربية معينة وهذا جهل عظيم، تنقسم العمارة العثمانية الى عدة أقسام، وأبرزها:

الأول: عمارة المنازل وهي عمارة اناضولية محلية بحتة لا يوجد لها مثيل في الشرق الأوسط، ولقد أضيفت إليها تحسينات وتجديدات وتطويرات معينة في العهد العثماني، وهي بيوت تبنى من عدة طوابق وتختلف مواد بناؤها حسب الطبقات فالفقيرة والمتوسطة تبني في الغالب من الخشب او من الخشب والحجارة وطبقات الأمراء والغنية تبني من الحجارة او من الخشب والحجارة، ولقد نشرت الدولة العثمانية هذا الطابع المعماري العثماني الأناضولي في اقليم البلقان.

ونرى أمثلة كثيرة لهذا الطابع الأناضولي العثماني مثل احياء اسطنبول القديمة ومانيسا مدينة الأمراء العثمانين والقرية العثمانية في بورصة ومدينة سفرنبلو وغيرها.

الثاني: عمارة المساجد.

ولقد مرت العمارة العثمانية بثلاث مراحل تقريبا قبل فتح اسطنبول والثاني بعد فتح اسطنبول والثالث من عهد سليمان القانوني وبعده.

في المرحلة الاولى كانت عمارة المساجد العثمانية متاثرة بالطابع السلجوقي ذات الجذور الآسيوية الوسطية والفارسية مع وجود إضافات.

وفي المرحلة الثانية بعد الفتح ظهرت العمارة العثمانية المتأثرة بطابع ايا صوفيا مع إضافات وتغييرات في التصميم الخارجي والألوان.

وفي المرحلة الثالثة مع المعماري سنان باشا ومدرسته المعمارية التي استمرت حتى نهاية الدولة العثمانية.

تم تطوير عمارة المساجد العثمانية المتأثرة بطابع أيا صوفيا البيزنطي في بناء القبة الرئيسية مع إضافات جديدة وتغييرات عديدة في القبة وإضافات جديدة عديدة في التصميم الخارجي والألوان ومع استمرار وجود الطابع المعماري العثماني القديم المتأثر بعمارة اسيا الوسطى.

الثالث عمارة القصور:

ولقد استحدث العثمانيون نمط معماري جديد في بناء القصور مع التأثر بانماط العمارة التيمورية في اسيا الوسطى والسلجوقية والفارسية.

الرابع: عمارة الجسور والسدود وغيرها من البنى التحتية وهذا يشكل استمرارية للعمارة الرومانية القديمة المنتشرة مع وجود اضافات عثمانية.

الخامس: عمارة الخانات والمدارس ومنها ما بني وفق الطابع العثماني ومنها ما يمكن اعتباره استمرار للعمارة السلجوقية مع وجود إضافات عثمانية.

وأحب أقول للمتعصبين ان الحضارة تراكمية وكل حضارة تأخذ مما سبقها وطبيعي استفادة العثمانيين ممن سبقهم، ولقد ترك العثمانيين بصمتهم الخاصة في العمارة وأضافوا إليها أشياء كثيرة وجميع كتب الحضارة تقر بوجود العمارة العثمانية التي لها خصائصها ومميزاتها.

ملاحظات حول الأمة التركية

الأولى: الاتراك هم أمة تنتشر على امتداد أوراسيا من أقصى الشرق الى وسط أوربا مرورا بوسط اسيا وداخل اسيا وهم اعراق مختلطة ومجتمعاتهم متنوعة حضاريا وثقافيا.

يقول المورخ المسعودي في كتابه اخبار الزمان قبل اكثر من الف سنة عن مملكة الترك : "وأما الترك فهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام، وهم أجناس كثيرة، وهم اصحاب مدن وحصون، ومنهم قوم في رءوس الجبال والبراري، في خيم اللبود....".

اكد المورخ المسعودي على عدة أمور حول الترك:

1- الترك أمة متعددة الأعراق.

بينما عندما تحدث المسعودي عن الصين قال بالنص الصريح انهم فطس ذوي بشرة فاتحة : "وأهل الصين بيض الى الصفرة فطس".

2- الترك أمة متعددة اجتماعيا وحضاريا والذي يريد استيعاب ذلك عليه ان ينظر بعين واسعة الى خريطة أوراسيا بتنوعات أقاليمها وليس الى اقليم معين.

الثانية: دخول الاتراك الى الاسلام مر على عدة مراحل وليس كما جاء في المقطع انه دفعة واحدة بعد فتوحات الباهلي في بلاد ما وراء النهر.

بلاد ما وراء النهر كانت تضم القسم التركي في شمالها الشرقي في شمال سيحون وهذا القسم لم يضم نهائياً الا في العصر الساماني على حسب اطلاعي.

التحول الاول كان يضم السكان الاتراك في بلاد ما وراء النهر.

وبقي قسم كبير من تركستان خارج دار الاسلام في حوض تاريم وبحيرة ايسيك وجبال تيان شان والقبجاق وجوبي والتاي وغيرهما.

ثم حدث التحول الثاني الكبير في العهد القاراخاني التي أقامت مملكة كبيرة في اسيا الوسطى وهم خليط من اليغما والقارلوق.

ورافق هذا التحول دخول شعب الاوغوز التركمان الى الاسلام.

ورافقه ايضا اسلام مملكة البلغار في جنوب الفولغا.

وبقيت اجزاء كبيرة ايضا غير تابعة في بلاد الويغور والخزر والتتار والقبجاق وغيرهم.

والتحول الثالث الكبير حدث في العصر المغولي.

الثالث: إن دخول الاتراك الكبير الى الاناضول حدث في عهد السلاجقة بعد معركة ملاذكرد على مراحل.

صحيح انه توجد تمهيدات لوجود تركي سابق قبل عصر السلاجقة.

ولقد نقلوا انه بالعصر العباسي في الثغور الموجود في الفرات الأعلى الفاصلة بين الاناضول البيزنطية وبلاد الاسلام ولكن الحقيقة انه قبل ذلك بزمن.

حيث كانت توجد علاقة وتحالف بين الخزر وبيزنطة واستقدم البيزنطيين عدة مجموعات سكانية من الخزر واسكنوهم في بلاد الروم وكان يوجد جنود خزر في القسطنطينية.
ولقد خضع شرق الاناضول لسيطرة مملكة الخزر فترة من الزمن.
ولقد استقدم البيزنطيين مجموعات من الترك البجناق والكومان واسكنوهم في الاناضول.
وتذكر المصادر التاريخية انه كان في الجيش البيزنطي بمعركة ملاذكرد جنود من البجناق.
وعلى رأي من يتجه ان السكيث هم من أسلاف الترك وهو رأي له وجاهته وأدلته فايضا اجتاح السكيث الاناضول وسكنوا فيها.
الرابع: علاء الدين كيقباد كان سلطان سلطنة سلاجقة الروم وكان من ألقابه سلطان البحرين.
الخامس: خراسان هي جزء تاريخي من ايران الكبرى وليست من تركستان وعليك الاطلاع على ما ذكر في كتب التاريخ والبلدانيات حول تاريخ وحضارة خراسان.
السادس: هجرة التركمان الى الاناضول كانت كبيرة العدد وليس كما يحاول البعض التصغير من شانها.
ومن أراد البحث عن الحقيقة فليقرأ ما ذكر في كتب التاريخ والجغرافيا والرحالة والوثائق القديمة عند ابن بطوطة وماركو بولو والعمري وغيرهم.
والاتراك استقروا في الاناضول بطرق مختلفة فمنهم من استقر في المدن سواء الجديدة او القديمة ومنهم في الريف ومنهم في الرعي والبادية.
وأقام الاتراك في الاناضول حضارة عظيمة وإمبراطورية عالمية.
السابع: وهذا رد استباقي على بعض التعليقات العنصرية التي قراتها سابقا وربما سترد حول موضوع الهجرة.
من يعيب امر الهجرة هو يعيب سنة بشرية وحقيقة تاريخية.
فالهجرة هي فضيلة عظيمة ينتج عنها تفاعل الحضارات والثقافات.
فاليونانيون القدماء هاجروا الى الاناضول والقرم والبحر الاسود وشمال افريقيا وأقاموا مستوطنات ومستعمرات.
وبعد عهد الإسكندر هاجروا الى كل الأقاليم التي فتحها الإسكندر.
والرومان هاجروا مع توسعات وفتوحات الرومان واستقروا في المدن التي اقامها الرومان على امتداد الامبراطورية الرومانية.
ومن يقرا كتب البلدانيات يذكرون كثيرا عن مدن في الشام وافريقية ان سكانها من الروم.
وايضا العرب كانت الهجرة شائعة في تاريخهم مع هجرات انهيار سد مأرب والحروب والمجاعات مثل هجرات بنو وائل وغيرها ثم الهجرات بعد الفتوحات على امتداد الاراضي المفتوحة وهجرات بنو هلال وغيرها.
والاتراك كانت الهجرة شائعة لديهم طيلة تاريخهم اما بسبب الفتوحات والإمبراطوريات او بسبب الظروف المناخية والمجاعات والحروب.

الزعيم أتاتورك

الزعيم اتاتورك حاكم عظيم ومن كبار الزعماء في العصر الحديث.
لقد كان قائد ثورة ورجل دولة من الطراز النادر حيث عمل نقلة جذرية كبيرة لتركيا من عصر الى عصر اخر.
حيث قام بتطوير التعليم واجرى اصلاحات لغوية وتطوير الابجدية التركية.
وانجز اتاتورك تحرير المراة والقضاء على النظم الاجتماعية القديمة ونشر الحريات ودعم الثقافة والفنون وترسيخ المواطنة ودولة القانون الحديث.
ورسخ النظام العلماني وجعل جميع المواطنين متساويين.
وكانت تركيا هي ثاني دولة في التاريخ تطبق الخطة الخمسية بعد الاتحاد السوفياتي في عام 1934.
وطبق الكثير من برامج الديمقراطية الاجتماعية.
وقدم مشاريع لتطوير الصناعة والزراعة وغيرها.
وكانت نسبة التنمية الاقتصادية عالية في عصر رئاسة اتاتورك، طبعا مع اخذ بعين الاعتبار عدم توفر موارد طبيعية عند جمهورية تركيا.
اتاتورك كان يحمل افكار سابقة لعصرها في منطقة الشرق الاوسط.
ومن عبقرية اتاتورك انه اختار طريق وسط ما بين الليبرالية الرأسمالية والاشتراكية الشيوعية.
وفي عام 1980 اختارت منظمة اليونسكو اتاتورك كاهم شخصية اصلاحية في العصر الحديث واهتمت اصلاحاته بتنمية الانسان وحريته.

وأما التيار المعادي يقوم بشيطنة مطلقة للزعيم اتاتورك ولا يحفظ حتى ولو إيجابية واحدة.
اولا: اتاتورك تركي الاصل والفصل والده من اصل تركماني ريفي وأمه من اصل تركماني بدوي وهذا مثبت في الوثائق والسجلات الرسمية.
وعلى فرض انه كان من اصل يهودي وهو غير صحيح فهذا لا يضره في شيء فاليهود بشر مثلنا مثل بقية البشر وبعض الصحابة من اصل يهودي كابن سلام وأم المؤمنين صفية بنت حيي من اصل يهودي.
ثانيا: اتاتورك مناضل وطني قاوم الاستعمار وأفشل مخططاته وحافظ على وحدة الاناضول.
ولم يكن عميل وكان من اشجع القادة في جبهات القتال اثناء الحرب العالمية وقاتل على عدة جبهات.
وهو قائد المعركة الشهيرة معركة جاليبولي التي أوقعت هزيمة كبيرة بالحلفاء وحمت اسطنبول من الاحتلال.

ثالثا: اتاتورك رجل دولة أسس جمهورية للشعب ذات مؤسسات حقيقية وبنية قوية تراعي مصالح المواطنين، ولذلك حدثت عدة تطورات بعد سنوات قليلة من وفاته استنادا على مباديء الجمهورية مثل الديمقراطية والأحزاب والإعلام المفتوح وغيرها، ولم يكن شخص فاسد يسعى لمصالحه الشخصية او الحزبية او العرقية ولم يحول تركيا الى مزرعة لعائلته وأقاربه ورفاقه.
رابعا: اتاتورك عمل نقلة نوعية لتركيا نحو دولة عصرية في التعليم والاقتصاد والفنون وغيرها وكثير من الإنجازات التي تحظى بها تركيا حاليا يعود لثورة اتاتورك فالتطور هو عملية تراكمية.
خامسا: اتاتورك كان سياسي سابق لعصره حيث اقر إصلاحات كثيرة في عدة مجالات بعض هذه الإصلاحات حاليا تسعى الدول الاسلامية لتبنيها.
سادسا: اتاتورك منح الحريات للشعب.
اما الانتقادات التي توجه نحو مؤسس الجمهورية اتاتورك اغلبها سطحية وكيدية ومبالغ فيها:
- نبدأ من الأبجدية وهذا النقد عبارة عن جهل بتاريخ اللغة التركية، فاللغة التركية عبر تاريخها كتبت بعدة أبجديات، ومع ظهور الجمهورية كان لابد من عمل إصلاحات للغة كانت حتمية فإصلاح الأبجدية تتطلب حل مشكلة الحروف والحفاظ على نقاء اللغة ولم تكن المسألة خصومات مع اي احد كان بل ان المطالبة بإصلاح اللغة تمتد الى العهد العثماني.
- إلغاء الدولة العثمانية وهذا نقد سطحي وخارج التاريخ، فالدولة العثمانية سقطت عمليا مع الحرب العالمية الاولى وترافق سقوطها مع سقوط الملكيات في روسيا وألمانيا والنمسا وكانت تنتظر اعلان حالة وفاتها والتي أعلنت مع بيانات حركة الاستقلال التركية، ثم انه ثابت تاريخيا ان اي دولة بالعالم تنتهي بمرحلة السقوط والنهاية.
- الزعيم اتاتورك ورفاقه المناضلون اسسوا تركيا الحديثة بناء على الثقافة واللغة والقومية الثقافية واعتبروا تركيا الحالية هي وليدة كل العصور من اقدم التاريخ واعتبروا الشعوب القديمة كالحيثيين والليدين والفريجين والليقين والهوريين مرورا بالعصر الهلينستيي ثم العصر الروماني ثم العصر التركي الاسلامي هم أسلاف الشعب التركي الحالي.
ولقد ضمت حركة الاستقلال الوطنية المؤسسة للجمهورية شخصيات من أصول مختلفة, واصلا كانت الاناضول تسمى خلال الألف السنة الماضية في جميع المصادر العربية والفارسية واللاتينية بتركستان.
بينما معارضي الجمهورية يرون ان تركيا هي وليدة العصر الاسلامي خلال الألف سنة الاخيرة. فأيهم اكثر اتساعا ونظرة تاريخية من يرى الى الآلاف السنين ام من يرى الى الف سنة فقط.
- استخدام اللغة التركية في الأذان والصلاة وغيرها وهذا يدخل في مجال الفقه وليس العقيدة ويجوز في المذهب الحنفي الأذان والصلاة بغير العربية، ويجهل الناقدين ان الترك ترجموا القران الى لغتهم منذ فترة مبكرة في العهد القاراخاني وكانت ترجمة تركية نقية، ولقد ذكرت المصادر الاسلامية ان الأذان والخطبة والصلاة في دولة الموحدين كانت تتم باللغة الأمازيغية في بعض أقطار شمال افريقيا.

- ما يتعلق باستخدام العنف المحدود وهذا نقد سطحي للغاية، لا توجد دولة عبر التاريخ لم يرافق تأسيسها حدوث اعمال عنف قوي او ضعيف ومنها الدولة العثمانية، وجميع اعمال العنف المحدودة التي حدثت في عهد اتاتورك كانت مبررة ومقيدة ضمن القانون واجراءات المحاكم سواء كانت ضد اعمال عنف عصابات الشوارع أو اعمال عنف مسلحة ضد الدولة او اعمال عنف تستهدف وحدة الدولة وبقاؤها وجميعها قد انتهت بخسائر قليلة.
- الزعيم اتاتورك لم يعادي الدين مطلقا ولقد أسس وزارة للأوقاف وأمر بترجمة القران الى اللغة التركية وكانت تقام جميع الشعائر الاسلامية المتعلقة بالصلاة والصيام وغيرها، وانما كان يرى ان الدين علاقة بين الانسان وخالقه وان الدولة يجب الا تتدخل في هذه الامور وتكفل جميع الحريات للمواطنين.
- ما يتعلق بحركة الاتحاد والترقي اغلب ما يقال مجرد اشاعات وأكاذيب لقد كانت الحركة موالية للخلافة العثمانية ولم يكونوا عملاء مطلقا وملتزمين بأصولها الدينية وهم مع زيادة تحديث وعصرنة الدولة العثمانية التي ابتدأت مع السلطان سليم الثالث وأعادوا العمل بالدستور والانتخابات البرلمانية.
ولم يكونوا عنصريين أبداً بل كانوا مع الوحدة اللغوية الإدارية والتعليمية ويرونها وسيلة أفضل لنشر التعليم والإدارة المركزية.
ومصطفى كمال انضم متاخرا الى هذه الحركة عام 1908 وكان عضو ثانوي غير فاعل.
واما عزل السلطان عبدالحميد الثاني قد حدث بسبب صراع وخلاف حول العمل بالدستور والحريات مع الاتحاد والترقي انتهت بعزله.

امبراطورية السلاجقة العظام

لقد مرت الدولة السلجوقية بثلاثة مراحل:
اولا: مرحلة الهجرة والتأسيس: وهي حدثت في العهد الساماني حيث هاجر الجد الأعلى سلجوق من بلاد الغز في اسيا الوسطى ومعه مجموعة من القبائل بسبب صراع داخلي الى قلب الدولة السامانية. وأصبحوا شركاء وحلفاء عسكريين للسامانيين واتخذوا من مدينة جند مقرا لهم.
باختصار شديد كان شعب الغز له قبائل عديدة تتجاوز العشرين وكانت لهم مملكة محلية في اسيا الوسطى ومجاورة لبلاد ما وراء النهر وهم مجتمع خليط حضر وبدو وتجار ولقد ذكر الكاشغري ان لهم ما يقارب خمسة مدن ومن أشهرها يني كنت ومراع شاسعة وكانت لهم تجارة مزدهرة مع بلاد ما وراء النهر. وامتدت هذه المرحلة تقريبا خمسين عام.
ثانيا: مرحلة القوة والازدهار: وتمتد هذه المرحلة من عهد طغرل بك الى عهد سنجر. من عام 1037 الى عام 1153 اي تقريبا 116 عاما.
وتحولت الى امبراطورية شاسعة تمتد من حدود الصين شرقا الى حدود القسطنطينية غربا ومن شمال الهند جنوبا الى حدود بلاد القبجاق شمالا، ولقد وظهر فيها مجموعة من السلاطين الأقوياء وحدثت نهضة حضارية شاملة تشهد بها الأعمال العمرانية العديدة والمدارس والأوقاف والمؤلفات العديدة في شتى العلوم العربية والفارسية. وضخت دماء وروح جديدة بنكهة حضارية مختلفة.
المرحلة الثالثة: مرحلة التقسيم والانهيار: وتمتد هذه المرحلة من عام 1153 الى عام 1194. استمرت تقريبا 40 عاما. وفيها تقسمت الدولة السلجوقية الى عدة سلطنات واتابكيات في خراسان وكرمان والعراق وغيرها. ولكن كان لسلطان العراق والجبال الإيرانية او سلطان العراقين الشرعية الأكبر بينهم. ومع ذلك المؤلفات الفارسية تمدنا بمعلومات وافية حول سير السلاطين وحالات النهضة والازدهار والرفاهية. والأعمال العمرانية والفكرية في هذه المرحلة الثالثة تشهد بان الازدهار الحضاري ظل مستمرا. استمرت السلطنة السلجوقية بشكل اجمالي حوالي 157 عاما.
مهلا ،،، مهلا ،،، مهلا
هل انتهت القصة؟!
لا والله ،،، يوجد فرع سلجوقي اخر في الاناضول ولقد لعب دور حضاري كبير وهم سلطنة سلاجقة الروم. وهولاء استمرت سلطنتهم تقريبا اكثر من 230 عاما.متى ما وضعت القناة مقطع عنهم سوف اعلق بتعليق اجمالي عنهم. فعلا كم انتم عظماء أيها السلاجقة تركتم بصمات حضارية خالدة بمداد من الذهب الخالص.

التصوف والصوفية

ان الصوفية مذهب جليل وجميل ومثل الذهب الخالص. وفي التاريخ الاسلامي كان للصوفية عدة اتجاهات، وهي:

اولا: التصوف السني والمقصود به انه الاتجاه الذي يعتمد كتب السنة والسنن والمذاهب السنية المشهورة ويعتمد مرجعياً على كتب حجة الاسلام الغزالي والقشيري والطوسي وأبو طالب وغيرهم وهذا الاتجاه هو الغالب على الحركات الصوفية من اول ظهور الصوفية الى نهاية العهد العثماني مثل النقشنبدية والجيلانية والشاذلية وغيرها.

الثاني: التصوف الفلسفي وهذا الاتجاه تغلب عليه النزعة الغنوصية او العرفانية مثل الحلاج وابن عربي والرومي والسهروردي وهذا الاتجاه كان يمارس ما يعرف بفكرة خاصة الخاصة اي ان أفكاره تكون متداولة في نطاق ضيق بين الشيخ والمريدين ويمنع النشر والجهر بها وتاريخيا كان يعاقب من يجهر ببعض الأفكار التي تمس بصلب العقيدة كما حدث مع الحلاج والملا لطفي.

الثالث: التصوف الشيعي وهذا عكس الاتجاه الاول حيث يرى بمرجعية كتب أئمة الشيعة والتحليل الباطني مثل الصفوية والحروفية والبكداشية.

اما في العهد العثماني كانت المرجعية هي سنية حسب المذهب الحنفي والأشعري والماتريدي. وكان هنالك صرامة من شيوخ الدولة العثمانية اتجاه من يجهر ببعض الأفكار التي تصادم صريح العقيدة. وليس كما يحاول البعض الكذب والتدليس. ومن أراد معرفة ذلك عليه ان يراجع كتاب الدولة العثمانية سؤال وجواب يذكر تفاصيل تلكم الاحداث.

والمصيبة الكبرى ان بعضهم يستشهد ببعض المحاكمات العثمانية حتى يدين الدولة وهو يحاول نقدها من نفس الباب تناقض عجيب ومضحك. متناسيا ان هذه المحاكمات تجرى وفق حكم شرعي ثابت في كل المذاهب وهو حكم الردة الذي كان مطبقا منذ القرن الاول الهجري. وهذا المتناقض يمر مرور الكرام على احداث غيلان الدمشقي والجهم والزنادقة والحلاج وتلامذته والتاركون للدين وغيرهم الذين اعدموا وفق حكم الردة.

اما البناء على القبور فهذه مسالة فقهية بحتة. وهؤلاء المتعصبين يريدون بالقوة جعلها مسالة عقائدية. إن البناء على القبور هو عمل حضاري وانساني. والبناء على القبور ليست بدعة عثمانية بل هو عمل متصل منذ القرن الاول الهجري واقرأوا ان شئتم عن المراقد الاموية والعباسية والمملوكية وغيرها. بل ان البناء على القبور هو عمل قديم قدم التاريخ البشري وفي كل الثقافات القديمة وكثير من الاثار التاريخية عبارة عن أبنية فوق القبور. مثلا الاهرامات عبارة عن ناطحات سحاب فوق قبور الملوك والبتراء ومدائن صالح عبارة عن مقابر في الصخر واستطيع اعدد مئات بل آلاف الاثار القديمة هي في النهاية عبارة عن أبنية فوق القبور.

ووفق هذا الفكر السطحي الذي يصر على جعل البناء على القبور مسالة عقائدية سوف يدمرون هذه الاثار التاريخية. ويتصور ان المسلمين يعتقدون ان هذه القبور عبارة عن آلهة !!! وهذا ما عملته الحركات المتطرفة في العراق وليبيا وغيرها دمروا الكثير من المراقد القديمة ولو وصلوا الى بغداد كان دمروا المراقد الكثيرة وبعضها عباسي. وبالله عليكم تخيلوا لو هذا الفكر المتطرف سيطر على القارة الهندية فسوف يدمر تاج محل وهمايون وغيرها من الاثار الإنسانية الجميلة. ما الذي استفادته البشرية من هذا الفكر المتطرف؟ لا شيء مطلقا. ولقد قاموا بتدمير الاثار الكثيرة التي لا تقدر بثمن ويصب عليها دموع الحزن والحسرة.

هل الدولة العثمانية نسخة من البيزنطية ؟

الدولة التركية العثمانية ليست نسخة من الدولة الرومانية البيزنطية وهذا استنتاج باطل وغير صحيح.
إن الدولة العثمانية لها طابعها الخاص الذي أوجدته بنفسها ومستمد من خلال تأثير قوي قادم من حضارات اسيا الوسطى، ونرى أولى المعالم التي تفند هذا الادعاء هو في طابع القصور العثمانية التي اتخذت لها شكلها الخاص المستمد من الطابع المعماري العثماني ومنازل اليورت وفلسفة الحكم العثماني ولم تقلد اي شيء من طابع القصور البيزنطية.
واما نظم الحكم العثماني فهي تقوم على نظم متعددة. فمن الناحية القانونية والقضائية كان يقوم القانون والقضاء العثماني على مزيج يجمع بين التراث التركي القديم وقوانين الياسق والفقه الحنفي، ومن النواحي الإدارية والعسكرية والمالية وغيرها فهي تشكلت مما بناه العثمانيين من مؤسسات وما أصدروه من قوانين عديدة تعرف بالقانون العثماني فهذه تشكل اغلب النظم العثماني ومع ما اخذوه من الدول السابقة وخاصة الدول الاسلامية في الاناضول فلقد اخذوا نظم ادارية من الدولتين الايلخانية وسلاجقة الروم ودول الخلافة السابقة وما اخذوه عن البيزنطيين بشكل نسبة ضئيلة.وبطبيعة الحال فاللاحق يأخذ من السابق.
وايضا استمد العثمانيين نظمهم من الأعراف التركمانية وطوروها مؤسسيا فمثلا إصدار القرار في البلاط العثماني تم اخذه من طريقة أعراف اتخاذ القرارات عند القبائل الغزية وهذا ما شاهدناه في مسلسل ارطغرل عندما تطرح القبيلة والعشيرة قضية معينة يجتمع السادة ويناقشون القضية ثم يتخذون القرار بالتصويت.
عموما نستطيع القول ان الحضارة العثمانية مستمدة بشكل رئيسي من حضارة اسيا الوسطى وثقافتها ثم يأتي التأثر والتفاعل مع حضارة الأناضول المحلية.

استكمالا لما ذكرته.... كما ذكرت أن الدولة العثمانية إنما هو تصميم عثماني اصيل لمؤسسات الدولة. والدولة العثمانية كانت وريثة الامبراطورية السلجوقية وفرعها الأناضولي سلاجقة الروم وممالك الغز والتاريخ التركي وحضارة اسيا الوسطى واوراسيا اي كانت تمثل مرحلة المجد والازدهار. بينما الدولة البيزنطية كانت منذ قيام الدولة العثمانية دولة ضعيفة ومتهالكة لا تمثل جاذبية للآخرين. وليست كما كانت في مرحلة القوة والازدهار في عهود قسطنطين وجستنيان وغيرهم. ويغيب عن الكثير ان دولة الخلافة الاسلامية في القرنين الاول والثاني اقتبست الكثير من نظم الفرس الساسانيين والروم البيزنطيين مثل نظم الوزارة والدواوين والعسكر وبروتوكولات القصور وغيرها وطورتها واضافت اليها. فالدولة الأموية تأثرت كثيرا بالتراث الروماني في الشام مركز الدولة الأموية. وهذا التأثر شمل ايضا النواحي المعمارية والاقتصادية وغيرها. والدولة العباسية تأثرت كثيرا بالتراث الساساني في العراق مركز الدولة

العباسية. ولقد ذكر الجاحظ في كتابه تاج الملوك ان الدولة العباسية أخذت الكثير من رسوم ملوك العجم الساسانيين. هذا عدا النواحي الاخرى مثل العمارة والأدب وغيرها. اذا دولة الخلافة اقتبست نظم سابقة وطورتها واضافت اليها. ثم ظهرت الامبراطورية السلجوقية وانتقلت اليها أنظمة الخلافة واضافت اليها. ونقلها سلاجقة الروم الى الاناضول ونعرف تفاصيل الحكم السلجوقي من الكتب التاريخية. ثم عندما ظهرت الدولة العثمانية مع الامير عثمان ثم السلطان اورخان كانت وريثة ما سبقها في تاريخ الاناضول الاسلامي وانتقل اليها تراث السلاجقة وغيرها. وفي عهد اورخان تم وضع الديوان والوزارة والعملات ونظم القضاء وغيرها. بل كما ذكرت سابقا أخذ العثمانيين نظم ناجحة استحدثتها الإمبراطورية المغولية من الايلخانية والقبيلة الذهبية. ومع تطور الدولة العثمانية وتوسعها تم إصدار قوانين متعددة واستحداث مؤسسات جديدة مع سيرورة تطور الدولة العثمانية. اذا أخذنا تصور كامل حول وضع الدولة العثمانية الصاعدة ووضع الدولة البيزنطية المتهالكة. فما الذي بقي للدولة البيزنطية حتى تقدمه؟ وأفضل ما لديها تم اخذه منذ القرن السابع والثامن والإضافة اليه وتطويره. صحيح بقيت بعض الجوانب التي لم يمكن اخذها مثل القبة المركزية ذروة العمارة البيزنطية وهذه اخذها المعماريون العثمانيون وطوروها واضافوا اليها وفق طابع العمارة العثمانية.

الأتراك والبلقان

يحاول القوميين السلاف يحاولون تصوير الفتح العثماني كما لو كان صراع تركي اسلامي /مسيحي سلافي.وهذا غير صحيح.
فإن الشعوب التركية قد استقرت في وسط أوربا والبلقان قبل الحكم العثماني بألف واربعمائة سنة وأقاموا دول وممالك مثل مملكة البلغار والافار وغيرها وتركت اثر حضاري عظيم ويعود اليهم الفضل بجعل اللغة السلافية لغة مكتوبة ومتداولة.
وبل ان مملكة المجر في وسط أوربا قامت على تحالف قبلي يضم المجريين والاتراك والأسرة الحاكمة من أصول تركية واستخدمت اللغة التركية لفترات معينة ولكن نظرا لأن اعداد القبائل المجرية اكثر شاعت لغتهم الاورالية.
وكان البيزنطيون ينظرون الى مملكة المجر على انها مملكة تركية ويعتبر الشعب المجري الاتراك هم ابناء عمومتهم الى وقتنا الحاضر ويوجد تاثير سهوبي قوي في الثقافة المجرية.
وايضا قرات ان العثمانيين في فتوحاتهم بوسط أوربا دخلوا في حروب ضد أمراء اتراك مسيحيين من أصول قبجاقية وبجنقية يحكمون المنطقة.
عموما انا استغرب اثارة هذه النعرات القومية وهم يعلمون ان العثمانيين حافظوا على هوية المنطقة اللغوية والثقافية ولم يغيروها. وفي المقابل يتناسون ان جنوب شرق أوربا اي جنوب الفولغا وجنوب الدنيبر والقرم وشمال قزوين وشمال القوقاز والتي كانت طيلة تاريخها منطقة تركية من الهون الى التتار، ولقد تحولت هذه المنطقة الأكثر حضارة وغنى وملتقى الطرق التجارية والتي تعتبر جزء من السهوب الأوراسية الى منطقة سلافية.

مذهب الدولة العثمانية الرسمي

الخط العام للدولة العثمانية كان سنيا بحتا على المذاهب الحنفية والأشعرية والماتريدية.
ولقد كان الكادر الديني للدولة العثمانية سنيا بحتا مثل اده بالي وابن كمال وداود القيصري وغيرهم.
وأيضا كان الخط العام في المجال العسكري والتنظيمات العسكرية سنيا بحتا مثل ابدلان روم والانكشارية وغيرها.
وفي مجال التصوف كان الخط السائد هو الخط السني وهذا لا يتعارض مع حب السلاطين لأهل البيت وأئمتهم مثل الصادق والباقر وغيرهم.لان حب اهل البيت ذكر في أحاديث كثيرة.
وعموما في تاريخ التصوف في العصر العثماني كانت جميع الاتجاهات الصوفية الثلاثة التي ذكرتها السنية والفلسفية والشيعية كانت موجودة ومتداولة حيث كانت كل الطرق حاضرة وتمارس تقاليدها وتشرح كتبها.
فكانت تشرح كتب الغزالي وابن عربي والرومي والنقشبندي والشاذلي والبكداشي وغيرهم.وهذا يحسب للدولة العثمانية بانه كان يوجد فيها تنوع فكري خلاق ورائع.
وفي وقتنا الحاضر في بعض الدول هل يستطيع احدهم شرح كتاب الفتوحات المكية او اشعار ابن الرومي وغيرهم، فسوف تقام ضده الدنيا ولن تقعد ويتهم بالكفر والفجور.
طبعا كما ذكرت توجد خطوط عقدية حمراء ويمنع المس بصلب العقيدة والرموز الإسلامية.
ويدل ايضا بشكل صريح على انعدام الطائفية بدليل صريح ان الأفكار الشيعية الاسلامية موجودة عند بعض الحركات الصوفية مع وجود السكان الشيعة الكرام وحوزاتهم وحفظ حقوقهم والعلاقات الجيدة مع الطوائف العلوية والدرزية.
والمطلع على الحوارات بين الشيوخ العثمانيين والشيوخ الإيرانيين يعلم انه كان طلب العثمانيين الوحيد هو عدم سب الصحابة على المنابر وعدم فرض العقيدة أما ما يتعلق بأصول الشيعة وفروعهم لم يتعرضوا لها مطلقا ولم تكن تهمهم.

الدولة الصفوية القزلباشية

لقد ظهرت نابتة جديدة ودعوى باطلة تحاول فصل الدولة الصفوية القزلباشية عن التاريخ التركي العام.

اولا: لقد عاشت الاسرة الصفوية العلوية النسب في اذربيجان قبل خمسمائة عام من قيام الدولة الصفوية.

وان اذربيجان بسبب طبيعتها الجبلية وموقعها الاستراتيجي. شكلت حافز للهجرات التركية الكبرى واغلبيتهم من الاوغوز لهذا نرى اللغة التركية الأناضولية تتشابه مع اللغة التركية الاذربيجانية.

واستمر التأثير التركي من عهد السلاجقة ثم في عهد المغول ثم في عهدي قراقويونلو وآق قويونلو. حيث اتخذوها مركز للاستقرار والتنقل واتخذوا من مدنها عواصم لهم ومركز لحكم الأقاليم الإيرانية.

وبسبب ذلك تحول هذا الإقليم الى منافس ندي للأقاليم الإيرانية الاخرى. وأذربيجان يشكل فيها القبائل التركية نسبة ضخمة.

ثانيا: عندما ظهر الشيخ صفي الدين وأسس طريقته الصوفية كان يلقب في اقدم المصادر عنه بالشيخ التركي وبير تركي وهذا له دلالات كبيرة وكان تلامذته من الاتراك ولقد كان الاتراك هم المناصرين لهم.

ثم عندما ظهر إسماعيل الصفوي بعد صفي الدين بقرنين من الزمن كان يفتخر بتركيته ويقول للسلطان سليم انه تركي اكثر منك.

ويعتبر اسماعيل صفوي بمثابة قديس عند العلويين الاتراك.

ثالثا: لقد قامت الدولة الصفوية على القبائل التركية التي شكلت الجيش وكان يسمى بالقزلباش وشكل القوة الضاربة للدولة الصفوية حتى سقوطها.

والدولة الصفوية في قيامها هي حلت مكان اسرة دولة آق قويونلو حيث قام التركمان باستبدال اسرة مكان اسرة اخرى في اطار الدولة التركية.

رابعا: كانت اللغة التركية هي اللغة الام للاسرة الصفوية.

وارجو التركيز انا اتحدث عن لغة أم يرضعها منذ نعومة أظفاره.

وليس لغة اكتسبها من المجتمع او التعليم او الموثرات الخارجية.

خامسا: كانت اللغة التركية هي لغة رسمية ثانية بعد الفارسية وتستخدم في الادارة الصفوية فضلا انها كانت هي لغة البلاط والجيش.

ولدينا كتب رحالة وتقارير اوربية في القرن السابع عشر والثامن عشر تذكر ان اللغة التركية هي لغة الأسرة والبلاط.

بل قام الروس والاوربيين بعمل قواميس تركية/فارسية حتى تساعدهم في عمل انشطتهم في إيران الصفوية.
سادسا: واكثر من ذلك كانت اللغة التركية هي لغة ادبية في العصر الصفوي.

وبعد كل هذا يأتي احدهم وبكل بساطة يريد ان يفصل صلة الدولة الصفوية عن الاتراك وهي التي تضرب التركية في كل جذورها ونواحيها.
وكانت تلقب بالدولة القزلباشية فمثلا في كتاب البدليسي يدعوها في كل صفحات الكتاب بالقزلباشية.
ولاحقا بعدما انهارت الدولة الصفوية هزم نادر شاه الافشاري دولة الأفغان وأعاد توحيد ايران وهو يعتبر من ضمن الفاتحين الكبار.
وبعدها أعاد القاجاريين توحيد ايران.
وكلا السلالتين من الافشار والقاجار كانتا من التنظيمات القبلية الأساسية التي اعتمدت عليها الدولة الصفوية.

الدولة الصفوية هي دولة تركية

السلالة الصفوية هي سلالة تركية من اصل علوي يتصل نسبها بنسب علي بن ابي طالب.
والادعاء الباطل ان الصفويين من اصل كردي هو غير صحيح مطلقا ونتيجة قراءات خاطئة لبعض المورخين المعاصرين اما بسبب جهلهم بطريقة كتابة الانساب في كتب التراث الاسلامي او ان لديهم اجندة سياسية وايديولوجية.
وبينما كل المصادر القديمة الايلخانية والتيمورية وآق قوينلو والمملوكية والعثمانية وغيرها اكدت ان السلالة الصفوية هي من نسب علي بن ابي طالب.
إن الخطأ الكبير الذي وقع فيه بعض المؤرخين بسبب جهلهم او انحيازاتهم كانت بسبب عدم معرفتهم بطريقة كتابة الانساب في كتب التراث وتجاهل السياقات النصية ومدلول الكلمات.
يوجد مصدر وحيد وصف جد السلالة الصفوية فيروز شاه زرين كلاه الذي قدم الى اردبيل انه كردي من الناحية الجغرافية فقط.
مصطلح الكردي في كتب التراث له اربع معاني مختلفة وهي:
- جغرافي بالمعنى المتصل بالسكن في كردستان.
- او بالمعنى البدوي الذي يعيش حياة الرعاة الرحل ولا يرتبط بشعب معين.
- او يطلق على غير الاكراد الذين تحالفوا مع الاكراد وعاشوا معهم.
- او يطلق على الشخص من اصل كردي من حيث النسب والقبيلة.
وعندما نعود الى سياق النص الوحيد حول الاسرة الصفوية الذي ذكر مصطلح الكردي سنجده متصل بالجغرافيا فقط وليس له اي صلة بالعرق والنسب، وذلك على النحو التالي:
"الشيخ صفي الدين إسحاق بن الشيخ أمين الدين جبريل بن الصالح بن قطب الدين أبو بكر بن صلاح الدين رشيد بن المحمد الحافظ لكلام الله بن العواز بن البيروز (بيروز) الكردي السنجاني".
حيث نرى بكل وضوح ان كلمة كردي مرتبطة بالمنطقة الجغرافية التي قدم منها فيروز وهي سنجار في كردستان.
وتوجد امثلة كثيرة جدا على هذا الاسلوب المتبع في كتابة الانساب في كتب التراث الاسلامي.
خذوا هذا المثال: "ابن عدي حسن بن عدي بن أبي البركات الكردي".
الحسن بن عدي هو من اصل اموي وهاجر من مدينة بعلبك في لبنان ولكن نظرا لانه عاش بين الاكراد الهكارية ولذلك نسبته كتب التراث اليهم.
فضلا أن هنالك اسئلة موضوعية أخرى تفرض نفسها الى الذين يزعمون ان السلالة الصفوية تنحدر من اصل كردي، ولعل من ابرزها: ما هي القبيلة أو العشيرة الكردية التي تنتمي اليها الاسرة الصفوية ؟

ولماذا لا يوجد مصدر تاريخي واحد قديم أشار الى وجود أصل اخر محتمل للسلالة الصفوية ؟ يتهم العنصريين من الفرس والاكراد ان المؤرخين الاتراك يزورون التاريخ الصفوي وبينما اذا راجعنا المصادر الصفوية المعاصرة للعصر الصفوي سنرى انها تصف بشكل صريح بان السلالة الصفوية هي سلالة تركية من اصل علوي.

١. في الفصل الحادي عشر من كتاب "صفوة الصفا" (ليدن)، الفصل الثالث، وردت عبارة "تركي ابن تركي، على عرش الترك" في كلمات الشيخ صفي الدين نفسه.

٢. يؤكد إسكندر بك منشي التركماني في كتابه أنه تركي.

٣. فرض هروي، مؤرخ بلاط الشاه إسماعيل، الصفويين أولاً على الإمام السابع، موسى بن جعفر الكاظم، ثم أسس سلطنة أوزون حسن من الأقفويونلو وجيهان شاه من القراقيونلو. ويصف الكتاب نفسه الشيخ صفي بأنه "حكيم تركي" و"شاب تركي".

هناك وردت عبارة "غوفت/قال، أيها التركي الشجاع...".

٤. في خان جيهان غوسا، ذُكر والد الشيخ صفي الدين، الشيخ جبرائيل، كتركي، وهو نفسه مذكور في النص.

٥. ذكر حكيم تركي في مخطوطة لايدن.

٦. في كتاب الشيخ حسين "سلسلة النسب الصفوية"، يُشدد زاهيدي على الأصول التركية للصفويين.

الكلام السابق الوارد اعلاه هو حول هوية السلالة الصفوية.

اما طبيعة الدولة الصفوية فهي دولة تركية بحتة وقامت على القيزلباش والقبائل التركمانية.

وكانت اللغة التركية هي لغة البلاط الصفوية وتمثل اللغة الام للصفويين.

وكانت الدولة الصفوية قائمة على التقاليد التركية والثقافة التركية وغير ذلك.

ولذلك نجد ان جميع المصادر التاريخية للدولة الصفوية سواء العثمانية او الاوربية او التيمورية تصفها بالدولة التركمانية او الدولة القزلباشية ونحو ذلك.

تفنيد مزاعم عدم ترك العثمانيين آثار عمرانية في الأقاليم المحكومة

من ضمن المزاعم التي يروجها البعض هو الادعاء ان الدولة العثمانية لم تترك اثار في البلاد التي حكمتها سواء العربية وغيرها من مساجد وحمامات ومدارس وغيرها وهذا كذب محض حتى ابليس يستحي من قولها.
ان العصر العثماني والحضارة العثمانية تشكل ذروة التاريخ الاسلامي بشكل عام والتاريخ التركي بشكل خاص، ولقد اهتمت الامبراطورية العثمانية اهتمام كبير بعمارة جميع الاراضي التي ضمتها وفق العمارة العثمانية.

تعد بلاد البلقان من أوائل البلاد التي ضمها العثمانيين ولقد استثمر فيها العثمانين استثمارات كبيرة واسسوا فيها مدن جديدة وطوروا القديمة وشيدوا البنى التحتية الضخمة من جوامع وجسور وسدود وقنوات ومدارس وغيرها.

وبعدما اكمل العثمانيون ضم بلاد الشام والعراق والحجاز ومصر وشمال افريقيا، اتجهت همتهم العالية الى الاهتمام بعمران هذه البلدان وتطويرها.

في بلاد الشام كانت مدينة حلب تعد العاصمة الثالثة في الدولة العثمانية واحدى مراكزها الكبرى.
حيث اتسعت مساحتها الى الضعف وزاد عدد سكانها من 60,000 نسمة في سنة 1570م الى 120,000 نسمة في سنة 1790م
وتجاوز نسبة النمو في مدينة حلب خلال العصر العثماني اكثر من 50%.
فقد تضاعفت مساحة مركز ولاية «حلب» الذي كان يعرف لدى السكان باسم «المدينة» في أقل من نصف قرن باتجاه الغرب بفضل أربعة مجمعات وقفية لولاة «حلب»، فبنى الوالي «خسرو باشا» عام 1544 والوالي «محمد باشا دو كاجيني» عام 1555 والوالي «محمد باشا» عام 1574 والوالي «بهرام باشا» عام 1583 مئات من المحلات التجارية والخانات والقيساريات التي مازال بعضها قائمًا وشهيرًا إلى الآن، مثل خان الشونة، خان الجمرك، خان الوزير [في القرن السابع عشر] فازدادت مساحة مركز الولاية من خمسة هكتارات مطلع القرن السادس عشر إلى أكثر من عشر هكتارات قبل أن يمر نصف قرن على حركة التعمير الكبيرة هذه، وأصبحت الأسواق المغطاة في المدينة من أكبر الأسواق في الدولة بكاملها.
وبالإضافة إلى البيوت الجميلة والقصور الفخمة التي تدل على غنى المدينة، نجد انتشارًا للعمائر الدينية المتمثلة في الجوامع والمساجد التي زينت سماء «حلب» أكثر مما في دمشق والقاهرة بالمآذن العثمانية الجميلة التي تنتهي برأس مُدبب كالقلم الرصاص إلى جانب قباب نصف دائرية راسخة، هذه المميزات العمرانية العثمانية الواضحة، فكان أول المجمعات الكبيرة

التي خططها المعمار الشهير «سنان»، هو جامع ومدرسة وتكية «الخسروية» عام 1546 [نسبة إلى خسرو پاشا حاكم الولاية] بالإضافة إلى الكثير من الجوامع والمدارس الأخرى مثل جامع بهرام پاشا، والمدرسة الأحمدية، والمدرسة الشعبانية، ومدرسة عثمان پاشا.
ولقد بلغ تعداد الاثار العثمانية في حلب اكثر من 300 معلم اثري من قصور ومدارس وجوامع وغيرها.

وفي مصر كانت مدينة القاهرة تعد العاصمة الثانية في الدولة العثمانية ومركز تجاري كبير وكان هو الابرز في العالم العثماني.
وتوجد كتب علمية تناولت محورية القاهرة في العصر العثماني مثل كتاب "مصر العثمانية والتحولات العالمية" للمؤرخة نللي حنا وكتاب "قبل ان يأتي الغرب" لناصر عثمان وغيرها من الكتب.
وبلغ عدد الاثار العثمانية في القاهرة وحدها ما يقارب 200 مبنى اثري عثماني.

واهتمت الخلافة العثمانية بالحجاز والحرمين اهتمام شديد جدا حيث قامت بعمارة الحرمين وبناء عدة جوامع ومدارس ومكتبات في مكة والمدينة وتطوير المساجد الرئيسية مثل قباء والقبتين ورعاية وتطوير طرق الحج وغير ذلك.
قطعا لن استطيع التطرق الى الاثار العثمانية الكثيرة في الشام والعراق وشمال افريقيا والحجاز وغيرها.

وسوف أختم التعليق عن مدينة مقدسة وهي القدس الشريف.
هل تعلمون ان 70٪ من اثار القدس هي عثمانية.
وهذه قائمة لبعض الاعمال التطويرية التي حدثت في العصر العثماني:
- اعادة بناء وترميم الجوامع المقدسة.
- بناء سور المدينة.
- بناء القلعة.
- تزويد المدينة بالمياه.
- رباط بيرام جاويش.
- تكية خاصكي سلطان.
وبسبب جهود الدولة العثمانية لإعادة تفعيل مدينة القدس وتوسيعها عمرانيا تضاعف عدد سكان القدس أضعافا عن السابق.

خاقانية اليوغور

لقد ظهرت المدن في السهوب الشرقية قبل عصر خاقانات الأويغور.
حيث اكتشف علماء الآثار آثار مدن قديمة في السهوب الشرقية وجنوب سيبيريا تعود إلى عصر إمبراطورية شيونغنو.
وتذكر السجلات الصينية وجود مدن من ممالك شيونغنو المتأخرة.
وكانت بعض مدن مملكة روران تقع في السهوب.
وهناك أيضًا مدن في عصر غوكتورك، حيث تذكر السجلات الصينية القديمة، على سبيل المثال، أن خاقان غوكتورك، قيمين كاغان، بنى له مدينتين.
إضافةً إلى ذلك، كان لغوكتورك الغربي عواصم في آسيا الوسطى، مثل سوياب، وكانوا مهتمين ببناء المدن والقصور والفخامة.
كما تذكر نقوش أورخون والسجلات الصينية وجود مدن توجوز أوغوز في السهوب الشرقية والتي امتلكت كذلك الطرق المعبدة ومحطات البريد في عصر غوكتورك.
تعود جذور الأويغور إلى كونفدرالية تيلي، التي أسست مملكة في شمال حوض تاريم في القرن الخامس الميلادي، وشكّلت بعض قبائلها جزءًا أساسيًا من كونفدرالية تابغاتش في عهد أسرة وي الشمالية.
ولا ينبغي أن تُفهم نصيحة الوزير تونيوكوك الحكيمة حرفيًا بمعزل عن السياق التاريخي والوضع العام في تلك الحقبة وما ورد في السجلات التاريخية والدراسات الأثرية.

يمكن القول إن عصر خاقانية غوكتورك في السهوب كان خاقانية نصف مدينة ونصف قبيلة، بينما في عصر خاقانية الأويغور، تحوّلت الخاقانية إلى خاقانية مدينة، بحيث اعتمدت كليًا على المدينة وتوسع الأويغور في بناء العديد من المدن.

ولقد بنت خاقانية الأويغور المدن قبل اعتناق الديانة المانوية، ولم تُشكّل الديانة الجديدة أي دافع مسبق للأويغور للتوسع في بناء المدن. حيث بنى الخاقان الثاني بايانشور مدينة أوردو باليق ومدنًا أخرى في السهوب عام 750، بينما اعتنق الخاقان بوغو المانوية عام 762، ثم جعلها لاحقًا الديانة الرسمية لخاقانية الأويغور.
ولم تتخلَّ خاقانية الأويغور عن التقاليد التركية، إذ كانت الديانة الأويغورية مزيجًا بين التنغرية والمانوية، واستمروا في استخدام الأبجدية الرونية طوال عهد الخاقانية، كما أثبتت الاكتشافات الأثرية.

وتذكر المصادر التاريخية أن خاقان الأويغور قد استخدم خيمةً كبيرةً صُنعت قبتها وأعمدتها من الذهب الخالص خارج أسوار العاصمة. كذلك، ليس الأويغور أول الأتراك الذين انفتحوا على

الديانات الأجنبية، فقد اعتنق خاقان غوكتورك تسبار البوذية وأمر ببناء المعابد البوذية وترجمة السوترا البوذية إلى التركية عام 575.
وكان بعض ملوك غوكتورك الشرقيين والغربيين على الديانة البوذية.

ولم تكن شكل العلاقة بين غوكتورك والممالك الصينية علاقة صراع دائم، بل كانت علاقة معقدة ومتشابكة.
من حيث التبادل الثقافي والتجاري والمساعدات العسكرية والوصول إلى الخبراء والحرفيين والعمال والجنود والأسلحة وما إلى ذلك.
وذكرت السجلات الصينية أن غوكترك كانوا على دراية ومعرفة بالطب الصيني واستخدموه فيما بينهم، كما كانوا على دراية بالأدب الصيني في السياسة وغيرها.

على سبيل المثال، هناك عشرة آلاف عائلة تركية استقرت في العاصمة الصينية التاريخية تشانغآن في العصر الوسيط عام 630، وهذا عدد كبير جدًا حتى بمقاييس عصرنا. كذلك، هناك قبائل تركية استوطنت شمال الصين، ومارست الزراعة وسكنت المدن وما شابهها، وبقي الكثير منها محافظًا على عاداته وتقاليده.

ولقد استعان خاقان إشبارا غوكتورك بسلالة سوي خلال الحرب الأهلية.
هذا فضلا ان سلالة تانغ كانت منفتحة على الاتراك والسهوب الشرقية وترجح العديد من المصادر القديمة والحديثة ان سلالة تانغ تنحدر من أصل سهوبي من جهتي الأب والام.
وبالطبع، لم تكن علاقة خاقانية الأويغور بسلالة تانغ ودية دائمًا، وشهدت حالات صراع متقطعة.

ولقد اعتمدت غوكتورك على الصغديين في أمور التجارة والعلاقات الدولية وغيرها.
حيث استندت خاقانية الأويغور إلى معطيات سابقة كانت موجودة في عهد غوكتورك، وتمكنوا من تطويرها بشكل أفضل.

وبعد انهيار خاقانية الأويغور عام 840 بسبب هجمات شعب ينيسي القرغيزي.
هاجر الأويغور على ثلاث دفعات، وفقًا للمصادر التاريخية الوسيطة:

قسم هاجر إلى مقاطعة قانسو وسيطرت عليها وأسس مملكة دامت لأكثر من قرنين.

قسم هاجر شرقًا في السهوب واتحد مع شعب الخيتان حتى ذكرت السجلات الصينية أن "نصف الخيتان من الأويغور"، وساهم بشكل كبير في تأسيس مملكة لياو الخيتانية، التي حكمت شمال الصين والسهوب الشرقية لنحو قرنين.

وقسم هاجر الى شمال حوض تاريم، ونظرًا لأن خاقانات الأويغور كانت تسيطر سابقًا على المناطق الواقعة شمال حوض تاريم، وكان لها وجود سكاني تركي كثيف في المنطقة، بالإضافة إلى وجود مدينة معروفة مذكورة مسبقا في نقوش أورخون، وهي بشباليك، فتمكن الأويغور من تأسيس مملكة قوتشو بسهولة ويسر، واستمرت لفترة طويلة، نحو خمسمائة عام.

أما في العصر الحاضر، فقد تشكل شعب تركستان الشرقية، وهم شعب الأويغور، نتيجة اتحاد واختلاط عدة قبائل تركية ضمن هوية وطنية واحدة، وهم الأويغور، والقارلوق، والياغما، والبسمل، والجاغتاي، والهون، والتتار وغيرهم.

الأهمية الرمزية لشخصية جنكيز خان

التاريخ التركي العام هو تاريخ شعوب وقبائل وأشخاص وجغرافيا وليس تاريخ سلالات حاكمة فقط.
تاريخ امبراطورية جنكيز خان "المنغولية" هو جزء أساسي من التاريخ التركي العام.
وذلك عبر النظر الى التركيبة الأساسية لامبراطورية المنغول، والتفاعلات التركية الكثيرة مع هذه المرحلة المهمة.
لأن تيموجين تحول الى جنكيز خان بعد أن تمكن من توحيد القبائل التركية والمنغولية في السهوب الشرقية، ولأن هذه الامبراطورية تأسست في الاراضي التاريخية للاتراك في السهوب الشرقية.
ويعتبر المؤرخون المتخصصون في التركولوجيا انه تم توحيد الشعوب التركية خلال ثلاث مرات في التاريخ.
الاولى: في عصر امبرطورية شيونغنو، الثانية: في عصر امبراطورية غوكترك، الثالثة: في عصر امبرطورية جنكيز خان.
حيث تشكلت عدة كونفدراليات كبيرة في الامبراطورية الجنكيزية تقوم على دمج القبائل التركية مثل الجغتاي والقبيلة الذهبية والايلخانية.
ولقد شكل شعب الاويغور العمود الفقري للجهاز البيروقراطي في امبراطورية جنكيز خان وأيضا في طبقة العلماء والحكماء، وقدم تاتا تونغا الابجدية الجديدة الى جنكيز خان.
وبحسب المؤرخ الجويني كانت اللغة الويغورية هي لغة العلم والمعرفة في عصر امبراطورية جنكيز خان، حيث انتشر استخدام اللغة التركية في جميع انحاء الامبراطورية الجنكيزية من اقصى الشرق الاسيوي الى القارة الاوربية.
لقد ساهمت الامبراطورية الجنكيزية في انتاج حضارة متقدمة في كل المجالات في العصور الوسطى، سواء من حيث بناء المدن الكبيرة وبناء المراصد الفلكية والمكتبات ودعم العلماء والحرفيين وغيرها. وكانت امبراطورية متسامحة مع جميع الاديان والقوميات وكانت شبه علمانية وتمتلك مدونة في القانون الوضعي وغير ذلك.
لقد زار الرحالة ابن بطوطة اراضي الامبراطورية الجنكيزية وقدم وصف حول التقدم الحضاري فيها وذكر عن مدينة سراي في القبيلة الذهبية:
"ومدينة السرا، من أحسن المدن، متناهية الكبر، في بسيط من الأرض، تغص بأهلها كثرة، حسنة الأسواق متسعة الشوارع.
وركبنا يوما مع بعض كبرائها، وغرضنا التطوف عليها ومعرفة مقدارها، وكان منزلنا في طرف منها فركبنا منه غدوة فما وصلنا لآخرها إلا بعد الزوال فصلينا الظهر وأكلنا طعامنا فما وصلنا

إلى المنزل إلا عند المغرب ومشينا يوما في عرضها ذاهبين راجعين في نصف يوم وذلك في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا بساتين وفيها ثلاثة عشر مسجدا لإقامة الجمعة أحدها للشافعية وأما المساجد سوى ذلك فكثيرة جدا".

وايضا وصف ابن بطوطة مدينة خانباليق عاصمة سلالة قوبلاي خان في شمال الصين:

"حتى وصلنا إلى مدينة خان بالق "ضبط اسمها بخاء معجم وألف ونون مسكن وباء معقود وألف ولام مكسور وقاف"، وتسمى أيضا خانقو "بخاء معجم ونون مكسور وقاف وواو"، وهي حضرة القان، والقان هو سلطانهم الأعظم الذي مملكته بلاد الصين والخطا. ولما وصلنا إليها أرسينا على عشرة أميال منها على العادة عندهم. وكتب إلى أمراء البحر بخبرنا فأذنوا لنا في دخول مرساها فدخلناه ثم نزلنا إلى المدينة، وهي من أعظم مدن الدنيا وليست على ترتيب بلاد الصين في كون البساتين داخلها. إنما هي كسائر البلاد والبساتين بخارجها، ومدينة السلطان في وسطها كالقصبة حسبما نذكره".

إن جنكيز خان هو رمز تاريخي للشعوب التركية مثل العديد من الرموز التاريخية الاخرى.

وان بعض الذين يهاجمون رمزية شخصية جنكيز خان التاريخية، عليهم ان يطرحوا على أنفسهم هذه الاسئلة:

١- لماذا تعظم الشعوب التركية في اسيا الوسطى شخصية جنكيز خان منذ عدة قرون سابقة.

2- لماذا تضمن نشيد تركستان الشرقية اسم جنكيز خان في النشيد الوطني:

"أتيلا وجنكيز خان وتيمور هزموا العالم,"

ولماذا اعتبر اليوغور ان جنكيز خان هو الذي حررهم من القراخيطاي، وانتقم لهم من شعب التانغوت.

3- لماذا حدثت طفرة نوعية في الادب التركي عند أتراك الشرق الاوسط "في الاناضول وايران وغيرها" في مرحلة الامبراطوية الجنكيزية ؟

ملاحظة: أقصد بالطفرة النوعية استخدام اللغة التركية الواسع في التأليف والترجمة ودواوين الدولة وغيرها، وليس مجرد استخدام اللغة التركية الاعتيادي حيث ذكرت المصادر التاريخية ان ملك مصر والشام احمد بن طولون العظيم كان يستخدم اللغة التركية في كتابة الاشعار وايضا في العصر السلجوقي كان يتم استخدام اللغة التركية في مجالات معينة.

اما الذين يستشهدون بحادثة الحرب المغولية/الخوارزمية هم يرتكبون مغالطة كبيرة تستند على العاطفة الدينية البحتة.

والخوض في اشكالية الحروب هو امر لا ينتهي لأنه التاريخ الانساني لا يخلو منها.

وتوجد حروب داخلية جرت في التاريخ التركي العام سواء في التاريخ غير الاسلامي او التاريخ الاسلامي.

ولقد اعتبر المؤرخ محمد النسوي صاحب كتاب سيرة جلال الدين منكبرتي ان الحرب المغولية الخوارزمية هي حرب تركية/تركية بحتة.

جنة القرغيز السيبرية

وصف الأديب نظامي كنجوي في ملحمته "إسكندر نامه" مدينة مشابهة للجنة تقع في بلاد القرغيز في أقصى الشمال في الجزء العلوي من ينيسي وما بها من حالة خيالية من الازدهار والمساواة والأخوة والسعادة للجميع.

"لقد مر عبر المروج الشاسعة ،
والبساتين والجداول المتعرجة
، ورأى مدينة تلك الأرض الرائعة.
لقد كانت مدينة وفيرة مثل الجنة.
سار القيصر حتى مدخل المدينة لكنه لم يجد بوابة أو علامات عليه.
رأى أكشاك سوق الشواذ بدون أقفال على الأبواب.
وافترض "يجب أن تكون عادة محلية".
تقدم سكان المدينة للترحيب بالقيصر باحترام وابتسم لتحية حاكم العالم.
وأخذت الهارب الملكي إلى
قصر الفيروز واسع كالسماء
وقدموا له وليمة عظيمة
ووقفت على الطاولة تتلألأ بالأوعية "

وفقا لنظامي في بلاد القرغير في سيبيريا، كان هناك مجتمع مثالي مع نظام أخلاقي وثقافي واجتماعي مثالي.

"العالم فيه بر.
يجب أن تعتز به.
يتعلق الأمر بالعالم من هؤلاء الناس ...
إذا كانوا صالحين ، يجب أن ترى زيفك!
إذا تم تسميتهم "بالناس" ، فهل يجب أن نطلق عليهم نفس الشيء؟
لو كنت أعرف هذا العالم الرائع ،
لم أكن لأتجول في الأرض عبثا ...
كنت سأتبنى طرق هؤلاء الحكماء.
سأعيش بسلام وأعتز بالأفكار الجديرة بالاهتمام "

أتوقع سيأتي البعض ويقول انها مجرد ابيات شعر من الخيال. وهذا غير صحيح حيث دمج نظامي حقائق تاريخية عن منطقة القرغيز السيبيريّة مع الخيال في ملحمته عن الإسكندر الاكبر. ولقد تحدثت الكتب التاريخية العديدة عن مملكة القرغيز في منطقة ينيسي السيبيريّة وان لهم مدن وزراعة وتجارة نشطة مع اسيا الوسطى والصين.

الدولة الغزنوية

يعتبر السلطان محمود الغزنوي هو فاتح الهند وجميع المؤرخين المسلمين قد اثبتوا له هذا اللقب، ولقد وقعت الفتوحات الاموية في منطقة السند في اقصى شمال القارة الهندية. حيث تنقسم القارة الهندية الى عدة مناطق كبيرة ومنها منطقة السند في الشمال ومنطقة الهند في الوسط ومناطق اخرى مثل كشمير والبنغال وغيرها اما الفتوحات في اقليم الهند واغلب القارة الهندية فهذه لم تنجح الا مع السلطان محمود الغزنوي ولذلك حظي بلقب فاتح الهند ولقد صاحبه في فتوحاته العالم الفيلسوف البيروني الذي دون دراساته العلمية المعمقة عن الهند في كتابه الشهير "تحقيق ما للهند".

يظن الكثير ان تاريخ الدولة الغزنوية يبدأ من سبتكين وهذا صحيح من ناحية وغير صحيح من ناحية اخرى. صحيح انه كدولة مستقلة وسلالة حاكمة هي تبدأ من سبتكين.
اما كتاريخ فهي تبدا قبل ذلك مع ألب تكين الذي يعتبر مؤسس امارة غزنة، وللحديث عن امارة غزنة يتطلب تلقائيا الانتقال سريعا الى الدولة السامانية، حيث أنها تأسست كإمارات تابعة من قبل أمراء أسرة ال سامان وتأسست كدولة موحدة ومستقلة مع الامير اسماعيل بن احمد. ولقد كان الاتراك متغلغلين في مفاصل الدولة السامانية في الجيش والإمارات وشؤون القصر وشكلوا عمودها الفقري. يقول ابن حوقل في كتابه عن الدولة السامانية حينما يعبر عن اعجابه الشديد ببلاد ما وراء النهر: " فإنّ جيوشهم الأتراك المملوكون رقّا بمالهم وشروى مناطقهم".
وكانت توجد عدة إمارات تركية اخرى مثل السيمجوريين في خراسان. لقد بدأت غزنة كإمارة مستقلة مع الامير الساماني الب تكين عام 962.
وفي عهد سبتكين تحولت الى دولة مستقلة وفي عهد ابنه محمود الغزنوي تحولت الى امبراطورية شاسعة وهي اول دولة إسلامية اعتمدت لقب السلطان للحاكم واسست اول جيش إسلامي مكون من الفيلة. ذكرت سابقا ان البعض يضع تصور خاطيء مفاده ان السلطان محمود كان نائما وقام من نومه وقرر غزو وفتح الهند. هؤلاء لا يعلمون انه توجد معارك سابقة قبل ذلك. لقد حاول المهراجا جايابالا في عهد سبتكين غزو غزنة والقضاء على الدولة الغزنوية في مهدها وفشل. وفي عهد محمود الغزنوي تلقى جايابالا هزائم شنيعة وتمكن السلطان محمود من التوغل في القارة الهندية لأول مرة. امتدت دولة بنو سبتكين على مساحات شاسعة في جنوب اسيا واستمرت اكثر من مائتين عام من 977 الى 1186.
ولقد عاشت فترة ازدهار لأكثر من مائة عام من عهد محمود الى عهد ابراهيم. تحولت فيها مدينتي غزنة ولاهور الى عواصم عالمية ومحط اهتمام العلماء والمفكرين. للاسف الشديد تعرضت مدينة غزنة للتدمير من قبل الغوريين وأحرقوا مكتباتها وأبنيتها وأحياؤها بعد إسقاطهم للدولة الغزنوية.

الحروب القديمة بين الترك والفرس

لقد حدثت حروب كثيرة بين الاتراك والفرس قبل ظهور الاسلام وأثناء قيام الخلافة الاسلامية في منطقة الحجاز.
ويروي كتاب الشاهنامة الكثير عن المعارك التي جرت بين ايران وتوران.
فالهون الهفتالين قاموا ببناء امبراطورية كبيرة في اسيا الوسطى وانتصروا على الساسانيين في مواقع كثيرة وسيطروا على خراسان.
ويحكي كتاب الشاهنامة بألم وحسرة عن سلسلة هزائم الساسانيين الكثيرة وعجزهم امام الهون البيض.
أتعلمون كيف انتصر الساسانيين على الهفتاليين ؟
لقد انتصروا عليهم بعد التحالف مع غوكترك في معركة بخارى.
واثناء الصراع القائم بين البيزنطيين والساسانيين حدث تحالف بين البيزنطيين وغوكترك ضد الساسانيين وكان من ضمنها سفارات رسمية متبادلة.
لقد وصلت السفارات الرومانية الأولى الى عاصمة الخاقان إستمي بالفعل في السنوات الأولى من حكمه ، وجاءت أول سفارة تركية إلى القسطنطينية عام 568 . ولقد حدثت معارك كثيرة بين غوكترك والساسانيين في القرنين السادس والسابع الميلادي.
وبعد انهيار جزء كبير من امبراطورية الهفتاليين في اسيا الوسطى حدث صراع للسيطرة على بقايا المملكة ولقد حقق غوكترك انتصار كبير وفرضوا سيطرتهم على جزء كبير من اسيا الوسطى وفتحوا طخارستان. ونشأ من ذلك مملكة تركية تسمى يابقو طخارستان عرفت لاحقا في كتب التاريخ الاسلامي بمملكة كابل شاهي ومتأخرا بهندو شاهي. وانتصر غوكترك على الساسانيين في معركة دربند عام 627م. بل ان غوكترك توغلوا في خراسان وسيطروا مؤقتا على مدن مرو وطوس وغيرها وانسحبوا من تلقاء انفسهم.
وفي ذلك احب الاستشهاد بفقرة حوارية وردت في كتاب رحلات ابي زيد السيرافي. لقد ذكر السيرافي في كتابه حوار جرى بين تاجر بصراوي اسمه ابن وهب مع الامبراطور الصيني في القرن الثالث الهجري يعني قبل دخول الاتراك الجماعي في الإسلام. وذكر الامبراطور الصيني انهيار الامبراطورية الساسانية وسيطرت العرب المسلمين عليها وسأله ابن وهب عن اكبر الممالك في العالم فأجابه الامبراطور الصين بأنه توجد خمسة ممالك قوية في العالم مثلا كما نقول اليوم اكبر قوة في العالم امريكا والصين وقبلها امريكا والاتحاد السوفيتي. ثم قال له: فما منزلة سائر الملوك عندكم فقال ما لي بهم علم، فقال للترجمان: قل له إنا نعدّ الملوك خمسة فأوسعهم ملكا الذي يملك العراق لأنّه في وسط الدنيا، والملوك محدقة به ... بعده ملكنا هذا ونجده عندنا ملك الناس - يقصد امبراطورية الصين - .... من بعدنا ملك السّباع وهو ملك التّرك الذي يلينا، وبعدهم ملك الفيلة وهو ملك الهند .... وبعده ملك الروم، وهو عندنا

ملك الرّجال ...". لاحظوا ان امبراطور الصين ذكر مملكة الترك ضمن الممالك العالمية الخمسة وعدها في المرتبة الثالثة.

عموما المؤرّخون المختصون بالدراسات الإيرانية يؤكدون ان ايران في العصور الوسطى قد فتحت ثلاث مرات. الاولى: مع الفتوحات العربية وانهيار الامبراطورية الساسانية. الثانية: الفتح التركماني مع السلاجقة والغزنويين واسقاط الدولة البويهية. الثالثة: الفتح التتري المغولي وايضا له صلة وثيقة ومؤكدة بالتاريخ التركي.

ولقد نتج عن الفتح التركي لايران هجرات تركية كبيرة الى بعض الأقاليم الايرانية كأذربيجان وخراسان والجبال وفترة حكم وهيمنة عسكرية استمر ما يقارب لألف سنة وعدة تاثيرات حضارية مختلفة ومع وجود كتلة سكانية تركية صلبة لا تقل عن ربع أو ثلث السكان في مجموع الشعب الإيراني.

موسوعة ديوان لغات الترك

لقد ألف العلامة الكاشغري الكتاب بمباردة شخصية منه ومسايرة للعصر السلجوقي وبدون طلب من أي أحد كان وذلك ضمن اطار مشروعه الثقافي لعمل ثقافة تركية ذات طابع اسلامي. ولست أدري منذ متى كان الإهداء او ذكر الشخص والمكان يعني انه طلب من الشخص، ولقد جرت العادة ان المؤلف هو من يذكر صراحة انه كتب كتابه بطلب من السلطان او الامير او الخليفة.

وهذا هو نص بداية مقدمة : " أما بعد فقال العبد محمود بن الحسين بن محمد، لم رأيت أن الله تعالى قد أطل شمس الدولة في بروج الاتراك وأدار بملكهم دائرة الافلاك، فسماهم التُّرك، وولاهم الملك، وجعلهم ملوك العصر، ووضع في يدهم أزمة أهل الدهر، فقيضهم على الخلق، وأيدهم على الحق، وأعز من انتمى إليهم، وسعى بين يديهم، ونال منهم بلغة في المراد، وسَلِمَ من معرة أوباش العباد، حِقّ لكل ذي لبّ التمسك بحالهم، توقياً عن وقع نبالهم، ولا ذريعة لديهم أحسن من التراطن بلسانهم، لإصغائهم إليه أسماعهم، واستمالة جناهم، فإذا اعتصم به عدوه من فرقهم، وآمنوه من فَرَقهم، فيلوذ به غيره، ويكشف عنه ضيره، ولقد سمعت عن ثقةٍ من أئمة بخارى وإمامٍ آخر من أهل نيسابور، كلاهما رويا بإسنادٍ لهما عن رسول الله صل الله عليه وسلم أنه لما ذكر أشراط الساعة وفتن آخر الزمان، وخروج التُّرك الغزّية فقال: (تعلموا لسان التُّرك فإن لهم ملكاً طوالاً)، فالرواية برفع الطاء، فلإن صح هذا الحديث والعهدة عليهما، فيكون تعلمه واجباً، ولإن لم يصحَّ فالعقل يقتضيه، فإنّي نقبت بلادهم وفيافيهم واقتبست لغاتهم وقوافيهم، تركية وتركمانية أوغزية وجكلية ويغمائية وقرقيزية، مع كوني من أفصحهم لساناً، وأوضحهم بياناً، وأحذقهم جناناً، وأعرقهم مَحتِداً، وأثقبهم سناناً، حتى استقام عندي لغة كل طائفة منهم احسن قوام، وألَّفته أبلغ تأليف، في أزين نظام. ووضعت كتابي هذا مستعيناً بالله تعالى موسّماً بديوان لغات الترك ليكون ذكراً مخلداً، وذخراً مؤبداً.".

وهنا يبين الكاشغري ان كتابه اللغوي سابق في مجاله ولم يسبقه اليه أحد. ويبين انه اتبع طريقة الاختصار والتبسيط " فملت إلى هذا الترتيب طلباً للتخفيف وتقصيراً للتأليف، وبرزت بتصنيفٍ لم أُسبق إليه، وتأليفٍ لم يوقف عليه، وأدرجت الأصول بعللٍ أوضحتها وأقيسةٍ فيها اقترحتها ليكون المؤلف على الطريقة المثلى والمصنف بالإقتداء أولى، وجعلته للمتاوق فيه هادياً، ولسابقه تالياً، وفي التطرّق إليه منهجاً، وعند التصعيد له معرجاً، ثم إنّي مُؤثل لكل فرقة منه جرثومةً تتفرع منها الكلم، لأن في اختصار المبسوط تتولد فيها الحكم، ونثرت فيها شواهد من أشعارهم التي تفوهوا بها في إيذانهم بالامور واشعارهم".

وهذا مثال آخر من احد كتب التراث الشهيرة كتاب "الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل" للعالم الجزري ويذكر في مقدمته ان امير ديار بكر التركماني هو من طلب منه تأليف الكتاب: " وعند اتصالي بخدمة الملك الصالح أبي الفتح محمود بن محمد بن قرا أرسلان ملك ديار

بكر من آل أرتق أبقاه الله وذلك على أثر خدمتي لأبيه وأخيه مدة خمس وعشرين سنة أولها سنة 570 إلى أن أفضى الأمر إليه وبينما أنا ذات يوم لديه وقد عرضت شيئاً مما صنعته عليه وهو ينظر إليَّ ثم ينظر ويفكر فيما كنت هممت به ولا أشعر فرمى حيث كنت رميت وكشف بإصابته عما خفيت فقال لقد صنعت أشكالاً عديمة المثل وأخرجتها من القوة إلى الفعل فلا تضع ما اتعبت فيه وشيدت مبانيه ، واُحب أن تُصنف كتابا ينظم وصف ما استبددت بتمثيله وانفردت برصف تصويره وتشكيله. فبذلت من قوتي حسب الاستطاعة إذ لم أجد محيدا عن الطاعة وألفت هذا الكتاب يشتمل على بعض خروق رقعتها واصول فرعتها وأشكال اخترعتها ولم أعلم إني سُبقتُ إليها واثقا بكرم من يقف عليه من أهل العلم ، وقد علم اولو العدل في الحكم أن كلاً ميسر لماله خلق ومنفق مما رزق ولا تالوا نسمة نفعها ولا تكلف نفس إلا وسعها".

وفي مقدمة كتاب "ديوان لغات الترك" قال العلامة الكاشغري في كتابه وكأنه كان ينظر الى المستقبل ويشعر بحال بعض الاتراك الذين سوف يخونون لب هويتهم الاصلية ويفتون بآرائهم الشخصية المحضة ويقدمونها على انها حقائق وهي ليست كذلك.
ماذا قال الكاشغري ؟
لقد قال بالنص الصريح: "لأُعلم أن لغات الترك تجاري العربية كفرسي رهانٍ". ولقد ناقش الكاشغري بعض المسائل اللغوية وذكر الأسباب الموضوعية ومع ذلك لا يزال البعض مصمم على آرائه الشخصية اما عن عنصرية او عن مكابرة.
وبعد أربعمئة سنة ظهر الأديب علي شير نوائي وناقش هذه المسألة اللغوية باستفاضة في كتابه "محاكمة اللغتين" ولكن لا يزال البعض يكابر ويتجاهل ابسط ابجديات علوم اللغات واللسانيات.

امير العالم تيمورلنك

هذه محاولة لتسليط الضوء على امير العالم تيمورلنك ولست أكتبها للتبرير والتجميل والإنكار وسوف أترك الدخول في التفاصيل التاريخية واكتب انطباع عام عن هذه الشخصية التاريخية.

وللاسف الشديد بسبب المشاحنات العرقية المخزية التي لا معنى لها صار هنالك توجس وخيفة انه ربما النقد التاريخي يكون سلما للشيطنة المطلقة لعصر بكامله بل لشعوب بكاملها وللاسف هذا ما يحدث.

وان الموضوعية العلمية تقتضي سرد الايجابيات مقابل السلبيات. من خلال اطلاعي المجمل على سيرته وأقواله أستطيع ان أقول:

ا- يعتبر تيمورلنك من القادة الفاتحين الكبار في التاريخ ومن الصنف النادر حدوثه حيث قاد بنفسه الحملات العسكرية كلها واشرف على التخطيط العسكري وشارك في القتال بحيث استطاع لوحده فتح ما يقارب خمسة مليون كم مربع. وواجه دول قوية يحسب لها الف حساب واليكم قائمة الممالك التي قهرها:

1- سلطنة المماليك البرجية.

2- خانية مغولستان الجغطاية.

3- السلطنة العثمانية.

4- خانية القبيلة الذهبية.

5- سلطنة دلهي.

هذا عدا الممالك والامارات الاخرى في اوربا واسيا.

هل تستطيعون مجرد تخيل هذه الانتصارات الضخمة في كل هذه الجبهات ؟

ب- ولد تيمورلنك في أسرة ذات مكانة مرموقة في الخانية الجغطاية من قبيلة بارلاس التركومغولية التي تربطها قرابة بعيدة مع قبيلة كيان. وكانت أسرته مسؤولة عن القيادة العسكرية. ولقد ذكر في مذكراته بداية تاسيس الامبراطورية المغولية والاتفاق ما بين جده واحد الخانات الجنكيزين.

ج- عاش تيمورلنك في فترة كانت الامبراطورية المغولية قد دخلت في نهاية مرحلتها الاولى وعانت اسيا الوسطى من انقسامات حادة وصراعات وكان ناقم على الأوضاع وأقاربه وانتقد حتى جنكيز خان. لقد استطاع تيمورلنك معالجة الأوضاع وتحقيق الوحدة ولم الشمل. ولقد صعد تيمورلنك الى السلطة باختيار شعبي وبعد جهود طويلة ومثابرة ومعاناة وعلى الرغم ان القانون ينص على ان الحاكم لابد ان يكون من سلالة جنكيز خان.

د- تيمورلنك كان شخص شديد التواضع وغير مصاب بجنون العظمة ويراجع نفسه دائما وينتقدها. وكان يرى انه ينبغي الحكم بالعدل والصفح والإحسان مع الاخرين. وأصدر قوانين جديدة وعفو عام على خصومه واطلق مشروع تنموي للنهضة بآسيا الوسطى مركز حكمه.

هـ- كان تيمورلنك محب للشيوخ والعلماء والفنون وكان يعقد جلسات فكرية ومناظرات ويأمر بتأليف الكتب واهتم ببناء المدارس وكان يتقن عدة لغات. وظهر في عصر تيمورلنك شكل معماري جديد شاع استخدامه كثيرا في اسيا الوسطى وإيران يطلق عليه مصطلح العمارة التيمورية.

و- كما ذكرت سابقا كان تيمورلنك شديد التعلق باهل البيت ويقدسهم ويلتمس البركة منهم. ولهذا يوجد هذا الخلاف الشديد حول مذهبه والأقرب عندي انه سني له نزعة تشيع قوية.

ز- اسس تيمورلنك سلالة حاكمة استمرت اكثر من اربعة قرون وتركت بصماتها الحضارية الخالدة في اسيا الرسطى وجنوب اسيا.

وسلالة بابور في جنوب اسيا ظلت تعتبر نفسها امتداد للإمبراطورية التيمورية وتحتفظ باللقب الرسمي كوركان. فالسلطان بابور كان سلطان فرغانة التيموري ثم انتقل الى كابول ونقل فيها مركز مملكته بعد انتصارات الأوزبكيين عليه وكان يرغب باستعادة بلاد ما وراء النهر. عموما يعتبر تيمورلنك شخصية تاريخية يوجد حولها جدل كبير. والمؤرخون يعتبرون العصر التيموري يمثل المرحلة الثانية في تاريخ الامبراطورية المغولية. ملاحظة: تعتبر امبراطورية هندوستان البابورية وهذا اسمها الحقيقي المعتمد رسميا عند سلاطينها دولة اخرى مختلفة لها وضعها الخاص. فالسلطان بابور هو اخر حاكم تيموري وبعد السقوط النهائي انتقل الى جنوب اسيا وأسس امبراطورية جديدة استمرت في سلالته. ولكن من الناحية الإجمالية تعود جذور امبراطورية بابور الى امير العالم تيمورلنك والإمبراطورية التيمورية.

كان الهدف الاخير الذي أراد امير العالم تحقيقه. هو التوسع في شرق اسيا وضم الصين مع منغوليا. في عام 1368 سقطت سلالة يوان المغولية وقامت سلالة مينغ بحرب شاملة وتراجع المغول الى قلب منغوليا. قام تيمورلنك بإجراء اتصالات مع المغول وسلالة يوان لعمل تحالف عسكري وشن هجوم موحد. استنتج من هذا التحالف وطبيعة الهجوم الى ان تيمورلنك كان يهدف الى التوسع في شمال الصين والتي تعرف بالسهول الوسطى وايضا كانت تعرف باسم اخر عند الترك وهي خيتاي. والظروف في شمال الصين كانت مساعدة كثيرا وتوجد خلفيات تاريخية كبيرة لا يسع المجال للتفصيل فيها. وبطبيعة الحال كان سيضم منغوليا تلقائيا مع الصين.

ونلاحظ ان تيمورلنك في الهند ايضا اكتفى بالتوسع في شمالها. في هذه الحملة تعرض تيمورلنك لمرض شديد وتوفي في اثناء مسيره للحملة. توجد انتقادات غير صحيحة ضد تيمورلنك بخصوص التجهيز للحملة وترتيب التناوب على العرش بعد وفاته.

والحقيقة ان تيمورلنك كان واعي جدا بذلك وقام بتعيين سلطان بعده وهو ابنه الامير بير محمد واعطى لابنائه عدة وصايا للحكم وتداول السلطة فيما بينهم وايضا أوصاهم بالمضي قدما في الحملة العسكرية ضد الصين. ولكن بعد وفاته انشق احد ابنائه وطالب بالعرش وتعرضت

حملة الصين التي جهز لها كثيرا للتراجع. لقد استمرت الدولة التيمورية فترة زمنية تقارب 140 عاما. تحققت فيها العديد من الإنجازات الحضارية والفكرية والسياسية وكانت لها بصمات مميزة. رغم العواصف والمشكلات الكثيرة ومع ذلك برز خلال العصر التيموري عدة حكام مميزين. وعلى رأسهم سيد العالم تيمورلنك. وشاه روخ الذي يعتبر من اطول الحكام زمنا في التاريخ الاسلامي ونال الثناء العظيم في كتب التاريخ. والعالم الفلكي اولوغ بيك الغني عن التعريف. وسلاطين هراة بابور بايسنقر وأبو سعيد ميرزا وابنه احمد والأديب الخطاط حسين بايقرا وغيرهم. ولقد حظيت مدن اسيا الوسطى وخراسان بنهضة كبيرة مثل سمرقند وهراة.

إِنباء المغمور ببعض عجائب تيمور

بعدما تمكن سيد العالم تيمورلنك من بسط سيطرته على مقاليد الحكم في اسيا الوسطى. توجه مباشرة الى ايران واكمل ضمها واتجه الى العراق والقوقاز. وحتى نفهم اسباب حملات وتوسعات تيمورلنك فعلينا ان ندرس ذلك وفق مفاهيم وقيم عصره السائدة.

لقد ورث تيمورلنك ارث الامبراطورية المغولية المفككة وأعاد توحيدها وبالتالي رأى نفسه انه يمتلك الشرعية في استعادة أراضي وأملاك الامبراطورية المغولية وبناء على ذلك قام بتوسعاته.

اثناء توسع تيمورلنك الاول في الغرب هرب أمراء العراق الجلايرين الى الاناضول واحتموا بحماية السلطان بايزيد وبدات تحدث أولى المشكلات الدبلوماسية بين الحاكمين القويين في العالم والتي ظهرت في الرسائل المتبادلة.

طبعا لم يحدث صدام عسكري حينها. عاد تيمورلنك الى عاصمته في بلاد ما وراء النهر وبدا يفكر في كيفية حسم المواجهة مع العثمانيين.

وحينها أتته اخبار حدوث اضطرابات في سلطنة دهلي التغلقية. وراها فرصة ذهبية لشن حملة محفوفة المخاطر الى الهند والاستفادة من الأوضاع. في هذا المقام علينا التأمل في أهداف الحملة حتى ندرك عبقرية القائد تيمورلنك.

لقد كان للحملة الهندية عدة أهداف سياسية واقتصادية ومنها أهداف مستقبلية تتعلق بالصراع مع العثمانيين والتخطيط للمعركة المقبلة معهم والحاصلة لا محالة. استطاع تيمورلنك النجاح في حملته وقام بنهب كنوز مدينة دهلي والتي كانت تعد من أغنى المدن وأكثرها تطورا في العالم حتى كانت تلقب ببغداد الثانية وضم شمال الهند وحقق ما عجز الإسكندر الاكبر وجنكيز خان في تحقيقه بالتوغل في قلب الهند. ولذلك لا غرابة اجماع المؤرّخين القدماء والمعاصرين على اعتبار تيمورلنك من كبار الفاتحين في التاريخ. وطبعا حدثت انتهاكات وتجاوزات عديدة في الحملة.

وفي هذه الحملة عمل خطة عبقرية وهزم جيش سلطنة دهلي المكون من الفيلة. وحقق احدى أهدافه بالاستيلاء على فيلهم المدربة وقام بجلبها الى بلاده في اسيا الوسطى.

اتعلمون ماذا كانت أهداف تيمورلنك بالحصول على فيلة الهند المدربة؟

لقد كان لتيمورلنك عدة أهداف من ذلك فمنها أهداف عمرانية لاستخدامها في إكمال مشاريعه العديدة الطموحة في مدن أسيا الوسطى. وفعلا كانت المشاريع المعمارية التي كان يتطلب إنجازها سنوات عديدة بفضل الفيلة تم إنجازها في فترة قصيرة زمنيا. ولذلك لا غرابة اننا نرى أهم مناطق اسيا الوسطى مليئة بالاعاجيب المعمارية التيمورية. والهدف الاخر البعيد من هذه الحملة. هو استخدام الفيلة لحسم الصراع القائم مع السلطان العثماني بايزيد. وفعلا تم استخدام الفيلة بنجاح في حملة تيمورلنك ضد العثمانيين في معركة انقرة.

ملاحظات على مقال تاريخي لمؤرخ باكستاني عن السلطان التيموري شاه روخ

لقد ادعى صاحب المقال ان شاه روخ عمل قطيعة مع والده امير العالم تيمورلنك. لا يخطئ البعض وبنى صاحب المقال دعواه على عدة امور:

- ذكر صاحب المقال ان شاه روخ كان ابن محظية وقال ان تيمورلنك اقصاه بسبب ذلك وقال انه تم تربيته من قبل امه. وهذا غير صحيح ام شاه روخ الجارية مختلف حول اصولها وسيرتها مجهولة هذا من ناحية. ومن ناحية اخرى زوجة تيمور سراي ملك خانوم صاحبة النفوذ الكبير في الامبراطورية وراعية الآداب والفنون هي التي تولت تربية شاه روخ.

واما الادعاء ان تيمورلنك أقصى شاه روخ من المهام الكبرى لانه ابن جارية يفنده ما ثبت تاريخيا عن إعطاء تيمور لابنه عمر شيخ ميرزا الاول لعدة مهام صعبة وهو ابن جارية.

لقد كان تيمورلنك يرى شاه روخ اقل قدرات من اخوانه وأحفاده. والدليل الاكبر ان تيمورلنك أوصى بالحكم من بعده لبير محمد ابن عمر شيخ.

- ذكر صاحب المقال ان شاه روخ كان راعي للعلوم والفنون وكأنه يقول ان أباه عكس ذلك.

وهذا غير صحيح فامير العالم تيمورلنك كان اكبر راعي للعلوم والفنون والعمارة في عصره وهو الذي تولى قيام نهضة كبرى في اسيا الوسطى. وتذكر كتب التاريخ ان تيمورلنك كان يجتمع مع المعماريين ويعرض عليهم أفكاره ويناقشهم، لذلك فالعمارة التيمورية تحمل افكار تيمورلنك نفسه بالإضافة الى كونها نتاج تراكمات سابقة. وكان يطلب من العلماء والأدباء وضع المؤلفات. وكان تيمورلنك يناقش العلماء والأدباء ويبهرهم بمعلوماته وحججه وتذكر كتب التاريخ انه كان يعرف اسماء العلماء والأدباء فعندما دخل الشام والاناضول عرف بوقوع بعض العلماء فأطلق سراحهم فورا.

- ذكر صاحب المقال ان شاه روخ ابتعد عن كونه رجل حرب مثل والده. وهذا غير صحيح من وجه وصحيح من وجه اخر. كل مملكة ودولة ظهرت عبر التاريخ مهما كان جذورها لم يكن الحرب هو هدف دائم لها. وتيمورلنك العظيم بصفته المؤسس فكانت لحروبه عدة اسباب منها لتوحيد المملكة ومنها للتوسع ومنها لرد الاعتبار وكان يهتم بالسلام قدر اهتمامه بالحرب. فمثلا حربه مع العثمانيين والمماليك كانت لرد الاعتبار وحتى يظهر للعالم الاسلامي انه الحاكم الأقوى ولم يهتم حتى بتوطيد حكمه في الاناضول والشام. وعندما صعد شاه روخ الى العرش كانت الظروف الداخلية غير مساعدة له حيث يوجد صراع على العرش فاتجه همه الاول الى قهر منافسيه وتثبيت مملكته. وهو فعلا لم يكن يمتلك همة والده العالية ومقدرته العسكرية.

ولقد عرف اغلب التاريخ الاسلامي مبدأ حروب المشاتي والمصائف وكانت تحدث سنويا ويخرج فيها الخلفاء احيانا لقيادة الجيش.

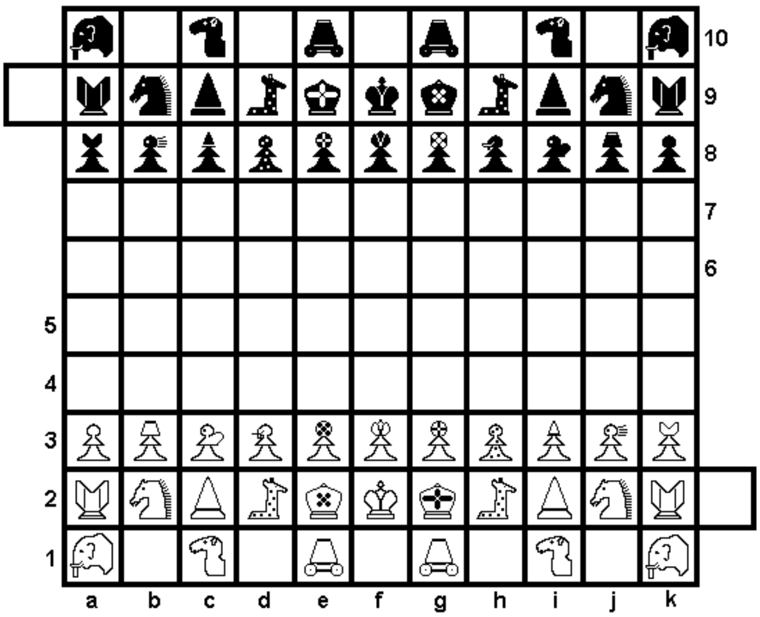
- ذكر صاحب المقال ان شاه روخ ألغى الاعتماد على الياسق بعكس تيمورلنك العظيم. وهذا صحيح جزئيا ولكن لم يكن هذا مبدأ سائد عند التيموريين. فمثلا ابنه العالم اولوغ بيك كان يتحاكم الى قوانين الياسق.
- تجاهل صاحب المقال انه كان من زوجات شاه روخ الأميرة جوهر شاد راعية الآداب والفنون ومليكة آغا وكانت كذلك راعية للآداب والفنون. عموما السلطان شاه روخ سار على نفس التقاليد التي أرساها والده تيمورلنك العظيم. وسار على نفس التقاليد جميع التيموريين وان كانوا خالفوا في بعضها واضافوا اليها.

والحقيقة المؤكدة ان التقاليد التيمورية هي استمرار للتقاليد الموجودة في الامبراطورية المغولية منذ عهد المؤسس جنكيز خان وأحفاده، فمن يقرأ في تواريخ يوان والايلخانية والقبيلة الذهبية سيدرك انها تقاليد مستمرة وان تيمورلنك أصاف اليها وطورها.

عجائب منسية من السيرة التيمورية

- شطرنج تيمورلنك من الأشياء الغير معروفة حاليا من تاريخ تيمورلنك هو اتقان تيمورلنك للعبة الشطرنج وقيامه بتطويرها واضافة بعض الأشياء. ويعتبر شطرنج تيمورلنك هو أكبر مساحة حيث أن اعداد المربعات بها تصل إلى 112 مربع مقارنة ب64 مربع في الشطرنج العادية وعدد القطع 56 قطعة بينما في الشطرنج العادية 32 . ولها اسماء أخرى مثل الشطرنج التامة أو الكاملة، والشطرنج الكبير.

وهذه صورة عن شطرنج تيمورلنك:



وتحكي كتب التاريخ عن سبب تسمية حفيده باسم شاه روخ انه في اثناء ممارسته اللعبة اخبروه بولادة المولود فقام بتسميته على احدى اسماء قطع اللعبة. - مسرحية تيمورلنك للاديب الانجليزي كريستوفر مارلو من الأشياء التي تغيب عن اذهان الكثيرين ان شخصيات الامبراطوريات التترية كان لها حضور ايجابي قوي في الاداب والفنون الاوربية من امثال جنكيز خان وقوبلاي خان وتيمورلنك وغيرهم. ولقد اعتبر الفيلسوف العظيم فولتير ان اعتناق التتار للاسلام اعطى دفعات ايجابية قوية للتاريخ الاسلامي. لقد كتب الاديب الانجليزي مسرحية عن سيرة تيمورلنك بعنوان "Tamburlaine the Great" . وحسب النقاد يعتبر هذا العمل هي علامة بارزة في الدراما العامة الإليزابيثية، إنه يشير إلى الابتعاد عن اللغة الخرقاء والتخطيط الفضفاض لدرامي تيودور السابقين، واهتمام جديد بلغة جديدة ونابضة بالحياة، وعمل لا ينسى، وتعقيد فكري. وقام الموسيقار الانجليزي/الالماني جورج فريدريك هانْدل بتأليف مسلسل اوبرا عن سيرة تيمولنك بعنوان " Tamerlano " ويعتبر كواحد من أعمال هاندل الرئيسية.

موقف السلطان العثماني سليم الاول من الاسرة التيمورية

بعد سقوط هرات وصل الإمبراطور التيموري لهيرات الأمير بديع الزمان ميرزا إلى البلاط العثماني اثناء الحرب العثمانية/الصفوية ودخول الجيش العثماني الى تبريز. ولمفاجأته كان السلطان سليم قد كلف عرشا إضافيا وجلس بديع الزمان على العرش قائلاً: "هو حفيد فاتح العالم (أمير تيمور)".

مات السلطان بديع الزمان ميرزا اخر سلاطين هراة في اسطنبول عام 1514م.

بينما نرى العثمانيين الجدد يهاجمون تيمورلنك بصورة لم يعهدها أحد في التراث العثماني.

سياق عصر تيمورلنك

لم يظهر فاتح العالم الامير تيمور عن فراغ حيث عاشت اسرة تيمورلنك من قبيلة بارلاس في الخانية الجغطاية.
والجغطايين كانوا اقل بروزا من الخانات الاخرى يوان والايلخانية والقبيلة الذهبية. واثناء ظهور الامير تيمور تفككت الخانية الى عدة خانات في تركستان الشرقية والغربية. وهذا امر طبيعي لان جغرافية حوض تاريم مختلفة عن بلاد ما وراء النهر وهذا التقسيم حدث في العصر القاراخاني.
وايضا في الفترة التي سبقت ظهور الامير تيمورلنك وخلال نشأته ذهب الحكام الجغطايين مثل كيبك ومن اتى بعده الى الاهتمام اكثر بعمارة المدن وظهرت مدن جديدة مثل قرشي. وفي هذا الجو الذي عاشه تيمورلنك تشكلت شخصيته القيادية.
ومن ضمن الاخطاء هو تصوير الصراع الذي حدث ما بين امير العالم تيمورلنك وخانية مغولستان انه حرب بين التيموريين والمغول وهذا غير صحيح مطلقا. خانية مغولستان لها اسم اخر وهو الخانية الجغطاية الشرقية وهم من سلالة الجغطايين وكانت تقع خانيتهم في اسيا الوسطى وعاصمتهم هي مدينة في تركستان الشرقية اسمها الماليق. ولم تكن الحرب مطلقا في بلاد التتار التي تعرف حاليا بمنغوليا. منغوليا حينذاك كانت تخضع لاحفاد سلالة قوبلاي خان.
وكما كتبت سابقا عدة مرات وساظل اعيدها التقاليد التيمورية هو امتداد للتقاليد الموجودة في عصر خانات الامبراطورية المغولية. ومن لم يقرأ عن سير حكام يوان والقبيلة الذهبية والايلخانية وحكام الامبراطورية الموحدة من جنكيز خان الى مونكو لن يفهم شيئا عن العصر التيموري.

ثورة جنكيز خان في السهوب

لقد استوقفني كثيرا عبارة المؤرّخ ابن الأثير وكان دقيقا جدا في تعبيره عن الأحداث التي عاصرها حيث كان يستشعر باجتياح المغول التتر للعالم ويقول انه حدث نادر لم يسمع العالم بمثله.
وبخصوص حروبهم فكما ذكرت ان حروبهم ضمن مخطط دقيق وانهم لا يدخلون في حرب معينة الا بعد الرسل والمفاوضات.
ومثال ذلك اجتياح الامبراطورية الخوارزمية سبقه إرسال الرسل والمفاوضات. وكما ذكرت كانوا يتحركون وفق مخطط دقيق ومحكم ولديهم اكبر العقول العسكرية في التاريخ مثل سوبوتاي وغيره ومن أساليبهم يرسلون الجواسيس الى منطقة معينة بحيث يقومون بتمشيط المنطقة جغرافيا وسكانيا وثقافيا ويرسلون تقارير الى الخاقان والخان.
اثناء الاطلاع على كتاب عن محاولة غزوهم لمملكة المجر قد أصبت بالذهول. منطقة المجر وما حولها تعتبر بشكل عام من السهوب الأوراسية وجزء من تاريخ السهوب. لقد كان المغول يعرفون ان المجريين قبائل مهاجرة. فقاموا اولا بدراسة المنطقة الاصلية التي هاجرت منها قبائل المجر. وكانت مراسلاتهم لمملكة المجر تحتوي على معلومات فريدة من نوعها.

من الامور الثورية التي أنجزها جنكيز خان هو اعتماد مبدأ الكفاءة في القيادة. حيث تذكر كتب التاريخ ان تيموجين خطب ذات مرة بين جنوده وقال لهم بما معناه: " ان أنسابكم وقبائلكم لا تعنيني من يثبت كفاءته سوف أقدمه على الاخرين". ولذلك عند عمل استقراء شامل في القيادات والمستشارين والجنود نراهم من شتى القبائل والعشائر والمناطق وأحيانا من مناطق وقبائل لا تخطر على بال بشر.
وتحكي كتب التاريخ ان جنكيز خان في احدى غزواته تعرض لسهم من جيش الخصم كاد ان يقتله. وبعد ان استفاق سأل عن نتائج المعركة فأخبروه بالنصر ثم سأل عمن اصابه فأخبروه انه في الأسر وسوف يعدم. عندها غضب جنكيز خان وقال لا اسمح بإعدام هذا الرامي الماهر وأمر بإطلاق سراحه وبعدها اطلق عليه لقب وعينه قائد الرماة في الجيش.
ولذلك لا غرابة ان جنكيز خان قد حقق هذه الانتصارات الساحقة. اخيرا تخيلوا ان شخص كان والده او جده يعمل صيادا في الغابة وخلال جيل او جيلين اصبح قائد كتيبة عسكرية او اداري او كاتب او رئيس ولاية وغير ذلك. الا نستشعر هذه التحولات الثورية التي احدثها جنكيز خان في شعبه. مهما كرهنا هذا الشخص. فسواء شئنا ام ابينا هو بحسب المعايير التاريخية يعتبر من القادة العظام في التاريخ.

اشاهد حاليا فيلم وثائقي جديد في قناة دويتشه الألمانية عن الزعيم اتاتورك. في احدى خطاباته بحرب الاستقلال يقول: " الجنود الذين لا يعرفون جنكيز خان وتيمورلنك وأتيلا الهوني سوف يثبتون انهم بلا جدوى في القتال".

وفي التراث اللاتيني ذهب احد الرهبان الأوربيين الى بلاط الخاقان اظنه اوقطاي او مونكو. ولقد سجل الراهب في كتابه ما حدث في بلاط الخاقان. حيث يقول لقد اجتمع عند الخاقان ممثلين عن مختلف الاديان كالإسلام والمسيحية والبوذية والشامانية التنغرية وغيرها. وفي هذه المناقشات طرح الخاقان عدة أسئلة ومنها: - كيف أتى الكون ؟ - هل يوجد خالق للكون ؟ - ماذا يحدث بعد نهاية الكون ؟ - ما هو الخير والشر ؟ وغيرها من الأسئلة وكان كل ممثل عن الدين يجيب عن الأسئلة وتحدث مناقشات بينية فيما بينهم. ويوجد في بلاط الخاقان كتاب يسجلون كل ثانية حدثت في الحوار.

تروي كتب التاريخ المغولية ان من امنيات وطموحات جنكيز خان ان تمشي المرأة من بحر الصين الى بحر الخزر وهي تحمل تاجا من ذهب على رأسها وهي آمنة مطمئنة لا تشعر بالخوف ولا يصيبها الأذى.

ولقد أصدر جنكيز خان قوانين الياسق التي تنظم الامبراطورية المغولية وجوانبها المختلفة ومنها ما يتعلق بالجانب الاجتماعي والأسري، ولقد حرص في أمور الاسرة والجوانب الاجتماعية على ما يعزز على ترسيخ المساواة في المجتمع والتضييق على اعتماد الأنساب ومنها: "أن كل من أحب امرأة بنتاً أو غيرها لا يمنع من التزوج بها ولو كان زبالا والمرأة بنت ملك". نلاحظ ان هذا القانون يعزز بناء الاسرة على قاعدة الحب دون الأخذ بفكرة التكافؤ في الأنساب. هذا بالإضافة ان أعراف المجتمع التتري والتركي بشكل عام تفضل الزواج من خارج القبيلة. وحتى في الاديان نرى التتار كانوا يتزوجون من اديان مختلفة ويزوجون نساؤهم من اديان مختلفة.

من يتابع مسلسل ارطغرل وعثمان سوف يرى انهم يقدمون صورة نمطية مبالغ فيها عن الامبراطورية المغولية. طبعا انا اقصد هنا الجانب التاريخي وليس الجانب الفني الأسطوري الذي يقدم ارطغرل كبطل خارق في قلب الاحداث والمستوحى من الملاحم الأدبية. لا يوجد شخص عاقل يتجاهل الدماء والمجازر التي حدثت في توسعات الامبراطورية المغولية. ولكن المسلسل تجاهل كثيرا مجريات الامور وطبيعة العلاقات الادارية والقانونية بين الخاقان وأمراء المناطق وسير الاحداث كما روتها كتب التاريخ. وحتى ان كثيرا من مؤرخي تركيا انتقدوا الصورة النمطية التي يقدمها المسلسل عن الامبراطورية المغولية من باب الموضوعية وليس كنزعة طورانية كما يكذب البعض. لقد تابعت الاعتراضات بمساعدة مترجم قوقل وكانت في غاية العلمية والنزاهة. يذكر المؤرّخ كوبرللي في كتابه قيام الدولة العثمانية ان الاناضول تمتعت برخاء

واستقرار في العصر المغولي. وايضا يذكر كتاب مختصر سلاجقة الروم الرخاء والاستقرار الموجود. ويشهد على ذلك المدارس والمستشفيات والجوامع التي بنيت في هذه الفترة. وبعد سقوط الايلخانية بسبب عدم وجود وريث للعرش. حاولت السلطنات التركية الاستفادة من الارث الايلخاني. حتى قرات ان الدولة العثمانية نقلت بعض انظمتها من الايلخانية.

مفاهيم خاطئة شائعة عن الامبراطورية المغولية التترية

سوف أتطرق في هذا التعليق الى بعض المفاهيم الخاطئة عن العصر المغولي التتري.
اولا: الزعم أن الامبراطورية المغولية قد سقطت بعد معركة عين جالوت: وهذا خطأ لم تسقط الامبراطورية المغولية بل تراجع توسعها عن مناطق مصر والشام.
ثانيا: سقطت الامبراطورية المغولية بعد الخلافات التي حدثت بين بركة خان وهولاكو خان وقوبلاي خان: وهذا غير صحيح لقد استمرت الامبراطورية المغولية التترية ما يقارب ستمائة عام كمراحل تاريخية متعاقبة.
في المرحلة الاولى استمرت الامبراطورية المغولية اجمالا ما يقارب القرنين من الزمن. سقطت خاقانية ومملكة يوان عام 1368. واستمرت القبيلة الذهبية الى القرن السادس عشر.
وتعتبر الامبراطورية التيمورية هي المرحلة الثانية من الامبراطورية المغولية ثم ظهرت في المرحلة الثالثة امبراطورية هندوستان البابورية وبقايا الخانات الجنكيزية في أوربا واسيا الوسطى.
ومن يقول ذلك فكأنه يقول ان الخلافة العربية/الاسلامية سقطت بعد سقوط الخلافة الراشدة او الفتنة الكبرى او بعد سقوط الخلافة الأموية. ولا يقول بذلك الكلام عاقل. الذي حدث في الحرب الأهلية هو صراع حول من الاحق بالعرش من احفاد جنكيز خان وحدود الاراضي لكل خانية. وهو صراع طبيعي يحدث في كل الممالك.
ومن الناحية الإجمالية قسم جنكيز خان الامبراطورية بين الخانات ولكل خان أراضي معينة يتوسع فيها. مع اعتبار خان الشرق هو الخاقان وظلت خاقانية يوان لها نفوذ جزئي على الخانيات الاخرى اكثر من قرن. مساحة يوان لوحدها كانت اكثر من 14 مليون كم مربع. وعندما كتب الهمداني كتابه التاريخي عن المغول وهو عامل عند الايلخانية تحدث عن عصرهم ككتلة واحدة وهو العصر المغولي وتحدث عن احفاد قوبلاي وجوتشي وهولاكو وجغطاي.
ثالثا: كانت الامبراطورية المغولية تدمر فقط ولا تعمر: وهذا صحيح من جهة وخطأ من جهة اخرى. صحيح ان الامبراطورية المغولية مارست التدمير والحرب النفسية لإخضاع الممالك والشعوب الاخرى لهم. ولكن حتى هذا التدمير رغم بشاعته كانت له حدود ومراسم بوضع الدول امام خيارات معينة كالاستسلام او التدمير والتفاوض قبل الحرب.
ومن ناحية العمران لقد ظهرت في العصر المغولي العديد من المدن الجديدة مثل خانباليق وشانغدو عند يوان والسلطانية والغازانية عند الايلخانية وسراي باتو عند القبيلة الذهبية وغيرها من المدن وهذه مجرد أمثلة وليس الحصر بالإضافة الى ازدهار المدن القديمة التي سواء التي تعرضت لتدمير جزئي او سلمت من التدمير الكلي. وأنجزت مشاريع عمرانية كثيرة.
رابعا: لم يظهر في العصر المغولي نشاط علمي او تدويني: وهذا غير صحيح بالمطلق. لقد بدأ شغف المغول التتار بالعلوم والمعارف منذ عصر جنكيز خان. حيث اتخذ جنكيز خان حكماء من

شتى الأعراق واتخذهم كمستشارين وأمرهم بتعليم ابنائه وشعبه. وبدا عصر التدوين في العصر المغولي في عهد جنكيز خان حيث امر بوضع تاريخ تأسيس الامبراطورية في كتاب تاريخي وأمر بوضع سجلات القوانين في كتاب.
وظهر في العصر المغولي تراث كبير في شتى المجالات ومكتوب بعدة لغات كالفارسية والتركية والمغولية والصينية والعربية. واذكر منها ان خان الايلخانية امر بعمل رسومات كبيرة على ملحمة الشاهنامة. وتم عمل مراصد ومكتبات وتحققت إنجازات علمية في العلوم في فارس والصين.
خامسا: كان تأثير الامبراطورية المغولية ضعيف ولا يكاد يذكر: وهذا غير صحيح قوانين الياسق اثرت بشكل كبير على العالم ودخلت العالمين الاسلامي والمسيحي والصين وهذا تاثير قانوني.
وكما نعرف تأسست الامبراطورية المغولية التترية اثر توحيد جنكيز خان للخانات والقبائل التركية والمغولية فهي إمبرطورية تركومغولية ولهذا كانت اللغتان التركية والمغولية هما لغتان رسميتان. الذي اريد توصيله. ان اللغة التركية الشائعة في اسيا الوسطى واوربا بشكلها الكتابي والمعجمي الحالي هي حصيلة التطور الذي جرى في العصر المغولي بظهور كتابات ابجدية جديدة وهما الجغطاية والقبيلة الذهبية. فكما نرى هذا تاثير لغوي وتذكر كتب التاريخ ان المصطلحات المغولية التركية انتشرت بشكل واسع في العالم الاسلامي.
وأمر اخر يخص العالم المسيحي. فروسيا القيصرية هي وليدة العصر المغولي حيث ورثت عن القبيلة الذهبية العديد من الأشياء واستعانت بالنخب التترية وأسكنتهم في مدن موسكو ونوفغورد وغيرها.
سادسا: كتاب التاريخ السري هو سري: وهذا غير صحيح والا كيف كتب المؤرخون في فارس والصين وقفجاق قد كتبوا كتب موسعة عن التاريخ المغولي.
لقد ألف الهمداني كتاب من عدة مجلدات عن تاريخ الامبراطورية المغولية وحتى انه اعتمد في غالبه على الاختصار. حتى انه كتب عن عصر هولاكو مجلد كامل.
سابعا: انقرض المغول بعد سقوط إمبراطوريتهم: وهذا غير صحيح ولقد فندته في النقاط الاولى والحديث عن مراحل الامبراطورية المغولية. فان كان المقصود مغول منغوليا فإنه حدث تراجع بعد سقوط سلالة يوان وتعرضوا لضربات قاسية من إمبرطورية مينغ. ولكن بعد مرور قرن استطاع سكان منغوليا اعادة بناء أنفسهم وتنظيمهم وتأسست خانات مختلفة من سلالة جنكيز خان.
ولقد حدث تطور فريد حيث بقيت التبت تحت سيطرة احدى الخانات. وفي القرن الخامس العشر حدث تحالف ديني/سياسي بين الخانات ولاما التبت على اثرها تحولت البوذية من ديانة يعتنقها أقلية الى أغلبية السكان. وظهرت في كل خانية بعض المدن الجديدة. واختار خانات جنوب منغوليا التابعة حاليا للصين عقد صلح وعلاقة مع إمبرطورية مينغ. وظهرت في تلك الفترة الآلاف المعابد منها ما يقارب 600 دير في منغوليا المستقلة وحدها وهو عدد كبير حيث ان كل

دير يعتبر مدينة قائمة بذاته حيث يلتحق به ما يقارب عشرة الف شخص. وكان ثلث السكان في منغوليا المستقلة هم رهبان. ودون مبالغة كانت نسبة المتعلمين في منغوليا اكثر من الصين. وهذا يؤكد ما ذكرته مرارا وتكرار حول الثورة الجنكيزية التي استمرت مشتعلة لعدة قرون متصلة.

وفي القرن السابع عشر حدث تطور سياسي جديد بظهور امبراطورية اوراسية بوذية تسمى زونغار استمرت اكثر من قرن. ولقد حدث صراع بينها وبين امبراطورية تشينغ المنشورية الصاعدة حيث تحالفت تشينغ مع الخانات ضد زونغار وانتهت بانتصار تشينغ وابادة جماعية مأهولة بحق زونغار. على اثر ذلك حدث تحالف وزواج سياسي بين اباطرة تشينغ والخانات وتزوج الأباطرة من سلالة جنكيز خان. واعتبر جنكيز خان شخصية مقدسة بجانب كونفوشيوس وتم احترام قوانينه وتعاليمه. وكانت منغوليا الكبرى ضمن امبراطورية تشينغ.

ثامنا: لم تترك الامبراطورية المغولية اي حضارة: وهذا غير صحيح بالمطلق.

لقد تركت الامبراطورية الجنكيزية حضارة ناصعة في شتى المجالات من الصين الى وسط اوربا. وهذا النص من كتاب حول عصر الامبراطورية المغولية: "وقد يتساءل القارئ كيف يتأتى لهؤلاء المغول أن تكون لهم حضارة أو أن يكون لهم اسهام حضارى فى الحضارات المعاصرة لهم وقتذاك ... وهذه النظرة تعتبر نظرة محدودة وضيفه ولا تعتمد على أسانيد تاريخيه منطقية قوية او صحيحة بل على العكس بلغت الحضارة فى هذه المناطق فى عهدهم شأوا بعيدأ من الرقي والتقدم ولم يكتف المغول بالثأثر بالحضارات التى عاشوا فى وسطها خاصة الحضارة الاسلامية ، بل بدأوا يسهمون أيضا فى تلك الحضارات المعاصرة".

هنالك نقطة فرعية متفرعة من احدى النقاط التي ذكرتها سابقا تثار عليها مغالطات كثيرة وهي تتعلق باجتياح بغداد عام 656 هجريا.

اولا: من الناحية الإجمالية هولاكو خان لم يكن شاذا عن قاعدة الحروب المغولية. وانا هنا لست في مقام تبرير التدمير والقتل الذي حدث فانا ادين كل الحروب التي حدثت في التاريخ البشري. ولكن السطحيون ينطلقون من حادثة الاجتياح لاتهام هولاكو خان بالتعصب الديني وهذا غير صحيح مطلقا. والمؤرّخون القدماء المعاصرون للأحداث لم يتهموا هولاكو خان بهذه التهمة. بل بعضهم كالذهبي نقل احتمالية اسلام هولاكو خان. وهؤلاء السطحيون هم انفسهم لا يتجرأون على اتهام جنكيز خان وخلفاؤه بنفس التهمة. لقد نصت قوانين الياسق على احترام جميع الاديان. وكان يعمل عند هولاكو خان مستشارون ووزراء من كافة الاديان والمذاهب من السنة والشيعة والمسيحيين والبوذيين واليهود وغيرهم. ايضا هؤلاء السطحيون ينطلقون من ديانة زوجة هولاكو خان المسيحية لتمرير تهمة التعصب وهذا غير صحيح. لم يشكل الانتماء الديني عند التتر المغول اي مبعث للتعصب لقد كان انتماؤهم آلاول والأخير هو للإمبراطورية المغولية وكانوا ينبذون التعصب الديني بشهادة الرحالة المسيحيين. وهولاء السطحيون غير

مطلعين ان المسيحية انتشرت في الهضبة المغولية او ارض التتار قبل قيام الامبراطورية المغولية بعدة قرون وكانت توجد قبائل بكاملها مسيحية. حيث يقال انه ربما نصف او ثلث القبائل التي وحدها جنكيز خان كانت مسيحية. ولقد رفض الخاقان منكو خان عقد تحالف صليبي مع البابا ضد المسلمين وأمرهم بطاعته والخضوع للإمبراطورية المغولية.

ثانيا: هؤلاء السطحيون يعتبرون الحادثة المختلف عليها وهي تدمير مكتبة بغداد أمراً جديدا ابتكره المغول في الحروب وايضا ينطلقون منها لاتهام هولاكو خان بالتعصب الديني وهذا غير صحيح مطلقا.

- ان حوادث حرق المكتبات شائعة في التاريخ الإنساني. ومنها حوادث حرق مكتبة الإسكندرية ومكتبة برسيبلوس وغيرها. وحتى ابن خلدون رغم انه نقل حدوث حرق مكتبة بغداد ولكن ذكرها في سياق انها عادة تاريخية جارية في كل العصور وحتى قال انها رد على حرق مكتبة المدائن الساسانية.

- هل تعلمون انه خلال التاريخ الاسلامي حدثت عدة حوادث لإتلاف المكتبات: ومنها تعامل السلطان صلاح الدين مع مكتبة الحكمة الفاطمية. وتعامل الغوريين مع مكتبة غزنة التي أسسها السلطان محمود. وتعامل العامري مع مكتبة قرطبة التي أسسها المستنصر بالله. وأمثلة اخرى كثيرة.

- حادثة حرق مكتبة بغداد مختلف حولها كثيرا بين المؤرّخبن المعاصرين لها: هنالك ثلاث وجهات نظر تاريخية:

1- لم تدمر مكتبة بغداد وانما تم نقل كتبها الى مكتبات الايلخانية في ايران.

2- الذي احرق هي سجلات الدولة العباسية المتعلقة بالدواوين وليست المكتبات.

3- وهو الرأي الشائع ان المغول دمروا مكتبة بغداد كحدث اعتيادي في سياق الحروب.

ولقد ذكر المؤرخ المقريزي ان المغول نقلوا مكتبة بغداد الى مكتبة مرصد مراغة في ايران.

ثالثا: لم يحدث تدمير كلي لمدينة بغداد والادعاء انها تدمرت كليا واندثرت غير صحيح. لقد زار ابن بطوطة بغداد وقال ان التدمير الذي حدث كان جزئيا.

قال الدكتور جعفر خصباك في كتابه العراق في عهد الملوك الإيلخانيين : "وقد كثر الكلام عن التخريبات الواسعة التي أحدثها الغزو المغولي للعراق ، ولسنا في مجال الدفاع عن أولئك الغزاة البرابرة أو النيل منهم . . . هولاكو لم يَجْر على سنة جده جنگيزخان بتخريب أكثر أو كل المدن التي تقع في طريق زحفه وقتل سكانها . ويبدو لنا أن الصورة التي رسمها المؤرخون لفاتح بغداد المغولي ، إنما هي انعكاس للأعمال التي قام بها جده فيما وراء النهر وخراسان". ثم قال : « وقد عهد هولاكو أمر تنظيم العراق وإدارته بعد الفتح إلى مسلمين يعرفون شؤونه ويعطفون على أهله ، فعملوا على إعادة تعميره ونشر الاستقرار فيه . . . ومن هذا كله يبدو أن عبارات التخريب التي أوردها المؤرخون عما جرى للمدينة (بغداد) مبالغ فيها ، لأن المعالم الرئيسية للمدينة كقصور الخليفة والمدارس والأسواق وغالب المحلات بقيت دون أن يصيبها غير

تخريب محدود أمكن إصلاحه في وقت قصير . . . يضاف إلى ذلك أن الكتاب الموسوم بالحوادث الجامعة وهو معاصر ، يؤكد وجود دار الخلافة ودار الدويدار الكبير ، وجامع الخليفة ، والمدرسة النظامية وسوقها ، والمدرسة المستنصرية والمدرسة التتشية ، ومدرسة الأصحاب ، ومدارس وربط أخرى » .

واليكم هذا النقل التاريخي الصاعق: قال الفوطي في الحوادث الجامعة : "إن هولاكو قد أمر بعد انتهاء عمليات الإستباحة بإصلاح ما خرب من المدينة وترميم أسواقها ، وإعادة أعمال أهلها إلى ما كانت عليه سابقاً". رابعا: هل تعلمون ان العراق شهدت ازدهار حضاري في العصر المغولي وانها حظيت في فترة معينة بحكم ذاتي. ولكن للأسف الاعلام والقنوات اليوتيوبية لا تقدم الحقيقة التاريخية كاملة وانما تساهم في نشر الغوغائية والتعصب.

قال ابن الفوطي الحنبلي في تاريخه : " وكان علاء الدين وأخوه فيهما كرم سؤدد وخبرة بالأمور وفيهما عدل ورفق بالرعية وعمارة للبلاد . وليَ علاء الدين نظر العراق سنة نيف وستين بعد العماد القزويني (عمر القضوي) فأخذ في عمارة القرى وأسقط عن الفلاحين مغارم كثيرة ، إلى أن تضاعف دخل العراق وعظم سوادها ، وجرَّ نهراً من الفرات مبدؤه من الأنبار ومنتهاه إلى مشهد علي رضي الله عنه ، وأنشأ عليه مائة وخمسين قرية . ولقد بالغ بعض الناس وقال : عَمَّر صاحب الديوان بغداد حتى كانت أجود من أيام الخلافة . ووجد أهل بغداد به راحة".

حقيقة أكبر من الخيال

هذا نص ذهبي عن مجتمع الامبراطورية المغولية التترية الفاضل من كتاب لإحدى الرحالة الأوربيين الذي زار الامبراطورية المغولية التترية في عقر دارهم.
يصف هذا الرحالة المجتمع المغولي التتري وكأنه مجتمع الجمهورية الفاضلة او اليوتوبيا الخيالية عن المجتمع المثالي.
يقول الراهب جيوفاني ديبلانو كاربيني: " كانوا مسالمين فيما بينهم، فاشياء كالزنا والدعارة كانت نادرة الحدوث، وتفوقت نساؤهم على نساء الامم الاخرى بالعفة، ولم يعبهن الا استخدامهن ألفاظا نابية في الحديث احيانا. وكانت اللصوصية نادرة الحدوث ايضا، مما جعلهم لا يأبهون لإقفال دورهم. وان عثر على مقتنيات سائبة كالجياد او الثيران او اية حيوانات اخرى فإما ان تطلق سراحها او تعاد الى أصحابها ... ومن النادر حدوث التمرد بينهم. وبناء على كل ما سبق وذكرت، فليس من الغريب ان تعاقب التجاوزات - ان حدثت - بقسوة".
وتذكر كتب التاريخ المغولي ان جنكيز خان عندما قرر فتح مملكة الجين وضع أشياء ان تحققت فسيتأهب للغزو. ومن ضمنها قال اذا تفوق مجتمعي بالأخلاق على مجتمع مملكة الجين. حيث وضع جنكيز خان خطة وطلب من احد قادته ان يرمي قلادة ذهبية ثم يراقب الأوضاع عن كثب لعدة أيام. ثم عاد القائد ومعه القلادة وقال لجنكيز خان لم يتجرأ أحد على اخذها فسأله جنكيز خان عن الأشخاص الذين يتذكرهم مروا من عند القلادة وتركوها. أتى القائد ومعه ثلاثة اشخاص فسأل الاول لماذا لم تأخذها قال لانها ليست ملكي ومن ثم سأل الثاني وقال لأن قوانين الياسق تعاقب على السرقة اما الثالث فلا اذكر ماذا قال. وبعد ذلك قال جنكيز خان الآن أستطيع غزو مملكة الجين وانا مطمئن.
هذا الجانب من بين جوانب اخرى يرينا باشياء جوهرية تفوقت فيها الامبراطورية المغولية التترية. فعليا الامبراطورية المغولية التترية تفوقت في امور جوهرية مكنتهم من تأسيس اكبر امبراطورية في العالم. ولهذا سأظل اكتب واكتب عن هذه الجوانب الجوهرية من الجانب الإيجابي الاخر من هذه الامبراطورية التي لم توخذ حقها الحقيقي من التحليل والدراسة ولن أستطيع تغطيتها كلها.

ملاحظات حول كتاب ديوان لغات الترك

إن كتاب ديوان لغات الترك من اجمل الكتب القديمة التي قراتها في موضوعه، وليس مثلي من يقدر على تفنيد موسوعة كبيرة سابقة لعصرها ولكني كقارئ من حقه عمل ذلك بعد التطورات العلمية الهائلة التي جرت منذ وفاة الكاشغري.

وهو ليس كتاب معجمي فقط بل ايضا يحتوي على معلومات جغرافية وتاريخية وثقافية وأسطورية وأدبية وغير ذلك. ويخطئ من يعتقد ان ديوان لغات الترك هو المعجم التركي الوحيد الذي كتب قديما.

توجد العديد من المعاجم اللغوية التركية التي ظهرت خلال العصور التالية بعد عصر محمود الكاشغري. فمثلا في عصر دولة سلطنة المماليك التركية. كما نعرف كانت اللغة التركية بفرعها القبجاقي شائعة الاستخدام بين القادة والجنود وتستخدم مفرداتها كثيرا في دواوين الدولة وظلت سلطنة المماليك محافظة على سمتها التركي حتى بعد تغير السلالة الحاكمة من البحرية الى البرجية، فالمؤرّخ ابن اياس وهو من ابناء البرجية يسمي الدولة المملوكية في كتابه التاريخي بدولة الاتراك وجند الاتراك، وهذا يدل على استمرارية السمت التركي العام للدولة المملوكية كما تم وضع اساسياته مع المؤسس السلطان الظاهر بيبرس.

في عصر دولة المماليك نظرا لانتشار استخدام اللغة التركية، ظهرت العديد من القواميس التركية مثل كتاب التحفة الزكية وكتاب القوانين الكلية وكتاب بلغة المشتاق وغيرها. والعالم المفسر ابي حيان الأندلسي عاش في مصر المملوكية وتعلم من شيوخها وكان قريبا من أعيان الدولة المملوكية. فماذا حصل؟ اتقن ابو حيان اللغة التركية ودرسها لغويا كما يفعل اللغويين والنحويين وكتب فيها عدة كتب في المعجم والنحو ومن كتبه "الإدراك للسان الاتراك" وكتاب "زهو الملك في نحو الترك" وغيرهم. ولقد ذكر ابو حيان انه اعتمد على مصادر مكتوبة في المعاجم التركية موجودة في عصره.

وفي الاناضول ما قبل الفترة العثمانية كتب هندوشاه الصاحبي كتاب في المعجم التركي/الفارسي وكتاب "بهشياش لغات" لمؤلف مجهول وغيرهم. وفي العصر العثماني تم إصدار الكثير من المعاجم ومنها على سبيل المثال معجم ضخم لمصلح الدين مصطفى بن شمس الدين ومعجم محمد اسعد أفندي وغيرهم.

بعد إعطاء هذه اللمحة البسيطة عن المعاجم التركية. عندي بعض الملاحظات المتواضعة حول كتاب "ديوان لغات الترك" وهذه الملاحظات لا تطعن في قيمة الكتاب. لأن الكاشغري ذكر منهجه في مقدمة الكتاب التي الزم نفسه بها. طبعا لا ازعم انني قرأت الكتاب كله. لقد تصفحته كله عدة مرات وقرأت بعضه ربعه او ثلثه.

اولا: اكتفى الكاشغري بالكلمات المشهورة التي يستخدمها الترك المسلمين وتجاهل الترك غير المسلمين وتجاهل المهمل وقليل الاستخدام وقدم المفردات بأسلوب مختصر. وبالتالي الكتاب رغم اتساعه لم يغطي كل المفردات التركية.
ثانيا: حصر الكاشغري نفسه في حدود امبراطورية السلاجقة والعالم الاسلامي القريب منها وبالتالي تجاهل البلاد التركية غير الاسلامية. وقدم معلومات قليلة عن بلاد الترك غير الاسلامية كبلاد اليوغور والقرغيز والتتار وغيرهم. حتى بلاد الترك المسلمين البعيدة كبلاد البلغار قدم عنها معلومات ضئيلة. ومثلا في التقويم ذكر التقويم الاثني عشر وبعدها ذكر تقاويم اخرى ولكن لم يكمل المعلومات عنها. حيث ذكر تقويم رباعي الشهور يستخدمه بعض الاتراك ذكر الثلاثة الشهور الاولى ولم يذكر الشهر الرابع وقال لم أكمله لأنه تقويم معتمد عند بعض الترك الكفار. وايضا من الملاحظات التي ظهرت عندي اثناء القراءة ما يتعلق بالقائمة الرئيسية للشعوب التركية التي ذكرها العالم اللغوي الكاشغري في مقدمة كتابه.
الملاحظة الاولى: ذكر العالم اللغوي الكاشغري في ثنايا الكتاب اجيال تركية مشهورة وناقش مفرداتهم ومنهم على سبيل المثال شعب القارلوق لقد ذكرهم الكاشغري عدة مرات في كتابه ومع ذلك لم يضعهم ضمن القائمة الرئيسية.
وايضا شعب البلغار الكاشغري يعدها اسم لبلد تركي وليس اسم قبائل وتحدث قليلا عن شكل لغتهم على الرغم ان كتب التاريخ المختلفة مشحونة بذكر اسم قبيلة تركية كبيرة تعرف بالبلغار حيث اقام قسم منهم مملكة كبيرة في منطقة الدانوب. ولقد ذكر الكاشغري شعوب وقبائل تركية تعيش ضمن منطقة الفولغا وهما صابر وسوار. وايضا اجيال تركية اخرى تظهر للقارئ اثناء قراءة الكتاب. ولا يأتي احد ويقول ربما للكاشغري اسبابه. من عادة الكاشغري يذكر السبب المباشر مثلا شعب كنجاك ذكرهم ضمن الأجيال التركية وعد لغتهم تركية ومع ذلك ذكر ان لغتهم ليست تركية اصلية لانهم ينطقون حروفا يمنع نطقها في اللغة التركية.
الملاحظة الثانية: ذكر الكاشغري ضمن القائمة الرئيسية ثلاثة شعوب وأكد في مقدمة الكتاب ان لغاتهم ليست تركية وهم خيتاي شعب خيطان وكيدان والتنكت وهم شعب التانغوت وثفغاج وهم على الارجح شعب سونغ. هذا سبب لدي ارباك كبير كيف يذكرهم ضمن القائمة الرئيسية والكاشغري يؤكد ان لغاتهم ليست تركية. وكنت سابقا اطرح على المواقع التركية أسئلة حول ماهية تلك الشعوب ولا اجد اجابة شافية. بعد البحث التاريخي توصلت الى استنتاجين:
الاول: ان ممالك الخيطان والتانقوت وسونغ كان يوجد ضمن رعاياهم قبائل تركية وحكموا اجزاء من بلاد الترك. وهذا فعلا كان موجود حيث حكمت مملكة الخيطان مساحة واسعة من السهوب الشرقية وحكمت مملكة التانغوت اجزاء من السهوب الشرقية. وايضا كان تتواجد قبائل تركية في شمال الصين ويعتبرون رعايا لمملكة سونغ وربما الكثير من الاتراك لا يعرفون ذلك. وربما لهذه الأسباب اعتبرهم الكاشغري ضمن القائمة الرئيسية.

الثاني: ربما ان الكاشغري يرجح ان اصول السلالات الحاكمة تركية ثم تغيرت لغاتهم لاحقا. استنادا على اصول قبائل ثفغاج. ولكنه قام بالتعميم ولم يكتفي بالسلالات الحاكمة وهذه مشكلة كبيرة تناقض ما أثبته بنفسه في الكتاب.

الأدب التركي

يقول ابن خلدون في مقدمته:" هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات ." ويقول ايضا: " فإن أمكن أن تجد فيه أهل الألسن الأخرى مقصودهم من كلامهم وإلا فلكل لسان أحكام في البلاغة تخصه". هذه المقدمة مهمة لأنه يوجد عنصريين يظنون ان الشعر خاص بشعب معين وهذا كلام مرفوض وغير علمي.

ان الشعر والشجاعة وغيره موجود عند كل الشعوب وليس خاص بشعب معين. يمكن ان يقال ان شعب معين في فترة معينة برز في الشعر اكثر من غيره او شعب معين في فترة معينة برز في الحرب أكثر من غيره وهكذا .. وعلميا يعتبر الشعر أقدم من النثر ولقد حرصت كل الشعوب في العالم على تسجيل ملاحمها وتاريخها وتجاربها وغير ذلك في قوالب شعرية.

وفيما يتعلق بالادب التركي لقد سجلت المصادر القديمة التركية وغيرها اشعار واداب تعود في الأزمنة القديمة للترك وأسلافهم وهذا يسهل اكتشافه عبر الحفريات المعرفية في النصوص ومدلولاتها. مثلا المصادر الصينية القديمة سجلت أشعار تعود لعصر مملكة شيونغو. وتحفل النقوش الرونية المكتشفة بالكثير من الاشعار. والديانة التركية الأصلية هي ديانة شعرية الطابع في طقوسها ومعارفها ونصوصها.

وفي كتاب قرأته سابقا قبل سنوات عن تجارة طريق الحرير في عصر سلالة تانغ ذكر الكاتب نقلا من السجلات الصينية ان الشعر التركي اكتسح الصين في عصر تانغ وانه كان يوجد اقبال كبير عليه.

ولقد ذكرت السجلات الصينية انه كان يوجد ادب مسرحي مزدهر في مملكة اليوغور. وتحفل المخطوطات اليوغورية بشتى الأشكال الأدبية. وان الأساطير والملاحم التركية القديمة مثل دده قورقوت وماناس وغيرها تم صياغتها في قوالب شعرية.

ونرى في اوائل المؤلفات التركية المتأثرة بالثقافة الاسلامية التي ظهرت في العصر القاراخاني أنها زاخرة بالشعر فكتاب ديوان لغات الترك للكاشغري يوجد فيه مئات الابيات الشعرية وكتاب قوتادغوبيليك في السياسة والعمران ملئ بالابيات الشعرية والصوفي احمد يسوي سجل تعاليمه بالأسلوب الشعري وغيرهم من مئات الأمثلة.

ولقد أثر الادب التركي على الأدب الفارسي كما تأثر الادب التركي بالآداب الاخرى. وذكر المؤرخ العظيم ول ديورانت في كتابه الموسوعي عن الحضارة عن ازدهار الأدب عند العثمانيين والتيموريين وغيرهم. فمثلا قال عن العثمانين: "نقول إنك لترى هؤلاء السلاطين والأمراء بين 2200 شاعر عثماني طبقت شهرتهم الآفاق في القرون الستة الأخيرة". وقال عن هراة عاصمة التيموريين: " حتى أن وزيره مير على شيرنواى شكا قائلا: "لو انك مددت قدميك لرفست بهما ظهر شاعر".

طبعا الحقائق السابقة قد لا تعجب البعض من الاسلاميين ممن اعتادوا على إهانة عظماء الترك امثال ميتي شانيو وبيومين خان وجنكيز خان وتيمورلنك وجلال الدين أكبر ومصطفى اتاتورك وغيرهم الكثير حيث أن كل التاريخ التركي محصور لديهم في بعض الشخصيات والدول ولاعتبارات ضيقة.

المقارنات السخيفة

احيانا نرى في وسائل التواصل الاجتماعي منشورات تعمل مقارنة سخيفة وانتقائية ما بين اثار نهر اورخون مع الاثار الرومانية والبيزنطية، والغرض من هذه المقارنة السخيفة هو اجراء هجوم سطحي على تواريخ الشعوب التركية.

أولا: التاريخ التركي هو تاريخ واحد متصل منذ امبراطورية شيونغنو وما سبقها من ثقافات أقدم في السهوب الشرقية مثل بازيريك والواح القبر وغيرها، مرورا بممالك الهون المختلفة وامبراطورية غوكترك وأقسامها المختلفة وخاجانية اليوغور واقسامها وثم ممالك اليوغور البوذية المانوية وخاجانية الخزر وامبراطورية السلاجقة واقسامها وامبراطورية الغزنوية والامبراطورية المملوكية وممالك الاتابكة والامبراطورية الجنكيزية والقبيلة الذهبية وسلطنة دهلي والامبراطورية التيمورية الأولى والثانية والدولة الصفوية والامبراطورية العثمانية وغير ذلك من العصور التركية المختلفة.

ثانيا: تواريخ الشعوب المختلفة يمر بمراحل بداية ونضج وصعود وهبوط.

اين كانت روما عندما بنى المصريون القدماء الاهرامات.

أصلا روما حينها لم تكن موجودة.

اين كانت بيزنطة عندما بنى البابليون والاشوريون الزقورات والحدائق المعلقة والابراج العالية.

كانت بيزنطة حينذاك مجرد قرية صغيرة او غير موجودة او غير معروفة.

وبعد الاجتياح الجرماني للقارة الاوربية تراجعت روما الى مجرد انقاض ولم تعد مدينة ذات أهمية.

وصار الجرمان هم الملوك واصحاب الحضارة في القارة الاوربية خلال العصر الوسيط.

والحضارة ليست محصورة في زمن معين وليس من ضمن شروط وجود الحضارة ان تكون موغلة في الاقدمية، وإنما هي مجرد حالة معينة ضمن متطلبات وشروط قد تحدث في اي تاريخ وفي اي حقبة زمنية.

ثالثا: المقارنة تكون ما بين الاشياء المتشابهة من بعضها من حيث الظروف والامكانيات.

ومن أراد ان يعمل مقارنة عليه ان يعملها بين الأشياء المتشابهة من حيث الظروف والامكانيات والبيئة وليس بشكل انتقائي سخيف.

مثلا يعرض كاتدرائية ايا صوفيا مع جامع السليمانية أو مع مجمع ريجستان في سمرقند.

أو مثلا يعرض الكولوسيوم مع تاج محل أو جامع اصفهان.

ومثلا البيئة المعتدلة مع البيئة المعتدلة وليست مع البيئة القاسية جدا.

وغير ذلك .....

رابعا: اثار نقوش نهر اورخون هي كثيرة ومختلفة واغلبها تم وضعها ضمن مجمع عمراني يتضمن عدة ابنية، واعترفت بها مجمع اليونسكو على انها تراث عالمي يحمل قيمة معرفية وتاريخية كبيرة.
خامسا: يكفي لأسلاف الاتراك شرفا وفخرا انهم تمكنوا من بناء حضارة في السهوب الشرقية ذات البيئة المناخية القاسية جدا.
ولقد اكتشف علماء الاثار اثار كثيرة في السهوب من مدن ومعابد ومقابر وغيرها تعود الى حقب شيونغنو وغوكترك واليوغور وغيرهم.
لقد زار سفير السامانيين، تميم بن بحر، أردو باليق عام 821 م، وترك السجل المكتوب الوحيد عنها. وصفها بأنها مدينة عظيمة "غنية بالزراعة، محاطة بـ رستاق (قرى) زاخرة بالزراعة، متلاصقة. كان للمدينة اثنا عشر بوابة حديدية ضخمة. كانت المدينة مكتظة بالسكان، كثيفة السكان، وفيها أسواق ومهن متنوعة".
وكانت السهوب هي مركز اكبر امبراطورية في التاريخ الانساني، ولقد زار الرحالة الايطالي ماركو بولو الصين في عصر قوبلاي خان العظيم خاقان الامبراطورية الجنكيزية، وزار عاصمة يوان زانادو المبنية في السهوب ووصفها كالتالي: " وبعد أن تقطع ثلاثة أيام من المدينة المذكورة سابقًا، بين الشمال الشرقي والشمال، تصل إلى مدينة تُدعى زانادو، بناها الخان الحاكم حاليًا. يوجد في هذا المكان قصر رخامي بديع، جميع غرفه مطلية بالذهب ومزينة بتماثيل بشر ووحوش وطيور، وبه تشكيلة من الأشجار والزهور، جميعها مصنوعة بفن بديع، فتنظر إليها ببهجة ودهشة".
ولقد سجل الرحالة ماركو بولو تفاصيل جميلة حول مدن وممالك تركستان في الشرق وممالك التركمان في الغرب، مثلا وصف شعب اليوغور انهم يقضون اغلب اوقاتهم في القراءة.
وقبل تأسيس جمهورية منغوليا الحديثة كانت توجد في منغوليا مئات الاديرة البوذية وبعض المدن.

مركزية التصوف في التراث التركي الإسلامي

من المؤسف ان قطاع كبير من السلفية المعاصرة يبالغون في تكفير الصوفية ولا يتعاملون بصدر رحب مع تيارات الصوفية المتنوعة بكل تياراتها وأطيافها وتجلياتها وعمقها العرفاني ومراتب العشق الإلهي.

لقد وضعت بذور التصوف العظيم في القرن الاول والثاني مع اهل الصفة وابن ادهم والكرخي وابن عياض.
وفي القرن الثالث الهجري سقيت بذور التصوف بماء السنن والعلوم والمعارف والثقافات المختلفة مع البسطامي والحلاج والمحاسبي والقصار وغيرهم.
وفي القرن الرابع الهجري نمت أثمرت شجرة التصوف بالمصنفات مع ابو طالب المكي والكلاباذي والحكيم الترمذي وغيرهم.
وفي القرن الخامس والسادس الهجري أثمرت شجرة التصوف بفواكه المصنفات العظيمة مع الغزالي والقشيري والجيلاني واليسوي وغيرهم.
وفي القرن السادس والسابع الهجري أينعت فواكه التصوف بالمصنفات الخالدة مع ابن عربي والرومي والسكندري والكبرى والبكتاشي وغيرهم.
وفي العصر العثماني المجيد اتسعت حديقة التصوف لتتحول الى غابة غناء ممتدة في العالم الاسلامي.
ان الخلافة العثمانية هي خلافة سنية على مذهب الإمام الأعظم ابي حنيفة النعمان ودولة صوفية عظيمة على مذهب اهل السنة والجماعة الماتريدية والأشعرية.
يقول السلطان العظيم سليمان القانوني في احدى قصائده:
فرض علينا ان نكون مسلمين ،،،
ونتحمل مشقة وتعبا كثيرا ،،،
دليلانا ابو بكر وعمر ،،،
يا محبي سر الى الشرق واسحب الفرسان ،،،

وكانت تاريخ الحضارة العثمانية حاضنة لجميع تيارات وأطياف التصوف العظيم الجميل الممتع الذي يسيل كالماء العذب الزلال بكل تياراته وأطيافه وتجلياته

وهذه نبذه بسيطة عن بحر الصوفية المتلاطم أمواجه:

1- التصوف السني:
لقد احتضنت الدولة العثمانية العديد من حركات وطرق التصوف السني القائمة على مصادر الكتاب والسنة والمذاهب السنية الفقهية والكلامية وعلى مرجعيات سنية صوفية مثل كتب حجة الاسلام الغزالي - رضي الله عنه - وابي طالب المكي والطوسي والأصفهاني وغيرهم من أئمة التصوف الكبار وهذه أمثلة منها على سبيل المثال وليس الحصر:
اليسوية: وهي حركة صوفية سنية تأسست في أسيا الوسطى ثم انتقلت الى الأناضول.
النقشنبدية: وهي حركة صوفية سنية تعتبر امتداد لليسوية وهي تأسست في أسيا الوسطى أسسها الشيخ العظيم بهاء الدين نقشبند - قدس سره الشريف - ثم انتقلت الى الأناضول وحظيت برعاية ودعم السلطنة.
الرفاعية: مؤسسها احمد الرفاعي في العراق وثم انتقلت الى الاناضول وحظيت بالانتشار ودعم السلطنة.
القادرية: أسسها الشيخ العظيم عبد القادر الجيلاتيني في ايران والعراق ولقد انتقلت الى الاناضول وحظيت بالانتشار ودعم السلطنة.
الملامية: أسسها الشيخ العظيم حمدون القصار في خراسان ولقد انتقلت الى الاناضول وحظيت بالانتشار ودعم السلطنة.
البيرامية: أسسها الشيخ العظيم حاجي بايرام ولي في الاناضول ولقد حظيت بالانتشار ودعم السلطنة.

2- التصوف الشيعي:
وهي حركات وطرق التصوف التي تأثرت بالعقيدة الشيعية الإسلامية واعتمدت على المراجع الشيعية المدونة لأقوال واحكام أئمة الشيعة كالصادق والباقر والرضا وزين العابدين وغيرهم.
ومن أشهر تلك الحركات البكتاشية والقلندرية والحيدرية وغيرها.

3- التصوف الفلسفي:
وهي حركة وطريقة تأسست على منطلقات فلسفية وعرفانية.
ومن اشهر أئمتها شيخ الاسلام محي الدين ابن عربي والإمام الشهيد السهروردي والإمام الأعظم الحلاج وشيخ الإسلام جلال الدين الرومي
وايضا يوجد للامام العظيم الشيخ الرئيس ابن سينا - قدس سره الشريف - إنتاجات عديدة في التصوف العقلي.

ولقد تميزت حركات وطرق التصوف الجميلة في العصر العثماني بالإبداعات الكثيرة ومنها:

1- الإنتاج العلمي الغزير في امور الدين والشريعة والفلسفة العرفانية.
2- الإنتاج الأدبي الغزير في ادبيات العشق الإلهي وتعظيم مقامات النبوة وجوانب الدين والشؤون الحياتية العامة الاجتماعية والسياسية وغيرها ومثلا الحركة المولوية شمل إنتاجها الأدبي ايضا مثنويات في امور الحب والعشق البشري وقضاياه وابعاده وغير ذلك.
3- الإنتاج الفني الجميل في انتاج الأغاني الجميلة والقطع الموسيقية الفريدة وهذا ما اشتهرت به الحركة المولوية.

مزاعم اعتناق الاتراك الجماعي للاسلام بعد معركة طلاس

يتم تقديم اخطاء ومغالطات في الزعم ان الترك دخلوا في الدين أفواجا إما بعد الفتوحات او بعد معركة تالاس وهذا كذب وتزييف وتحريف للتاريخ. لقد دخل الاتراك بشكل جماعي في الاسلام في القرن الرابع الهجري في عصر الدولة القاراخانية.

وتذكر كتب التاريخ قصة تتضمن تفاصيل غريبة وسياقها التاريخي صحيح. حيث تذكر ان الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بعث رجلا إلى ملك الترك يدعوه إلى الإسلام. والخليفة هشام عاش في اواخر العصر الاموي. "فقال الملك للترجمان: قل لهذا الرسول يعلم صاحبه أن ليس في هؤلاء حجام ولا إسكاف ولا خياط. فإذا أسلموا من أين يأكلون؟"

طبعا سياقها التاريخي حيث ان شعوب الترك لم يدخلوا في الإسلام في ذلك العصر وما تضمنته من تفاصيل غريبة فهذه المهن موجودة عند الترك والأديب الجاحظ ذكر ان التركي يتقن صناعته وما يتطلب عمله عدة صناع يتقنه التركي لوحده.

وتوجد عدة براهين اخرى حول تواريخ دخول الاسلام من مصادر مختلفة من الرحلات وكتب التاريخ والجغرافيا لو سردتها لتطلب ذلك عدة تعليقات.

يمكن القول ان دخول شعوب الاتراك في الاسلام مر بعدة مراحل:

اولا: ما قبل القرن الرابع الهجري في العصر الساماني وهم جماعات تركية في بلاد ما وراء النهر، حيث أحكمت الدولة السامانية سيطرتها على بلاد ما وراء النهر وعلى المناطق التركية الموجودة فيها ودخل السكان الاتراك في بلاد ما وراء النهر الى الاسلام وشكلوا النواة الاسلامية وبرز في تلك المرحلة عدة اعلام تركية كالفارابي والجوهري وغيرهم.

وكان للاتراك نفوذ كبير جدا في الدولة السامانية.

بعضهم يذكر عصر الخليفة العباسي المعتصم بالله كبداية وهذا غير صحيح فهؤلاء كانوا مماليك منفصلين عن مجتمعاتهم وإنما نحن نتحدث عن مجتمع.

هؤلاء الاتراك المسلمين في العصر العباسي يمكن الإشارة اليهم كأشخاص اتراك وليسوا كجماعات تركية. ويمكن الحديث عن النفوذ التركي في الدولة العباسية والدول التركية التي ظهرت كالطولونية كتاريخ سياسي إسلامي وليس كتاريخ مجتمعي.

ثانيا: من القرن الرابع الهجري وما تلاه في عصر الدولة القاراخانية وهذا يشكل مرحلة الدخول الجماعي. حيث دخل الترك في الاسلام جماعيا كدول وقبائل ومجتمع. وكانت احداث مترابطة مع بعضها بلغار الفولغا قبائل الاوغوز وغيرهم.

وظهرت دولة تركية إسلامية وهي الدولة القاراخانية التي أعلنت الجهاد ونشر الاسلام في بلاد الترك وقامت بعمل ترجمات للقران الكريم.

ثالثا: مع عصر الامبراطورية المغولية وما تلاه دخلت شعوب تركية جديدة في الاسلام.

تعقيب على مقاطع سلسلة تاريخ المغول

-1-

اظن ان اغلب المتابعين والمشرفين على هذه القناة قد تابعوا سلسلة تاريخ المغول التي يقدمها الأستاذ حمدي سلطان.
من الناحية الاجمالية هو افضل محتوى عربي قد تم تقديمه حتى الان عن تاريخ المغول مقارنة بكل المقاطع العربية السابقة السيئة والتي تخلو من الحيادية ومليئة بالغثيان والأخطاء.
ولكن مع بعض الحلقات التي شاهدتها توجد ملاحظات ولقد أحببت وضعها في القتاة لأنني شاهدت بعض المشرفين على القناة يعلقون على مقاطعه. أولا: كانت تاتيني اشعارات بوجود مقاطع عن التاريخ المغولي وكنت اتجاهلها لأنه كما ذكرت جميع المقاطع السابقة التي شاهدتها من القنوات الاخرى كانت سيئة للغاية.
واول حلقة تابعتها تقريبا هي الحلقة رقم 20 عن الخاقان اوغداي مع الحكيم الكيداني تشو تساي ولقد رأيت في الحلقة نوعا ما محتوى جديد افضل من جميع المقاطع العربية المنشورة عن تاريخ المغول.
ثانيا: بعد متابعتي للحلقة رقم 20 قفزت مباشرة لمشاهدة الحلقتين رقم 1 و 2 الحلقة الاولى كانت سطحية وقدم خرائط خاطئة عن توزيع الخانات والقبائل التركية والمغولية. ولم يقدم معلومات متكاملة عن القبائل ومناطقها وأديانها وتحالفاتها. ولم يقدم ايضا معلومات متكاملة حول الميلاد والنشأة والتحالفات وتسلسل الحروب حتى تم تتويج تيموجين كجنكيز خان. وفي تلك الفترة كانت جنوب منغوليا مقسمة ما بين مملكتي الجين والتانغوت. وكان يفترض به قبل كل ذلك يقدم لمحة جغرافية وتاريخية عن ارض منغوليا المستقلة والتابعة وتاريخها السابق قبل الامبراطورية المغولية على الاقل في ربع الحلقة الاولى. واظن ان الاخ مقدم السلسلة لم يخرج من برجه العاجي وينظر الى تاريخ المنطقة وفق سياقها وعيون ابنائها. ولقد ذكر مثلا انه اباد كل افراد قبيلة التتار وهذه معلومة شائعة ليست صحيحة. وفي الحلقة الثانية قدم معلومات جميلة عن الاصلاحات العسكرية ولكن تجاهل اصلاحات جنكيز خان الاخرى وهو ذكر في مقاطعه اللاحقة انه يستشهد بكتاب "جنكيزخان: الموت والحياة والانبعاث" وهذا الكتاب تحدث مطولا عن اصلاحات جنكيز خان وتحدث أيضا عن موطن قبيلة كيان في شمال شرق منغوليا عند نهر ونان وجبل بورخان.
ثالثا: قدم حلقات قليلة وموجزة عن حملات جنكيز خان في الصين وتاريخ مملكتي الجين والتانغوت رغم اهميتها ومزكزيتها في تاريخ الامبراطورية المغولية. بينما قدم حلقات كثيرة تقريبا اكثر من عشر حلقات عن الصراع المغولي/الخوارزمي وتاريخ الامبرطورية الخورازمية. وقدم عدة حلقات عن الحملة المغولية ضد كوريا.

رابعا: تجاهل بشكل كبير تاريخ الحملة المغولية على مملكة القراخطاي/لياو الغربية وما حدث فيها وانما استعرضها بشكل سريع وبسيط جدا.
خامسا: أصر في بعض الحلقات على ان الامبراطورية المغولية اخذت بالضرائب في عهد اوغداي بينما الصحيح انه تم العمل في نظام الجزية في عهد جنكيز خان مع البلاد المستسلمة في كوريا والويغور وغيرها كما ينص قانونه الحربي. وتذكر المصادر الصينية ان جنكيز خان اعفى رجال الاديان الطاوية ومعابدها من الضرائب. وايضا تذكر ان جنكيز خان طبق الضرائب في بعض مناطق شمال الصين والعالم الاسلامي. هذا فضلا ان الحكيم الخيطاني تشو تساي جنكيز خان هو من اختاره كحكيم ومستشار وكان يطلب نصائحه كثيرا ويعمل بها. التطور الذي حدث في عهد الخاقان اوقطاي انه تم تطوير النظام الضريبي بشكل اكبر وايجاد مصادر مالية اخرى. والحضارة عموما تقوم على التراكمية لا يوجد قفزة كبرى تحدث بين يوم وليلة وانما تراكمات من عهد جنكيز خان الى اوقطاي الى مونكو ثم مرورا بقبلاي وهولاكو الى اخرهم.
سادسا: التناقض في بعض الحلقات حيث تجده يمدح اصلاحات اوقطاي ومونكو وغيرهم كحكام ويقول انه الاوضاع تختلف بعد حكم الرعية واخضاع البلدان وانه لا يوجد ابيض واسود ويجب اخذ الامور بشكل اكثر حيادية. وفي حلقات اخرى يناقض كلامه ويعترض حتى على كلام الهمذاني حول اصلاحات الخاقانات وعدالتهم الذي استشهد به سابقا. نصوص الهمذاني يجب اخذها في سياقها الصحيح هو يتحدث عن عدالة الخاقانات وقضاتهم في الحكم بين الرعية والتقاضي وانزال الاحكام ولا يوجد تعارض. مثلا توجد مصادر تاريخية فارسية وعربية قديمة وصفت جنكيز خان بالتالي: "كان عادلا وسفاكا للدماء" سوف يندهش البعض كيف عادل وسفاكا في الحقيقة لا يوجد تناقض نعم كان عادلا في الحكم بين الرعية وكان في الحرب سفاكا للدماء حسب قانونه الحربي.
سابعا: في بعض الحلقات يسب ويشتم فعليا ويحتقر وهذا خروج تام عن الحيادية ويتعارض مع الموضوعية. وانا اتفهم عدم ضبط العاطفة احيانا ولكن هو ذكر انه سيلتزم بالحيادية والموضوعية.
ثامنا: هو حاول في احد المقاطع حول مآلات الحملة على الدولة الخوارزمية يكون دقيقا في ذكر اعداد القتلى واعمال الخراب التي حدثت ولكن مع ذلك في حادثة اجتياح بغداد ذكر ان اعداد القتلى اكثر من مليون وصحيح انه تم قتل الكثير للأسف الشديد ولكن يستحيل ان يصل لهذا الرقم لانه يعني انه تم ابادة كل سكان العاصمة بينما حسب الدراسات سكان بغداد ربما يصلون لمليون واكثر.
تاسعا: ذكر ان تعداد القبائل والخانات الذين وحدهم تيموجين يصل الى نصف مليون وهذا غير دقيق توجد احصائيات اخرى توصل اعدادهم الى اكثر من مليون وعند بعضهم الى ما يقارب 2 مليون.

عاشرا: كما ذكرت حمدي سلطان قدم افضل محتوى عربي عن تاريخ المغول افضل من الموجود سابقا في الاعلام واليوتيوب وافضل من الاعمال الدرامية والسينمائية التي قدمتها كل المؤسسات الفنية في الوطن العربي. حيث استشهد بمصادر كثيرة ومتنوعة وتحدث عن دور الخاتونات الرئيسي في الامبراطورية ومكانة المراة ونظامهم السياسي حتى قال انه اكثر نظام ديمقراطي في ذلك العصر وهو فعلا كذلك. وتحدث عن الجوانب الحضارية والثقافية والاجتماعية والاصلاحات والحملات العسكرية بشكل اكثر حيادية ممن سبقوه. وهو شخص منفتح فكريا وبعيد عن الطائفية والعنصرية. ولكن مع ذلك لا يخلو أي عمل بشري من الاخطاء والهفوات واختلاف وجهات النظر والاعتراضات.

-2-

تكملة للتعليق السابق كما ذكرت سلسلة حمدي سلطان حول تاريخ المغول جيدة وافضل محتوى عربي تم تقديمه وهذا في اطار المقارنة مع ما قدم سابقا وليس بمعايير المنهج العلمي البحتة. لقد توقفت عن مشاهدة الحلقات عند الحلقة 44 تقريبا وشاهدت نصفها تقريبا. ولقد لاحظت ان مقدم الحلقات فقد الحيادية اكثر واكثر مع تقادم الحلقات. وسوف اعقب على نقطة معينة وانقل نصا من كتاب حول عصر الامبراطورية المغولية. يصر حمدي سلطان ان قانون الضرائب الذي اصدره الخاقان اقطاي خان كان خاص باقليم الصين وهذا غير صحيح. المؤرخ عطاء ملك الجويني ذكر في كتابه "تاريخ جهانكشاى" قوانين الياسق المطبقة في الامبراطورية في كل الاقاليم بشكل موجز وانقل المادة نصا كما هي: "وضع نظام لإحصاء السكان في البلاد المغلوبة وتحميلهم نفقات الجيش ودور البريد والخراج والعلف وغيرها". وهذا النص من كتاب حول عصر الامبراطورية المغولية " وقد يتساءل القارئ كيف يتأتى لهؤلاء المغول أن تكون لهم حضارة أو أن يكون لهم اسهام حضارى فى الحضارات المعاصرة لهم وقتذاك ... وهذه النظرة تعتبر نظرة محدودة وضيفه ولا تعتمد على أسانيد تاريخيه منطقية قوية او صحيحة بل على العكس بلغت الحضارة فى هذه المناطق فى عهدهم شأوا بعيدأ من الرقي والتقدم ولم يكتف المغول بالتأثر بالحضارات التى عاشوا فى وسطها خاصة الحضارة الاسلامية ، بل بدأوا يسهمون أيضا فى تلك الحضارات المعاصرة".

مراجعة تاريخية حول الامبراطورية الجنكيزية

لقد تراجعت بشكل كامل عما كنت اكتبه سابقا عن اوضاع القبائل التركية والمغولية التي وحدها المؤسس جنكيز خان ووصفتها بأنها مستقلة ومنفصلة عن بعضها لا يجمعها شئ بعد ان اتضحت امامي معطيات وحقائق جديدة وزادت مع الأيام.
لقد كانت القبائل التي وحدها العظيم جنكيز خان متصلة مع بعضها وتجمعها مشتركات عديدة جدا في الثقافة والدين والتاريخ والجغرافيا والمصاهرات وغير ذلك. والأحلاف في السهوب الأوراسية هي مرنة ومفتوحة وغير مقتصرة على عرق وشعب ولغة معينة والقبائل كانت تغير أحلافها بين عصر وآخر. والثقافة السهوبية لا تعرف العنصرية.
ولقد ذكر الكاشغري في كتابه عن قبائل ثنائية اللغة كما يبدو من سياق كلامه. ولقد قرأت عن قبائل غيرت من تحالفاتها عبر العصور. وسوف اضرب مثال بالشعب الكازاخي وهو حلف كبير بين القبائل ظهر بعد انهيار القبيلة الذهبية ويضم قبائل متنوعة من القفجاق والتتار والنايمان وكيان وجلاير والخيطان وغيرهم. ومثلا الأحلاف في السهوب الغربية كانت تضم قبائل تركية واورالية وإيرانية.
ومثلا كان والد جنكيز خان هو اخو طغرل خان كيريت بالدم واقسما على التآخي ونصرة بعضهما وهذا مجرد مثال من بين أمثلة عديدة.
وعموما الانسان الباحث الذي يلتزم بالموضوعية لا يتعصب لرأيه. فهنالك آراء معينة بنيت على معطيات خاطئة. وهنالك آراء معينة بنيت على انحيازات عرقية وطائفية. وقد يكون لدى الشخص آراء معينة صحيحة ولكن يخجل من البوح بها لأنه لا تتوفر لديه أدلة كافية. مثال: لا أخفيكم انني مثلا قبل عقود كانت نظرتي عن العصر العثماني شديدة السلبية لأنني كنت اجهل معلومات كثيرة وحاليا نظرتي اختلفت بعدما اطلعت اكثر وقرات عن التاريخ العثماني والحضارة العثمانية وصرت انظر بشكل اكثر موضوعية الى الايجابيات والسلبيات. ومثال آخر كانت نظرتي سابقا عن الزعيم مصطفى كمال اتاتورك سيئة جدا حيث كنت لا ارى له إيجابية واحدة ومع مرور الزمن وزيادة الاطلاع ومحاولة الالتزام بالمنهج العلمي والعقلانية اختلفت نظرتي كثيرا وصرت انظر اليه كزعيم أمة وقائد شجاع ومؤسس جمهورية وصاحب ثورة.

خلاصة القول: عند فجر قيام الامبراطورية المغولية التترية. اذا اردنا الحديث عن كيانات خاناتية وقبلية مستقلة عن بعضها هذا صحيح حيث يوجد النايمان في الغرب والمغول في الشرق وكيريت في الوسط وغيرهم. اما اذا اردنا الحديث عن شعوب منفصلة عن بعضها ولا تعرف بعضها البعض ولا توجد بينهم مشتركات فهذا شئ خاطئ ولا يصمد امام الحقائق التاريخية والمعطيات الكثيرة المذكورة في كتب التاريخ مثل التاريخ السري وتواريخ المغول وغيره.

تفنيد مزاعم تهجير الامبراطورية المغولية للأتراك

من المزاعم التي يحاول بعض السطحيين ترويجها هو الادعاء ان الامبراطورية المغولية التترية قد قامت بتهجير الاتراك وهذا غير صحيح مطلقا. وسوف ارد على هذه الاكاذيب في عدة نقاط.

اولا: طبيعة السهوب الاوراسية واسيا الوسطى لقد عرفت الاراضي السهوبية منذ فجر التاريخ والآلاف السنين العديد من الهجرات الكبيرة. وكانت هذه الهجرات تحدث اما لاسباب سياسية بسبب رفض الولاء للحاكم الجديد والصراعات الموجودة. او لاسباب اقتصادية بسبب الجفاف الطويل ونقص الاراضي الصالحة. او لاسباب سكانية بسبب زيادة اعداد السكان وعدم تمكن الاراضي من تلبية جميع الاحتياجات. ولقد تحدث المؤرّخ المسعودي عن هذه الهجرات في بلاد تركستان في كتبه وذكر الأسباب التي يعرفها.

ثانيا: من التاريخ وسوف اقدم مجموعة من الامثلة التاريخية الى هؤلاء الذين ينشرون هذه الأكذوبة هل سمعتم بالحرب التي دارت بين مملكة شيونغو وشعب يوزي ونتائجها هل سمعتم عن الحرب التي دارت بين شعب الاوغوز وشعب البجناك ونتائجها هل سمعتم عن الحرب التي دارت بين خاقانية اليوغور وخاقانية القرغيز ونتائجها هل سمعتم عن الحرب التي دارت بين السكيثين والسيمريين ونتائجها وغيرها من الامثلة العديدة فكفاكم سطحية في تناول التاريخ

ثالثا: طبيعة الامبراطورية التركومغولية لقد أسس جنكيز خان الامبراطورية بعد توحيد القبائل التركية مع القبائل المغولية واللتان تتواجدان في بلاد التتار في هضبة منغوليا حاليا. ولقد كانت السياسة العامة التي اتبعها جنكيز خان وخلفاؤه من بعده هو احتواء القبائل وضمها وكسب ولاؤها. لان المقاتل التركي كانت قيمته مثل الذهب والنفط في عصره وتحتاج اليه الامبراطورية التتارية في توسعاتها.

رابعا: الحروب التي حدثت مع الدول التركية الإسلامية كل امبراطورية ومملكة تتوسع عبر التاريخ تصدم مع الدول المجاورة لها فهذه حتمية تاريخية. ومن يقول ذلك يجهل التاريخ بشكل عام وهذه بعض الامثلة من التاريخ الاسلامي: الحرب التي حدثت بين السلاجقة والغزنويين الحرب التي حدثت بين الدول العثمانية والامارات التركمانية الأناضولية الحرب التي حدثت بين السلاجقة والخوارزميين وغيرها من الأمثلة الكثيرة في تواريخ كل الشعوب

خامسا: حقائق تاريخية يهرب منها من يروج للاكذوبة كما ذكرنا سابقا هذه الامبراطورية هي تركومغولية وتعتبر مرحلة اساسية ضمن مراحل التاريخ التركي. وتذكر كتب التاريخ ان مملكة الويغور انضمت طواعية الى الامبراطورية المغولية. ويذكر الجويني في كتابه التاريخي انه في عهد الخاقان اوقطاي اكتشفوا نقش تركي روني فقام بعمل لجنة لترجمة النقش. ويذكر ان النقش كان يحتوي على تاريخ واساطير الشعب الويغوري. وبعدما تمكن جنكيز خان من ضم خانية النايمان هرب كوشلي خان الى اراضي مملكة القاراخيتاي وذهب الى حاكمها طورخان

الذي اكرمه ثم انقلب على حاكمها ونصب نفسه حاكما. وخالف السياسة العامة للقراخيتاي في التسامح مع جميع الاديان واراد فرض البوذية على الاتراك المسلمين في تركستان الشرقية حاليا. سمع جنكيز خان بما يحدث وارسل حملة عسكرية بقيادة جيبي على ما اذكر وانضم اليه السكان وساندوه ضد كوشلي خان النايماني وهكذا استطاع جنكيز خان ضم اراضي القاراخيتاي.

سادسا: هنالك فرق شاسع بين التهجير المتعمد والاجباري والممنهج وبين الهجرة الاختيارية والفرار بسبب الرعب والخوف ورفض الخضوع والولاء لأسباب دينية او سياسية. الذي حدث هو الهجرة الفرارية بسبب الرعب والخوف ورفض الأوضاع الجديدة. وكما ذكرت توجد قبائل تركمانية في اسيا الوسطى. واصلا الهجرة الكبرى لشعب الاوغوز حدثت في عصر السلاجقة الى إيران والاناضول والعراق والشام لعدة اسباب اغلبها تتعلق بتوسعات الامبراطورية السلجوقية.

والهجرة الكبرى الى الاناضول حدثت في العصر السلجوقي كما ذكر المؤرّخين. وقبيلة الكايي ذاتها هاجرت من خراسان الى الاناضول بعد اجتياح الامبراطورية المغولية للدولة الخوارزمية.

يأجوج ومأجوج

سوف أتطرق الى احد القضايا الايمانية وهو عن يأجوج ومأجوج. حيث يزعم البعض عن سوء تأويل ربط احد علامات الساعة وهو خروج يأجوج ومأجوج بتوسعات الإمبراطورية المغولية.
وسوف أتناول ذلك من عدة امور:
اولا: من الناحية الدينية: الآيات القرانية صريحة ولا تقبل التأويل ان ذي القرنين بنى سد بين الجبلين مكون من حديد ونحاس وانه حبس قوم يأجوج ومأجوج خلفه ولا يستطيعون الخروج منه حتى يأتي الوعد الإلهي ويخرجون كأحد علامات يوم القيامة. " آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97)". وفي الصحيحين قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا وَعَقَدَ تِسْعِينَ). معنى ذلك ان السد لا يزال موجود في عهد النبي صلى الله وعليه وسلم وقوم يأجوج ومأجوج محبوسين خلفه.
والحديث الثاني: "إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيَسْتَثْنِي فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كهيئة يوم تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس ...". تقتضي الآيات والأحداث الواردة عن يأجوج ومأجوج التالي:
1/ انهم معزولون عن العالم الخارجي.
2/ ان العالم الخارجي لا يستطيع التواصل معهم. من يحاول يطبق هذه الامور على السهوب الشرقية فسوف يسقط مذموما مدحورا امام ما سيأتي ذكره في النواحي الأخرى.
- النواحي التاريخية: البعض وصلت بهم السطحية ان ادعى ان منطقة السهوب الشرقية كانت معزولة عن العالم وبلا تاريخ حتى قيام الامبراطورية التاريخية وبناء على ذلك بنى رأيه الساقط.
ان السهوب الشرقية والتي عرفت في كتاب الكاشغري بأرض التتار وتعرف حاليا بالهضبة المنغولية. قامت فيها عدة ممالك وهجرات كثيرة ولها اتصالات عديدة مع الصين واسيا الوسطى والغرب. وسوف استعرض مع الخرائط بعض الممالك التي تأسست في تاريخها. مثل: امبراطورية شيونغو في اوراسيا ومملكة وي الشمالية التي اجزاء من منغوليا والصين ومملكة روان روان الأوراسية وإمبراطورية غوكترك الأوراسية ومملكة اليوغور ومملكة لياو التي حكمت اجزاء من منغوليا والصين وبعد سقوط مملكة لياو استطاعت منهم مجموعات الهروب وتأسيس مملكة اخرى في اسيا الوسطى تعرف بإسم لياو الغربية او القراخطاي.
كيف تأسست هذه المملكة؟

قام الملك المؤسس يلو تشاي بالهروب مع 10000 حصان كقوة صغيرة تفترض على الأقل حصانين لكل رجل. وكانت قاعدته الجديدة في كيدون على بعد حوالي 1500 كيلومتر شمال غرب بكين على طول نهر أورخون في مقاطعة بولجان. حيث قام بإعادة بناء قوته واتجه بجيشه الى أسيا الوسطى وانتصر على السلاجقة والقاراخانيين.

- من ناحية التواصل الخارجي: توجد بعثات دينية عديدة اتجهت الى هذه المنطقة من المانويين والبوذيين والمسيحيين. توجد قبائل عديدة من كانت تعتنق المسيحية قبل قيام الامبراطورية المغولية. وتوجد خطوط تجارية عديدة متصلة بهذه المنطقة. وتذكر كتب التاريخ ان مجموعة من التجار المسلمين من خوارزم ذهبوا الى مملكة المغول والتتار بغرض التجارة. هذا الراي الساقط الذي يظن انهم محبوسين خلف السد ومعزولين الا يسال نفسه هذه الشخص عن حدوث هذه الحركات التجارية والبعثات الدينية. بل تذكر كتب التاريخ الصينية ان مجموعة من الوزراء والقادة انشقوا عن مملكة الجين وانضموا الى جنكيز خان. كيف انضموا اليهم يا صاحب الراي الساقط.

- آراء ساقطة: ذهب البعض بعيدا وافترض انه سور الصين العظيم ظانا منه ان هذا السور هو ذاته منذ فجر التاريخ وانه سور لا يقهر. وهذا باطل ومخالف للنص القراني والاحاديث سور الصين ليس سد مكون من حديد ونحاس وموجود بين جبلين. وانما عبارة عن سور دفاعي مكون من نقاط دفاعية وفيه جنود وأسلحة ويقع على عدة تضاريس مختلفة وهذا السور خضع للتطوير والبناء عدة مرات والنموذج الحالي يعود الى عصر سلالة مينغ قبل 600 سنة. وهذا السور تم اختراقه عدة مرات على مدار السنين ولقد خضعت الصين عدة مرات لحكم السلالات الشمالية. وكانت الاراضي المنغولية في بعض العصور ولاية تابعة لإمبراطورية الصين وليست حاكمة في عصور التانغ وتشينغ وغيرها. وهذا السور هو لحماية الاراضي الصينية فقط. وتوجد نقطة مهمة تغيب عن اذهان اصحاب هذا الراي الساقط وهو ان جنكيز خان أرسل ثلاثة حملات غربية اثناء صراعه مع مملكة الجين. ومنها الحملة ضد القراخطاي وحملة ضد الخوارزميين وحملة ضد البلغار والقبجاق. ويوجد رأي ساقط ذهب ايضا بعيدا جدا وقال انه تيمير كابيج الموجود في جنوب أوزبكستان وهذا الموقع لا ينطبق عليه الوصف بزعم انه يحبس شعب كامل خلفه ولا توجد فيه آثار سد من حديد ونحاس. وقطعا هذا الموقع يوجد في قلب اسيا الوسطى وبعيد جدا عن مناطق السهوب الشرقية. بالتالي من الاستحالة جدا ان يطبق عليه هذا الرأي الساقط. صاحب هذا الرأي الساقط زعم ان المغول لم يحاولوا غزو الهند وهذا كذب وتزييف. معركة السند وهي معركة نشبت بين السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي وجنكيز خان بقرب نهر السند سنة 1221م. وفي عام 1235 غزت قوة مغولية أخرى كشمير وتمركزت فيها لعدة سنوات وأصبحت كشمير تابعة للإمبراطورية المغولية. وفي فصل الشتاء عام 1241 غزا الجيش المغولي وادي السند وحاصروا لاهور.

ومن الناحية التاريخية الهند هو اكثر بلد تعرض لغزوات خارجية ناجحة على مدار الآلاف السنين ومنها كوشان والهفتاليين والغزنويين وغيرهم. - التراث الديني اليهودي والمسيحي: اعتبر المؤرّخ اليهودي يوسيفيوس ان يأجوج ومأجوج هم السكيث وان الإسكندر بنى سد في القوقاز. ونظرا لان يوسيفوس مطلع على حروب السكيث الناجحة وممالكهم المختلفة التي وصلت الى الهند في عصره فقال انهم عبروا السد ولم يزعم انهم محبوسين خلفه. وطبعا من يحاول من السطحيين قطع كلام يوسيفوس وتعميمه بشكل مخل فيحب عليه ان يعمم ذلك حاليا على الشعوب الروسية والتركية والقوقازية. وليتذكر مملكة الخزر التي كانت تربطهم علاقات وثيقة واتصالات عديدة مع العالم الإسلامي وغزواتهم التي وصلت الى الاناضول وإيران. اما في التراث المسيحي فنجد انهم لم يحددوا شعب معين واستعملوه بشكل مطاطي حتى أن بعض الكتاب السريان اطلقوا لقب يأجوج ومأجوج على الامبراطورية الساسانية.

- إذا ما الحل: الحل بسيط جدا وهو اعتبار خروج يأجوج ومأجوج من الغيب الذي يخضع للإيمان القلبي.

الصراع العثماني/المملوكي وقتل الأخوة

-1-

الصراع العثماني المملوكي:

يوجد مثل مشهور وهو " ليس في الإمكان احسن مما كان".

التاريخ قد حدث وانتهى وليس لنا الا دراسته وتحليله وفق المقتضيات العلمية والموضوعية بعيدا عن تصفية الحسابات والأمور الشخصية وغير ذلك من وسائل عدم الحيادية.

الصدام بين العثمانين والمماليك كان حاصل حاصل لا محالة سواء في عهد السلطانين سليم والغوري او في عهد غيرهما.

والتوسع العسكري سوف يحدث لا محالة على حساب الطرفين.

فهما اكبر دولتين في العالم السني والصدام بينهما امر مؤكد حتى تستقل القوة لدى طرف معين.

هذه هي حقيقة التاريخ ومقتضى ذلك العصر فكل دولة تمتلك من القوة والإمكانيات والظروف ما يساعدها على التوسع ستتوسع قولا واحدا.

توجد حساسيات تاريخية بين السلطنتين برزت اثناء التوسع التيموري في المنطقة ولقد سجل الحافظ ابن حجر في كتابه رفض السلطان المملوكي للتعاون مع العثمانيين وقال انه يخشاهم اكثر من تيمورلنك.

وبعد ذلك تمكن العثمانيين من فتح القسطنطينية وهو ليس حدث بسيط بل هو حدث إسلامي عالمي هز العالم كله حينها.

وهذا الإنجاز أعطى للدولة العثمانية الشرعية الأكبر في العالم الإسلامي.

وبالتأكيد ان المماليك أتتهم مشاعر مختلطة وهم يرون الانتصار العثماني المجيد بين اعلان الفرح ومشاركة الشعوب الاسلامية فرحتها وكتمان مافي النفوس لتداعيات هذا الانتصار في المستقبل.

وعلى الجانب الاخر لا استبعد ان السلاطين العثمانين بعد انتصاراتهم الساحقة قد تاقت نفوسهم لامتداد سلطانهم الى الحرمين والشام ومصر.

ومن يقرأ كتب التاريخ والبلدانيات في المصادر المملوكية يجد انه كانت توجد نظرة إيجابية كبيرة نحو العثمانين كدولة بدأت من الصفر ولها سجل تراكمي وانجازات حضارية وقواعد يحترمونها ويمشون عليها.

بعد صعود السلطان سليم الاول الى عرش السلطنة والصراع مع الدولة الصفوية لم يتخذ المماليك موقف محايد.

وايضا حدث اعتداء من جنود امارة ذي القدر على أراضي العثمانيين.

ثم قام السلطان الغوري بحشد جنوده وأخذ معه الأعيان والمفتين وتحدى السلطان سليم وانتهت المواجهة بالانتصار وضم الشام ثم حدث ما تلاها في مصر.
وكما قلت لا استبعد مسبقا ان السلاطين العثمانين بعد انتصاراتهم الساحقة قد تاقت نفوسهم لامتداد سلطانهم الى مركز العالم الاسلامي.
والمماليك اعطوهم المبررات واتت في وقتها مع ذروة الانتصارات العثمانية واتساع شرعيتهم.
وكل دولة عبر التاريخ تمر بمراحل بداية ونهاية.

-2-
الصراع السياسي:
لا يوجد في القوانين العثمانية قانون يشرع قتل الأخوة هكذا بدون سبب.
هذه من الخزعبلات والخرافات التي تثار حول القوانين العثمانية.
المسألة بكل بساطة ان العثمانين في مسالة الفتنة اقروا قانون مكون من شقين الاول حول الفتنة العامة والاخر قانون مخصوص حول فتنة الأخوة.
والهدف من هذا القانون كما نص عليه هو حماية النظام العام.
والتساؤل الموجود عن قانون فتنة الأخوة نابع عن جهل عميق بجذوره الثقافية.
يوجد جذور تاريخية وثقافية عميقة حول الأسباب لوضع هذا القانون.
ولمعرفتها يتطلب دراسة التاريخ والثقافة السياسية التركية ليس هذا مجال تفصيلها.
لانه قانون الفتنة العام كان يكفي لتغطية كل الحالات.
خلال التاريخ التركي كان يوجد مبدأ سياسي شائع وهو مبدأ المشاركة في الحكم.
اما من حيث تقسيم المهام بين الأخوة والتبعية لحاكم اكبر بينهم او تقسيم البلد بين الأخوة والتبعية لحاكم العاصمة بمعنى سلاطين يتبعون السلطان الأكبر او سلطان السلاطين.
في العصر العثماني منذ عهد السلطان المؤسس عثمان بن ارطغرل تم إلغاء هذا المبدأ السياسي المترسخ.
ولأجل ترسيخ هذا الالغاء تم وضع قانون عن حماية النظام العام وهو انه حتى لو قام الاخ يجب ردعه وقتله كما يتم التعامل مع العصاة الاخرين.
وبخصوص النظام السياسي العثماني لقد فصلت في ذلك بشكل موجز في تعليقي السابق.
خلال الثلاثة القرون الاولى كانت قاعدة "الأجدر" هي السارية.
ومنذ عهد السلطان احمد الاول وخلال الثلاثة القرون الاخيرة كانت القاعدة السارية هي "الارشد".

تصحيح الأفكار الخاطئة حول الفتوحات الأموية

اولا: التوسعات الأموية العسكرية وفتوحاتهم في بلاد ما وراء النهر:
يقوم البعض بتسطيح احداث فتوحات ما وراء النهر وتصويرها وكما لو انه لا توجد جيوش أموية ذهبت الى المنطقة ولا جنود مسلحين وكانهم مجموعة عراة الصدور وتحمل الورود.
بينما كتب التاريخ الاسلامية تذكر حدوث معارك وحصار وقتل ورقيق كما يحدث في كل الحروب التي جرت في العصور الوسطى.
وهي حروب استمرت عدة عقود الى ما بعد عصر الخليفة هشام بن عبدالملك.
ولم تنتهي هذه الحروب بالسيطرة على جميع اراضي بلاد ما وراء النهر لقد تمت السيطرة في عصر الدولة السامانية.
ولقد ظلت منطقة اسبيجاب وهي منطقة كبيرة في بلاد ما وراء النهر خارج السيطرة الى العصر الساماني كما ذكر المؤرخين، يقول البلاذري:
" ثُمَّ غلب عَلَيْهِ الترك ومعهم قوم من أهل الشاش، ثُمَّ فتحه نوح بْن أسد الساماني
وهذه خارطة مع حدود الدول الحالية لأقصى مساحة وصلتها الخلافة الاموية باللون البرتقالي

ثانيا: الأوضاع العامة في بلاد ما وراء النهر:
وايضا توجد اخطاء ومغالطات تقدم حول الأوضاع السياسية والتركيبة السكانية لبلاد ما وراء النهر.
بلاد ما وراء النهر لم تكن خالصة لشعب معين طيلة تاريخها هي منطقة عرفت هجرات مكثفة وتداخلات كبيرة.
وفي القرن الثامن الميلادي كان سكانها خليط من الشعوب الصغدية والتركية والخوارزمية وغيرهم.
اي بشكل عام خليط ما بين الشعوب الإيرانية والطورانية.
وحتى يومنا هذا لا يزال يوجد شعوب الطاجيك والأوزبك وغيرهم.
يمكن القول بأنه في ذلك الوقت كان الترك اكثر كثافة في مناطق سيحون والإيرانيون اكثر كثافة في مناطق جيحون.
وفي اثناء الحملات العسكرية لقتيبة الباهلي لم تكن توجد دولة او مملكة موحدة في بلاد ما وراء النهر.
وانما كانت مجموعة من الإمارات المستقلة والمختلفة عن بعضها ولكل امارة حاميتها الخاصة، حيث توجد امارة مستقلة في بخارى وإمارة في خوارزم وإمارة في فرغانة وخانية التركش في سيحون وغير ذلك.

فبعد إسقاط امبراطورية تانغ لغوكترك الغربية استقلت الإمارات عن بعضها وافترقت ودانت الكثير منها بالولاء لإمبراطور تانغ الصينية.
ومن الناحية الجغرافية آسيا الوسطى هي منطقة شاسعة.
وبلاد ما وراء النهر تعتبر جزء من اسيا الوسطى.
واما منطقة حوض تاريم او تركستان الشرقية هي منطقة اخرى تسمى اسيا الداخلية وتصنف احيانا ضمن اسيا الوسطى.
فضلا ان بلاد الترك الشاسعة الممتدة من بحيرة البايكال وغابات التايغا وسيبيريا شمالا الى جبال هندوكوش جنوبا ومن منشوريا شرقا الى هضبة بانونيا غربا كانت خارج السيطرة كليا ولا يحلمون بالوصول اليها.
وهذه الخارطة الشاسعة تضم مناطق تورفان ونهر ايلي وجبال تيان شان وجبال آلتاي ومنطقة كومول ومنطقة اورخون ومنطقة كاشغر ومنطقة البايكال ومنطقة توفا ومنطقة نهر ينسي ومنطقة جنوب الفولغا ومنطقة شمال قزوين ومنطقة القرم ومنطقة بانونيا ومنطقة شمال البحر الاسود ومنطقة بحيرة ايسيك وغير ذلك.
وكتاب حدود العالم قدم صورة شاملة عن بلاد الترك وان معظمها دار كفر وغير تابعة لدار الاسلام وتوجد كثير من المصادر التاريخية والجغرافية التي تؤكد ذلك وهي معلومات ثابتة وبديهية.

ثالثا:معركة تالاس:
تم تضخيم هذه المعركة وتقديم اكاذيب ومغالطات حولها.
وهي كانت مجرد معركة حدودية صغيرة بين تانغ والعباسيين وحتى لا يوجد لها اي ذكر في المصادر التاريخية الاسلامية المبكرة عند الطبري والمسعودي وابن مسكويه وغيرهم.
وما كتب عنها من المؤرّخين المتأخرين كابن الأثير تحدث عنها بشكل عابر في اسطر قليلة لا تتعدى اربعة او خمسة اسطر.
والمصادر الصينية المبكرة تذكرها كمعركة صغيرة غير مؤثرة.
ولا يوجد دليل يدعم التغيير الجيوسياسي أو الديموغرافي الناتج عن هذه المعركة. في الواقع ، ان تأثيرات تانغ على آسيا الوسطى ازداد قوة بعد 751، وبحلول عام 755م كانت قوة تانغ في آسيا الوسطى في أوجه، ولقد أرسل تانغ أيضًا جيشًا من مدينة شيباو في تشينغهاي إلى سوياب وعزز السيطرة الصينية.
الحدث الذي اثر على امبراطورية تانغ وتسبب لها بكوارث اقتصادية وعسكرية هي ثورة ان لوشان التي استمرت سبعة سنوات.
علما ان طبيعة العلاقات بين امبراطورية تانغ والشعوب التركية كانت بشكل عام جيدة رغم إسقاط تانغ لغوكترك.

حيث اعتمد بعض اباطرة تانغ لقب الخاقان حتى يكسب شرعية عند الشعوب التركية.
حتى كتب التاريخ الاسلامي أخطأت عندما ان لقب الخاقان معتمد عند مملكة الصين وهذا غير صحيح.
ولقد اعطى اباطرة تانغ للشعوب التركية الشرقية نفوذ كبير في الجيش والدولة، حتى نقوش ارخون تذكر ان بعض الاتراك فضلوا التبعية لتانغ.
وايضا كانت العلاقة ممتازة ما بين خاقانية اليوغور وامبراطورية تانغ ودعم اليوغور تانغ في عدة احداث.
ولقد تمادى السطحيين في تحريف التاريخ وتزويره وتقديم معلومات خاطئة.
في ذلك العام عندما حدثت المعركة كان يوجد للاتراك خاقانية كبيرة في الشرق وهي خاقانية اليوغور ومملكة كبيرة في الغرب وهي مملكة الخزر وايضا موجود مالك تركية اخرى في أوربا واسيا.
وانما الوضع يتعلق ببعض الاتراك في منطقة اسيا الوسطى التابعة لإمبراطورية تانغ.

رابعا: دخول الترك في الاسلام:
يتم تقديم اخطاء ومغالطات في الزعم ان الترك دخلوا في الدين أفواجا بعد الفتوحات او معركة تالاس وهذا كذب وتزييف وتحريف للتاريخ.
لقد دخل الاتراك بشكل جماعي في الاسلام في القرن الرابع الهجري في عصر الدولة القاراخانية.
وتذكر كتب التاريخ قصة تتضمن تفاصيل غريبة وسياقها التاريخي صحيح.
حيث تذكر ان الخليفة هشام بن عبد الملك بعث رجلا إلى ملك الترك يدعوه إلى الإسلام.
والخليفة هشام في اواخر العصر الاموي.
"فقال الملك للترجمان: قل لهذا الرسول يعلم صاحبه أن ليس في هؤلاء حجام ولا إسكاف ولا خياط. فإذا أسلموا من أين يأكلون؟"
طبعا سياقها التاريخي حيث ان شعوب الترك لم يدخلوا في الإسلام في ذلك العصر وما تضمنته من تفاصيل غريبة فهذه المهن موجودة عند الترك والأديب الجاحظ ذكر ان التركي يتقن صناعته وما يتطلب عمله عدة صناع يتقنه التركي لوحده.
وتوجد عدة براهين اخرى حول تواريخ دخول الاسلام من مصادر مختلفة من الرحلات وكتب التاريخ والجغرافيا لو سردتها لتطلب ذلك عدة تعليقات.
يمكن القول ان دخول شعوب الاتراك في الاسلام مر بعدة مراحل:
اولا: ما قبل القرن الرابع الهجري في العصر الساماني وهم جماعات تركية في بلاد ما وراء النهر، حيث أحكمت الدولة السامانية سيطرتها على بلاد ما وراء النهر وعلى المناطق التركية

الموجودة فيها ودخل السكان الاتراك في بلاد ما وراء النهر الى الاسلام وشكلوا النواة الاسلامية وبرز في تلك المرحلة عدة اعلام تركية كالفارابي والجوهري وغيرهم.
وكان للاتراك نفوذ كبير جدا في الدولة السامانية.
بعضهم يذكر عصر الخليفة العباسي المعتصم بالله كبداية وهذا غير صحيح فهؤلاء كانوا مماليك منفصلين عن مجتمعاتهم نحن نتحدث عن مجتمع.
هؤلاء في العصر العباسي يمكن الإشارة اليهم كأشخاص اتراك وليسوا كجماعات تركية.
يمكن الحديث عن النفوذ التركي في الدولة العباسية والدول التركية التي ظهرت كالطولونية كتاريخ سياسي إسلامي وليس كتاريخ مجتمعي.
ثانيا: من القرن الرابع الهجري وما تلاه في عصر الدولة القاراخانية وهذا يشكل مرحلة الدخول الجماعي.
حيث دخل الترك في الاسلام جماعيا كدول وقبائل ومجتمع.
وكانت احداث مترابطة مع بعضها بلغار الفولغا قبائل الاوغوز وغيرهم.
وظهرت دولة تركية إسلامية وهي الدولة القاراخانية التي أعلنت الجهاد ونشر الاسلام في بلاد الترك وقامت بعمل ترجمات للقران الكريم.
ثالثا: مع عصر الامبراطورية المغولية وما تلاه وفي هذه المرحلة دخلت شعوب تركية جديدة في الاسلام.

اسباب دخول الأتراك الجماعي في الإسلام

بعدما أسهبنا قليلا في مناقشة الأخطاء والمغالطات حول مراحل دخول الترك في الاسلام.
اختلف الباحثون والمؤرخون حول عوامل دخول الاتراك في الاسلام على عدة أقوال.
القائل بأنها نتيجة الأسلمة السياسية وبعضهم قال بسبب تشابه العقائد وبعضهم قال انها حدثت بالسيف والاجبار وبعضهم قال لأسباب اقتصادية وبعضهم قال بسبب جهود الصوفية وبعضهم قال بسبب عقيدة الجهاد.
انا أميل الى حدوث جميع العوامل السابقة وكل قائل بعامل معين له مبرراته وحججه التي لا يمكن تجاهلها.
ولمناقشة جميع العوامل هذا يستدعي عدة تعليقات بل عدة أبحاث ومجلدات.
وسوف أتناول عاملين وهما تشابه العقيدة والأحكام.
يذكر من يميل الى ترجيح هذا العامل بالقول ان عقيدة الاتراك في وجود قوة سماوية تسمى التانغري تحكم الوجود قريبة من عقيدة الله الاسلامية ويستندون في ذلك على انطباع المسيحيين البيزنطيين واللاتين عن عقيدة الاتراك حيث ذكروا ان الاتراك يؤمنون باله واحد خلق الكون.
طبعا ذهب الباحثين بعيدا ونفى وجود اية عقائد وثنية عند الاتراك وهذا غير صحيح.
يمكن القول انه يوجد تشابه جزئي في جانب العقائد.
ولكن التصميم على هذا العامل وربطه بدين معين يفنده اعتناق الاتراك العديد من الاديان المختلفة كالبوذية والمانوية واليهودية والمسيحية.
وهذه الاديان لم تعتنق من قبل افراد بل اعتنقت من قبل شعوب ودول تركية واستمر اعتناقها لقرون طويلة متصلة.
بالنسبة لتشابه القوانين والأحكام الشرعية يذكر البعض تشابه القوانين الجارية عند الترك مع احكام الإسلام.
طبعا لا يمكن القول انه تشابه مطلق ربما بعض الاتراك لديهم تشابه كبير ولكن عند الاطلاع على كتب الرحلات والبلدانيات نجدها ذكرت اختلاف بعض الأحكام بين مختلف البلاد التركية.
اثناء قراءتي لكتاب "مناقب الترك" للجاحظ لفت نظري نقله لقصة حول تشابه الأحكام وأحببت ان انقل القصة بتمامها.
وهذا الانطباع قيل لاحقا عن قوانين الياسق حتى ذكروا بأنها تتشابه كثيرا مع احكام الشريعة.
" قال: حدثني عبد الملك بن صالح، عن أبيه صالح بن علي أن خاقان ملك الترك واقف مرةالجنيد بن عبد الرحمن أمير خراسان، وقد كان الجنيد هاله أمره، وأفزعه شأنه، وتعاظمه جموعه وجمعه، وبعل به، وفطن به خاقان وعرف ما قد وقع فيه، فأرسل إليه:

" إني لم أقف هذا الموقف وأمسك هذا الإمساك وأنا أريد مكروهاً، فلا ترع. ولو كنت أريد غلبةً أو مكروهاً لقد كنت انتسفت عسكرك انتسافاً أعجلك فيه عن الروية وقد أبصرت موقع العورة. ولولا أن تعرف هذه المكيدة فتعود بها على غيري من الأتراك، لعرَّفتك موضع الانتشار والخلل والخطأ في عسكرك وتعبيتك. وقد بلغني أنك رجلٌ عاقل، وأن لك شرفاً في بيتك وفضلاً في نفسك، وعلماً بدينك، وقد أحببت أن أسأل عن شيءٍ من أحكامهم لأعرف به مذهبكم، فاخرج إليَّ في خاصتك لأخرج إليك وحدي، وأسائلك عما أحتاج إليه بنفسي. ولا تحتفل ولا تحترس؛ فليس مثلي من غدر، وليس مثلي يؤمن من نفسه، ومن مكره وكيده، ثم ينكث بوعده. ونحن قومٌ لا نخدع بالعمل، ولا نستحسن الخديعة إلا في الحرب، ولو استقام أمر الحرب بغير خديعة لما جوَّزنا ذلك بأنفسنا ".

فأبى الجنيد أن يخرج إليه إلا وحده، ففصلا من الصفوف. وقال: سل عما أحببت، فإن كان عندي جوابٌ أرضاه أجبتك وإلا أشرت عليك بمن هو أبصر بذلك مني.

قال: ما حكمكم في الزاني؟ قال الجنيد: الزاني عندنا رجلان: رجلٌ دفعنا إليه امرأةً تغنيه عن حرم الناس، وتكفه عن حرم الجيران؛ ورجلٌ لم نعطه ذلك، ولم نحل بينه وبين أن يفعل ذلك لنفسه. فأما الذي لا زوجة له فإن نجلده مائة جلدة ونحضر ذلك الجماعة من الناس لنشهره ونحذره به، ونغربه في البلدان لنزيد من شهرته وفي التحذير منه، ولينزجر بذلك كل من كان يهم بمثل عمله. فاما الذي قد أغنيناه فإنا نرجمه بالجندل حتى نقتله.

قال: حسن جميلٌ، وتدبيرٌ كبير، فما قولكم في الذي يقذف عفيفاً بالزنى؟ قال: يجلد ثمانين جلدة، ولا نقبل له شهادةً، ولا نصدق له حديثاً.

قال: حسنٌ جميلٌ، وتدبيرٌ كبير، فما حكمكم في السارق؟ قال: السارق عندنا رجلان: رجلٌ يحتال لما قد أحرزه الناس من أموالهم حتى يأخذها بنقب حيطانهم وبالتسلق من أعالي دورهم؛ فهذا نقطع يده التي سرق بها، ونقب بها واعتمد عليها. ورجلٌ آخر يخيف السبيل، ويقطع الطريق، ويكايد على الأموال، ويشهر السلاح فإن منعه صاحب المتاع قتله، فهذا نقتله ونصلبه على المناهج والطرق.

قال: حسنٌ جميلٌ، وتدبيرٌ كبير. قال: فما حكمكم في الغاصب والمستلب؟ قال: كلُّ ما فيه الشبهة ويجوز فيه الغلط والوجوه، كالغصب والاستلاب، والجناية، والسرقة لما يؤكل أو يشرب فإنا لا نقطع فيما فيه شبهة ونتمحَّل لذلك وجهاً غير السرقة.

قال: حسنٌ جميلٌ، وتدبيرٌ كبير. قال: فما حكمكم في القاتل وقاطع الأذن والأنف؟

قال: النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف. وإن قتل رجلاً عشرةٌ قتلناهم. ونقتل القويَّ البدن بالضعيف البدن، وكذلك اليد والرِّجل.

قال: حسنٌ جميلٌ، وتدبيرٌ كبير. قال: فما تقولون في الكذاب والنمام والضراط.

قال: عندنا فيهم الإقصاء لهم وإبعادهم وإهانتهم، ولا نقبل شهادتهم، ولا نصدق أحكامهم.

قال: وليس إلا هذا؟ قال: هذا جوابنا على ديننا.

قال له: أما النمام عندي هو الذي يُضرِّب بين الناس، فإني أحبسه في مكانٍ لا يرى فيه أحداً. وأما الضراط فإني أكوي أسته، وأعاقب ذلك المكان فيه. وأما الكذاب فإني أقطع الجارح التي بها يكذب، كما قطعتم اليد التي بها يسرق، وأما الذي يضحك الناس ويعودهم السخف فإني أخرجه من سلطانه، وأصلح بإخراجه عقول رعيتي.
قال: فقال الجنيد بن عبد الرحمن: أنتم قومٌ تردون أحكامكم إلى جواز العقول، وإلى ما يحسن في ظاهر الرأي؛ ونحن قومٌ نتبع الأنبياء، ونرى أنْ لم نصلح على تدبير العباد. وذلك أن الله تعالى أعلم بغيب المصالح وسر الأمر وحقائقه، ومحصوله وعواقبه، والناس لا يعلمون ولا يرون الحزم إلا على ظاهر الأمور. وكم من مضيع يسلم، وحازمٍ يعطب".

ملاحظة:
كتبت في التعليق الأخير حول أسباب دخول الترك في الإسلام.
وذكرت من ضمن الأسباب وجود بعض التشابه في العقيدة وحتى كتبت بعض لأنه اتضح امامي سابقا ان بعض الفرضيات حول وجود تشابه بين الدين التركي القديم والأديان السماوية مبالغ فيها كثيرا.
لا يوجد توحيد مطلق في الدين التركي القديم كما تحاول بعض الكتابات الترويج لذلك.
بل الدين التركي القديم فيه آلهة صغيرة مثل اي تنغري وأوما وغيرهم مع وجود بعض الوثنية.
وانما حدث التباس عند الشعوب الاخرى نظرا لانه الترك عموما يقدسون تنغري بشكل اكبر ويقدموه بانه الكائن الأعلى الخالق حتى لاحقا ترجموا كلمة الله الى تنغري، وفي العصر المغولي قدم الخاقانات والخانات المغول في رسائلهم وخطبهم وعملاتهم بأن الترك والمغول عموما يؤمنون بإله واحد فقط.
عموما هذا الموضوع يحتاج الى تعمق ودراسة اكبر من الباحثين والمتخصصين من النواحي التاريخية والدينية .
واستغرب استماتة البعض في هذا الموضوع رغم معرفتهم ان اغلب ديانات الشرق القديمة في مصر وبابل والاناضول وغيرها قائمة على التعددية.
وكأن الاتراك بمجرد سماعهم كلمة الله او الرب عند المسلمين والمسيحيين واليهود سوف يفهمونها مباشرة ويتأثرون وهذا في غاية الاستحالة نظرا لاختلاف المفاهيم.
هذه التحولات تتطلب مراحل زمنية وأرضية مهيئة وغير ذلك ليس الأمر بهذه السطحية التي يقدمونها.
ولقد هاجم الكاشغري في كتابه الدين التركي القديم ووصفه بالوثني.

ابن خلدون ومراحل الدولة العباسية

لقد فقدت الخلافة العباسية قوتها وضعفت كثيرا وانهارت مركزيتها منذ القرن الثالث الهجري وتحولت الى خلافة اسمية وكانت البيعة لهم شكلية وان الحكم والقوة للسلطان المتغلب على منطقته.
وكانت تلكم الدول المستقلة قائمة بذاتها أسسها حكامها بالعرق والدماء وسيطرتهم محكمة على أراضيهم ولها سلاطينها وأمرائها وعملاتها وخراجها وجيشها ورسومها وغير ذلك.
واراضيهم خالية من وجود الولاة العباسيين والحاميات العباسية.
ان السلاجقة كانت امبراطورية مستقلة ومتحكمة بالعالم الاسلامي وهي التي حافظت على استمرارية الخلافة العباسية من السقوط بصورتها الاسمية وبيعتهم للخلافة كانت شكلية.

يقول علامة التاريخ ابن خلدون ملخصا المراحل التي مرت بها الخلافة: "واعتبر ذلك في الدّولة الإسلاميّة كيف اتّسع نطاقها بالفتوحات والتّغلّب على الأمم، ثمّ تزايد الحامية وتكاثر عددهم ممّا تخوّلوه من النّعم والأرزاق، إلى أن انقرض أمر بني أميّة وغلب بنو العبّاس.
تعليق: يقصد سقوط الخلافة الاموية السريع خلال اقل من قرن.

ثمّ تزايد التّرف، ونشأت الحضارة وطرق الخلل، فضاق النطاق من الأندلس والمغرب بحدوث الدّولة الأمويّة المروانيّة والعلويّة، واقتطعوا ذينك الثغرين عن نطاقها، إلى أن وقع الخلاف بين بني الرشيد، وظهر دعاة العلويّة من كلّ جانب، وتمهّدت لهم دول،
تعليق: يقصد استقلال بعض الأقاليم في المغرب والأندلس عن الدولة العباسية مع الأدارسة والرسمتيين وامويي الاندلس وبداية ظهور الضعف في الدولة العباسية مع صراع ابناء الرشيد.

ثمّ قتل المتوكّل، واستبدّ الأحرار على الخلفاء وحجروهم، واستقلّ الولاة بالعمالات في الأطراف. وانقطع الخراج منها، وتزايد التّرف. وجاء المعتضد فغيّر قوانين الدّولة إلى قانون آخر من السّياسة أقطع فيه ولاة الأطراف ما غلبوا عليه، مثل بني سامان وراء النهر وبني طاهر العراق وخراسان، وبني الصّغار السّند وفارس، وبني طولون مصر، وبني الأغلب إفريقية،
تعليق: يقصد انهيار المركزية للخلافة العباسية وضعفها وتحولها الى خلافة شكلية وسيطرة الجند الاتراك على مركز الخلافة وظهور الدول المستقلة في الأقاليم المختلفة كالسامانية والطولونية وغيرها.

إلى أن افترق أمر العرب وغلب العجم، واستبدّ بنو بويه والدّيلم بدولة الإسلام وحجروا الخلافة، وبقي بنو سامان في استبدادهم وراء النّهر، وتطاول الفاطميّون من المغرب إلى مصر والشام فملكوه.
تعليق: يقصد سيطرة الدولة البويهية على ايران والعراق وظهور الدولة الفاطمية في مصر والشام.

ثمّ قامت الدولة السّلجوقيّة من التّرك فاستولوا على ممالك الإسلام وأبقوا الخلفاء في حجرهم، إلى أن تلاشت دولهم.
تعليق: يقصد قيام الدولة السلجوقية وسيطرتها على اغلب العالم الاسلامي حتى قيام الدولة الخوارزمية.

واستبدّ الخلفاء منذ عهد النّاصر في نطاق أضيق من هالة القمر وهو عراق العرب إلى أصبهان وفارس والبحرين. وأقامت الدولة كذلك بعض الشيء إلى أن انقرض أمر الخلفاء على يد هولاكو بنطولي بن دوشي خان ملك التّتر والمغل حين غلبوا السلجوقيّة وملكوا ما كان بأيديهم من ممالك الإسلام. وهكذا يتضايق نطاق كلّ دولة على نسبة نطاقها الأوّل. ولا يزال طورا بعد طور إلى أن تنقرض الدولة.
تعليق: يقصد الاحداث التي تلت إسقاط الخوارزميين لدولة السلاجقة الكبرى "سلاجقة العراق وإيران" والسيطرة على أراضيها وان الخلافة العباسية في مرحلتها الاخيرة منذ عهد الناصر كانت تحكم مساحة صغيرة من العالم الاسلامي في وسط العراق وجنوب العراق والأهواز وبعض شرق الجزيرة العربية حتى سقطت دولتهم.
بينما الدولة الخوارزمية تحكم بلاد المشرق الاسلامي في اسيا الوسطى وإيران وصولا الى شمال الهند ولقد حاولوا التوسع الى العراق.
والدولة الايوبية تحكم مصر والشام والحجاز والدولة الاتابكية الزنكيين يحكمون الجزيرة الفراتية وسلاجقة الروم يحكمون الاناضول.

تاريخ العلوم في الامبراطورية العثمانية

-1-

اغلب ما يثار حول تاريخ العلم في الدولة العثمانية عبارة عن مبالغات ومزاعم وسوء فهم.
وحتى انه المدلسين يتداولون مقطع لاحد الشيوخ ينتقد هذا الجانب ولكن هذا الشيخ تراجع لاحقا وبان له الحق بعد البحث وقدم برنامج متكامل من عدة حلقات عن علماء الدولة العثمانية.
والسبب ان هنالك تجاهل كبير للتراث العثماني ولم يحظى بالدراسة والتحقيق الا في السنوات الاخيرة، ويتم التعامل مع تاريخ العلم في العصر العثماني حسب التأثير وليس حسب الاشتغال ويفترض يتم التعامل حسب الطريقة النديمية اي ابن النديم في كتابه الفهرست ذكر كل من اشتغل في العلم سواء كان مجهولا او مشهورا وسواء ترك تاثير كبير او كان مجرد ناقل.
لقد كانت اسواق العلم رائجة في الدولة العثمانية وكانت توجد نخب علمية في شتى المجالات
ولقد حرص السلاطين العثمانين منذ بدايتهم على بناء المدارس والمكتبات وتشجيع الترجمات
ولقد تميز العلماء في العصر العثماني بتعدد اللغات حيث كانوا يكتبون كتبهم باللغات الثلاثة العربية والتركية والفارسية
ولقد أشرف السلطان الفاتح بنفسه على عملية ترجمة كبيرة وجرى ترجمت كتب كثيرة لاريان والاكويني وبطليموس واقليدس وبلثيون وغيرهم وظلت عمليات الترجمة شائعة طيلة التاريخ العثماني.
وسوف اعرض بعض المجالات لابين مدى بطلان ما يشاع.

1- في مجال الطب:
كان الطب في العصر العثماني ذات مستوى عالي بشهادة الاوربيين الفرنسيين والانجليز.
قام السلاطين ببناء مدارس طبية في ادرنة واسطنبول وبورصة وغيرها وكان الطب يدرس ضمن العلوم في المدارس العامة كالمدرسة السليمانية ومدرسة الفاتح الثمانية.
وكانت توجد مشافي عثمانية في كل المدن والاقاليم وحتى ذكرت كتب التاريخ انه توجد مشافي عثمانية لعلاج المرضى النفسيين بالموسيقى.
ولقد حرص السلاطين العثمانين منذ بدايتهم على الاعتناء بالطب والمراجع الطبية فمثلا امر السلطان الفاتح بترجمة اشهر الكتب الطبية الى التركية مثل كتاب التصريف للزهراوي.
وبرز في الدولة العثمانية علماء اطباء كثر كتبوا مصنفات كثيرة في الطب والجراحة.
اذكر منهم على سبيل المثال وليس الحصر الطبيب الجراح صابونوجي اوغلو قام بتاليف عدة كتب في الطب من اشهرها كتاب موسوعي في الجراحة بالتركية بعنوان "جراحية الخانية" في عدة مجلدات.
وكتب الانطاكي موسوعة في علم الصيدلية.

وكان اق شمس الدين من ضمن شيوخ السلطان محمد الفاتح وليس شيخه الوحيد له اشتغال في الطب
وشمس الدين افندي له كتاب في التشريح بعنوان تشريح الابدان وعياشلي باشا صاحب كتاب في طب التوليد ومؤمن جلبي صاحب كتاب في الطب النفسي
وقدم العالم درويش البرسوي كتاب موسوعي من عدة مجلدات في الطب الجديد والكثير
ولقد ذكر الرحالة اوليا جلبي انه زار المدرسة الطبية في ادرنة وذكر انه شاهد نقاش طبي اكاديمي بين الاساتذة حول الاراء الطبية لجالينوس وابن سينا وابقراط وغيرهم ويرجح بعضهم راي معين ويذكر سبب اختياره لهذا الرأي.

2- في مجال العلوم الطبيعية والرياضية:
وكان المستوى العام لا بأس به ويوجد انتاج علمي وفير
ولقد بدأ الاهتمام بالعلوم الرياضية والطبيعية منذ بداية الدولة العثمانية ويوجد علماء كثر في العصر العثماني برزوا في العلوم الرياضية والطبيعية وكانت النخب العلمية العثمانية على احاطة كاملة بمؤلفات الطوسي وابن الهيثم والخوارزمي وغيرهم واذكر منهم على سبيل المثال.
فهذا السلطان مراد الاول راسل العلامة الفلكي ابن الشاطر وطلب منه تاليف زيج خاص للدولة العثمانية والعالم قاضي زاده عاش في صدر الدولة العثمانية وتوصل الى حساب جيب الكسر.
وطلب السلطان الفاتح ترجمة عدة كتب علمية الى التركية وراسل العلماء في مختلف العالم الاسلامي.
واتاه من سمرقند اشهر عالم فلكي في عصره وهو علي القوشجي الذي عمل في مرصد سمرقند واسند اليه السلطان الفاتح عدة مهام علمية ومدرسية
والف كتاب فلكي يرجح فيه فرضية دوران الارض حول محورها.
وكتب الرسالة المحمدية في الرياضيات كاهداء الى السلطان الفاتح وعدة كتب اخرى في الفلك والكلام واللغة.
والعالم الرياضي ابن حمزة المغربي الف عدة كتب في الرياضيات وفي كتابه تحفة الاعداد كان على وشك الوصول الى اللوغاريتم.
والعالم الموسوعي تقي شمس الدين وهو صاحب عدة كتب مهمة في الفلك والرياضيات والبصريات والميكانيكا.
والف العالم الفلكي ابن سنان القونوي اكثر من 13 كتاب في الفلك
وكتب العالم ميرم جلبي كتاب موسوعي في البصريات
وكتب العالم الكيمائي علي جلبي الازنيقي اكثر من 15 كتابا في الكيمياء
واخترع ينرلي شهر الدين الات لقياس المثلثات.

وعالم الرياضيات نصوح السلاحي الذي ظهر في مسلسل القرن الذهبي كان عالم رياضيات شهير ورسام ومورخ من الطراز الرفيع.
وكتب عالم الفلك العثماني جي كوسه ابراهيم كتاب فلكي يأخذ فيه بنظام كوبونيكوس في القرن الثاني عشر الهجري على سبيل المثال تم تأليف اكثر من 300 كتاب في علم الفلك

3- في مجال الادب:
لقد برز خلال التاريخ العثماني ادباء كثيرين ومؤرخيين وموسوعين ورحالة، اذكر منهم على سبيل المثال:
المؤرخ السلانيكي صاحب موسوعة تاريخية
والمؤرخ بجوي ابراهيم صاحب كتاب "تاريخ بجوي إبراهيم أفندي" وغيرهم
حاجي خليفة له عدة كتب في الجغرافيا والرحلات والكلام.
وكتاب موسوعي في الفهرست والتراجم
والرحالة الشهير اوليا جلبي صاحب الكتاب الشهير سياحت نامه.
والموسوعي ابراهيم حقي صاحب كتاب شهير موسوعي "معرفتنامه" في الفلك والعلوم والجغرافيا والفلسفة.
وطاش كبري زادة كتب موسوعة مفتاح السعادة في العلوم.

4- في مجال الصناعة:
كانت الدولة العثمانية رائدة في العديد من الصناعات.
كانت الدولة العثمانية صناعية ولها اكتفاء ذاتي لقد قام العثمانيون ببناء عدة مصانع عسكرية لبناء المدافع.
واشتهر العثمانيون بصناعة السجاد وتصديره
وفي الخزف قامت الدولة العثمانية بتخصيص مدينة ازنيق كمدينة صناعية لانتاج الخزفيات التي حظيت باعجاب العالم وبفضل هذا الانتاج تم تزيين الجوامع العثمانية الكبرى باجمل اشكال الخزفيات.
وايضا كانت المصانع ذات انتاج راقي في الاقمشة والجلود وغيرها.

5- في مجال الكلام والفلسفة:
لقد كان المنطق الارسطي يحظى بالعناية والشرح طيلة العصر العثماني.
ولقد قام احد العلماء وهو ايناوي بعمل اعادة ترجمة للكتب الارسطية في المنطق والطبيعة والاخلاق
وطلب السلطان الفاتح من خوجه زادة عمل كتاب فلسفي تقريبي بين التهافتين

وبرز عدة علماء عثمانين لهم اهتمام بالفلسفة مثل الفناري وقاضي زاده والكشجي وابن كمال وغيرهم.
واستمر تعاطي علم الكلام والجدل ويوجد متكلمون عثمانيون كثر.
وكان يوجد شكل من اشكال الفلسفة في التصوف وهو الذي يعرف بالتصوف الفلسفي.
وشرحت كتب ابن عربي والرومي وغيرهم
وفي طيلة العصر العثماني كان التعاطي مع الشطحات الصوفية مسموح وعلى نطاق واسع بشرط عدم المس بصلب العقيدة الاسلامية كما سابين لاحقا.
ويوجد متصوفة شطحوا الى حد بعيد مع اركان الاسلام
ولقد حظيت مقدمة ابن خلدون بالعناية والاهتمام والشروحات من قبل العلماء العثمانيين حتى ترجموها الى التركية ومنهم هزارفن حسين افتدي و علي الجلبي وجيليبولولو مصطفى علي وغيرهم.
ولكن للاسف نظرا لوجود جهل كبير بالتراث العثماني الغالبية لا تعرف جوانبه .

-2-

تبقى هنالك نقاط يثار حولهما لغط كبير:
الاولى حول تاخر دخول الة الطابعة: صحيح ان لالة الطابعة فوائد كثيرة جمة ولكن لا توجد علاقة ما بين الانتاج الفكري والعلمي مع الطابعة.
الانتاج العلمي يتم باي طريقة كانت سواء كان مخطوطات او مطبوع او على الرق.
والذي يصر على ربط الانتاج الكتابي بالطابعة فمعنى ذلك عليه نسف كل التاريخ العلمي قبل ظهور الة الطابعة في التاريخ الاسلامي او اليوناني او البابلي او الفرعوني.
الثانية: تاريخ العلم منذ القرن السادس العشر وصاعدا: من ينظر الى تاريخ العلوم في اوربا منذ القرن السادس العشر والثورات العلمية التي حدثت.
يستنتج باطلا انه بما ان هنالك ثورات علمية في اوربا فيظن انه لم يكن هنالك اهتمام علمي في العصر العثماني وهذا استنتاج باطل.
كما ذكرت يوجد اهتمامات علمية ومؤلفات ومستوي عالي في بعض المجالات.
الوصف الاقرب انه في بعض المجالات اقرب للتراوح في المكان والركود والشغف بما توصل اليه السابقين.

الثالثة: اللغط حول بعض الاحداث:

- هدم مرصد اسطنبول:
تم انشاء المرصد الذي اشرف عليه العلامة تقي الدين الشامي بطلب منه لغرض تصحيح الاخطاء الموجودة في زيج اولوغ بيك ووافق عليه السلطان مراد ودفع له مبلغ خاص جاري ويعتبر اول مرصد في اوربا وقد تم اتمام العمل واصدار زيج عثماني جديد اكثر دقة وعمل فيه العالم تقي الدين ومعه مجموعة من العلماء واصدر مجموعة من الكتب العلمية لقد تم هدم المرصد بعد انتشار شائعات انه يستخدمه لاغراض اخرى غير الرصد وهو التنجيم وبناء على التقارير المرصودة تم هدم المرصد وهو عمل خاطيء.
ولم يتم هدمه بمبادرة من السلطان او من مقربيه بل بسبب اصرار الشيوخ واخذهم بالتقارير الكثيرة حول التنجيم.
ولقد تم هدم المرصد بسبب تقارير حول التنجيم وليس لانه استخدم في الرصد الفلكي وظل العالم تقي الدين يعمل بعد هدم المرصد ويؤلف الكتب وظل علم الفلك يشتغل فيه العلماء العثمانين حتى نهاية الدولة العثمانية
ويوجد الكثير من علماء الفلك الذين برزوا قبل تقي الدين وبعده
وكان له تلاميذ كثر استمروا بعده في الابحاث العلمية مثل عمر الفارسكوري وغيرهم.
ولقد احتضنت الدولة العثمانية علم الفلك منذ وقت مبكر ويوجد منصب رسمي فلكي خاص بالتقويم ومعرفة اوقات الكسوف والخسوف والاعياد ورمضان وغيرها توجد مراصد صغيرة وكبيرة أنشئت سابقا ولاحقا.

- اعدام بيري ريس:
البحارة بيري ريس لم يعدم لانه يعمل في عالم البحر كما يكذب البعض وانما اعدم لقضايا سياسية وعسكرية تتعلق بالخيانة والرشوة في معركة هرمز ضد البرتغاليين عام 960 وتجاوز عمره حينها 80 عاما.
ولقد قدم بيري ريس كتابه عن البحرية عام 932 الى السلطان سليمان القانوني واعتمد ككتاب مرجعي بين النخب العثمانية فالذي يقول انه اعدم بسبب اشتغاله بالجغرافيا دجال وكاذب لقد كانت الجغرافيا ورسم الخرائط مجال مهم في العصر العثماني وبرز فيه الكثير من العثمانين قبل بيري ريس وبعده.

- هزارفن وحسن لاغاري:
تشاع اكاذيب انهم اعدما وهذا غير صحيح لقد تم الاشادة وتكريمهما من قبل السلطان وتم نفيي هزارفن الى الجزائر ومات هنالك موتة طبيعية ولم يعدم في البحر كما يزعم البعض ولاغاري ذهب بارادته الى القرم وعمل عند خانات القرم.

- اعدام الملا لطفي:
لقد أعدم الملا لطفي بسبب قضايا تتعلق بالردة عن الدين وانكار النبوات والعبادات وحوكم جماعيا وتم اثبات التهم ضده وليس بسبب الاجتهاد كما يكذب البعض
وهو ليس اول شخص يعدم بسبب الردة والزندقة سبقه الكثير والكثير منذ القرن الاول الهجري مرورا بالعصرين العباسي والاموي مثل الحلاج والجعد بن درهم والزنادقة وغيرهم
من أراد الدوران حول هذه القضية عليه ان يكون صادقا مع كل الحالات المشابهة وليس الكيل بمكيالين.

وانا شخصيا وفكريا ارفض هذه المحاكمات رفضا مطلقا وارى بحرية الفكر والتعبير ولكن موقفي الفكري الشخصي شيء ومعالجة التاريخ وتحليله شيء اخر ويتم عبر السياق التاريخي والخلفيات الفكرية والبيئة العامة.
ومن اهم أبجديات البحث العلمي هي الموضوعية.

تاريخ استخدام اللغة التركية في الأناضول

صحيح ان الدولة العثمانية قدمت اهتمام كبير للغة التركية وجعلتها لغة الدولة الرسمية ولكنها لا تشكل البداية الاولى في الاناضول.

حيث يعود اول نقش مكتوب بالتركية في الاناضول تم اكتشافه الى امارة جرميان.

ولقد اهتمت امارة جرميان باستخدام اللغة التركية في مجالات الادب والدين والعلوم وشوون الدولة وغيرها.

ولقد رعت امارة بنو آيدين حركة ترجمة واسعة الى اللغة التركية في الادب والعلوم والتاريخ والدين وغيره.

واصدرت امارة قرمان قرار رسمي بالزامية اللغة التركية، ويقول البعض انه قرار لم يتحقق على ارض الواقع ولكن لا يمكن تجاهل ان بداية ازدهار الشعر التركي الاناضولي قد حدث برعاية وتشجيع من امارة قرمان.

طبعا ربما سوف تظهر اكتشافات اثرية تبين ان قرار امارة قرمان كان حقيقي وجرى تطبيقه على ارض الواقع ولذلك ذكرته كتب التاريخ نظرا لاهميته ضمن سياق تاريخ الاناضول.

ومن المثير للاهتمام ان اقدم مخطوطة مكتوبة بالتركية مكتشفة في الاناضول كانت في عصر سلاجقة الروم وهي مخطوطة في علم الطب وتقدر الدراسات وجودها في اوايل القرن الثالث عشر قبل حدوث التوسعات المغولية.

إذا تبين هذه المعطيات بوجود تجارب وسوابق في استخدام اللغة التركية قبل العصر العثماني.

والصحيح وصف العصر العثماني بالذروة وليس بالبداية.

طبعا تعليقي هو عن سياق التاريخ الإسلامي وليس عن سياق التاريخ التركي العام فيرجى عدم الخلط.

سلطنة المماليك

سلطنة المماليك هي دولة مستقلة كاملة الأركان لها خصائصها وسماتها ورسومها وتقاليدها الخاصة وقامت على انقاض الدولة الايوبية.
ويتفق مؤرخي عصر المماليك على تقسيمها الى فترتين:
الاولى: عصر المماليك البحرية وغالبيتهم الساحقة من الترك القبجاق وقليل منهم من الترك الاوغوز والتتار.
الثاني: عصر المماليك البرجية وهؤلاء اغلبيتهم الساحقة من الشركس وبعضهم من السلاف.
ثانيا: يعتبر السلطان المعز ايبك التركماني هو اول حكام المماليك.
ويعتبر السلطان بيبرس هو المؤسس لدولة المماليك وواضع رسومها وتقاليدها التي استمرت عليها الدولة حتى سقوطها في معركة الريدانية.
ولقد اتفق جميع المؤرّخين القدماء فضلا عن المحدثين بأن دولة المماليك هي دولة تركية في عصر المماليك البحرية بلا خلاف الذي يمثل الذروة في الانتصارات والانجازات وفي عصر المماليك بشكل عام.
ونلاحظ ايضا ان جميع المؤرّخين في عصر المماليك البرجية وصفوها بالدولة التركية وهذا ما نجده مثلا في كتاب المؤرّخ ابن اياس وهو من ابناء البرجية.
حيث كانت اللغة التركية شائعة الاستخدام في العصر المملوكي عند السلاطين وفي مجالس الحكم وحتى يقرضون بها الاشعار وفي الدواوين وعند الترجمان الذي ينقل للسلاطين ولذلك ظهرت عشرات الكتب في اللغة التركية بالعصر المملوكي وكانت التقاليد التركية شائعة في الدولة المملوكية.
يقول المؤرّخ ابن تغري بردي ناقدا بعض المؤرّخين في عصره: " وهو معذور فيما نقله لبعده عن معرفة اللغة التركية ومخالطة الاتراك".
ونجد ذلك كتب كثيرة تحمل عناوين الدولة التركية
مثل "الدرة الزكية في اخبار الدولة التركية".
و"التحفة الملوكية في الدولة التركية".
وغيرها ...
ونجد هذا العنوان في بطون مئات الكتب التاريخية التي ظهرت في عصر المماليك.
في كتاب "نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك"يعقد بابا كاملا عنوانه "دولة المماليك الترك" وكتب تحت العنوان: ثم الترك ودولتهم وذكر دولة الترك وفتوحاتهم.

ومثلا ابن خلدون يقول في مقدمته عن دولة المماليك:" منذ مائتين من السنين في دولة الترك .... وذلك ان امراء الترك في دولتهم ...".
ولقد استمرت دولة المماليك منذ تأسيسها حتى سقوطها كدولة قائمة على الهوية التركية، من حيث الثقافة والتقاليد، وايضا كانت اللغة التركية شائعة الاستخدام في العصر المملوكي، وصدرت عدة كتب خاصة في اللغة التركية.
واستمرت دولة الممماليك على الهوية التركية حتى سقوطها في عام 1517.
وتغير السلالة من البحرية الى البرجية، كانت مجرد تغير في الافراد، وليس تغيير في هوية الدولة.
وأما ما يحتج بعض السطحيين بوجود الخليفة العباسي الرمزي الذي لا يملك من أمر شيئا.
متجاهلا كل الكتب التاريخية القديمة ووضع دولة المماليك كدولة مستقلة قامت على انقاض الايوبية هذا فضلا عن تجاهله المتعمد ان السطان بيبرس هو الذي بحث عن الامير العباسي واتى به ونقله الى مصر واعطاه الخلافة كاسم حتى يستمر وجود الخلافة اسميا للبركة.
هذا فضلا ان الخلافة العباسية ضعفت وانقسمت بعد عصر الخليفة المتوكل بالله وكانوا حتى القصر لا يستطيعون حكمه وظهرت العديد من الدول المستقلة في الشرق والغرب بل خضعت بغداد ذاتها للبويهين والسلاجقة وسعى الخوارزميين للسيطرة عليها وفي اواخر الفترة العباسية قبل اجتياح هولاكو خان كان العباسيون بالكاد يحكمون مساحة صغيرة من العالم الاسلامي في وسط العراق وجنوبه.
وما يشكك به بعض السطحيين في الأصول التركية للسلاطين المماليك البحرية لما ورد في اوصافهم الشكلية وهذا الاستنتاج في منتهى الجهل.
فان الشعوب التركية هي شعوب مختلطة عرقيا فهذا واقعهم الحالي وهذا تاريخهم.
وفي المصادر التاريخية القديمة توجد اوصاف للشعوب التركية بالعيون والشعور الملونة.
وهذا ورد عن شعوب القرغيز والبجناك والقارلوق وغيرهم.
وبما ان اصول اغلب المماليك البحرية من القبجاق فان الكتب التاريخية القديمة وصفتهم بالشعور والعيون الملونة.
وفي الواقع الحالي فان الشعوب التركية تمتلك نسب عالية من الملامح الملونة اكثر من شعوب جنوب اوربا على سبيل المثال.
ويشكك البعض في اصولهم التركية بالقول انه كيف يحدث الاسترقاق ما بين الأتراك.
والرد هو نعم كان يحدث استرقاق ما بين الدول التركية المختلفة وشعوبها وتوجد حولها ادلة كثيرة جدا.
سواء ما بين دولة تركية مسلمة وغير مسلمة او ما بين دول الاتراك غير المسلمة.

كما كان يحدث استرقاق بين العرب قبل الإسلام وفي العصر النبوي الشريف وبعد العصر النبوي الشريف خلال التاريخ الإسلامي حيث نقلت كتب التاريخ ممارسات بعض الفرق الاسلامية التي قاتلت العرب المسلمين على التكفير واستباحت استرقاق مخالفينهم.
فهذا امر اعتيادي وطبيعي في العصور القديمة ما بين الشعوب المختلفة.
فالاسكندر الاكبر المقدوني استرق من شعب اليونان الذين وقفوا ضده.
وأمثلة لا حصر لها ...
وختاما لن يتبقى لهؤلاء السطحيين الا القول إن هؤلاء عبيد ماذا تريدون بهم.
والرد الساحق الماحق عليهم هو ان الانسان يفتخر ويفرح ان يكون بيبرس وقلاوون وقطز وغيرهم يمثلونه:

اولئك آبائي فجئني بمثلهم * اذا جمعتنا يا جرير المجامع

وإن هؤلاء السلاطين يعرفون اصولهم وهويتهم الأصلية ويعتزون بها والهوية هي شعور ذاتي.
يعتبر السلطان العظيم بيبرس من اعظم الحكام في التاريخ الاسلامي، وساهم في تأسيس مرحلة مختلفة لها سمات خاصة.
وتذكر كتب التاريخ المملوكية مثل تاريخ بدر الدين العيني وغيره اسماء القبائل التركية المرتبطة باصول السلاطين المماليك مثل برج أغلى وبيريندي وغيرها.
والشعوب التي حكموها والمحيطة بهم واهل الحل والعقد والعلماءيعرفون اصولهم وتواصلوا معهم من خلالها والمؤرخين جميعهم يعرفون أصولهم وسجلوها في كتب التاريخ.
وهؤلاء السلاطين هم اولا واخيرا بشر مثل باقي البشر وما حدث لهم مجرد امر طارئ لا يوثر عليهم ولقد اثروا في التاريخ الانساني وحققوا منجزات عظيمة فهم ليسوا اشخاص عاديين وصارت لهم عائلات تنتسب إليهم.
اما هؤلاء الذين يهاجمون السلاطين المماليك فهم مغمورين ومجهولين لم ينتفع بهم احد ولم ينفعوا حتى أنفسهم بل اضروا انفسهم بالحسد والعنصرية ومعاداة الشعوب.
والحسد يأكل صاحبه ....

جوهر الهوية

من الخطأ تحديد الهوية بشكل حدي وفق التقسيمات السياسية المعاصرة وتجنب كيف تم الوصف في المصادر القديمة وما سجلوه من تفاعلات وأحداث.
هذا التقسيم السياسي الحدي حسب الدول الحديثة لم يكن له وجود في المصادر القديمة وهو مجرد وهم.
نرى المصادر القديمة المعاصرة لذلك العصر مثل الجويني والهمداني والنسوي وابن الاثير وغيرهم وصفت القبائل المتنوعة التركية والمغولية التي وحدها جنكيز خان كشعب واحد ضمن شعوب الأمة التركية بعيدا عن مسألة النسبة والتناسب.
فهذه القبائل كانت متداخلة بشكل شديد مع بعضها ثقافيا وجغرافيا وتاريخيا وعبر المصاهرات وكانوا يرون انفسهم ضمن هوية واحدة.
وسبق للكاشغري في موسوعته عن ديوان لغات الترك أن أدرج قبائل شعب التتار ضمن مجموع الشعوب التركية وايضا تحدث عن ارض التتار.
يذكر ان الأثير في تاريخه انه عندما توسع جيش التتار المغول في اراضي اللان وحينها حدث تحالف ما بين القفجاق مع اللان ضد التتار فارسل التتر الى القفجاق يذكرونهم بانهم شعب واحد وهذا ايضا عملوه مع الاتراك المسلمين:
"فأرسل التتر إلى قفجاق يقولون: نحن وأنتم جنس واحد، وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم، ولا دينكم مثل دينهم، ونحن نعاهدكم أننا لا نتعرض لكم، ونحمل إليكم من الأموال والثياب ما شئتم، وتتركون بيننا وبينهم".
علما ان جميع المصادر القديمة وصفت القفجاق باوصاف شكلية مختلفة ولكنهم لديهم نفس الانتماء للهوية ونفس الجغرافيا واللغة والثقافة وغير ذلك.
ولاحظوا التتار في شرق السهوب الاوراسية والقفجاق في غرب السهوب الاوراسية لأنها اصلا تعتبر جغرافية واحدة مع تنوع التضاريس ويجمعها هوية مشتركة.
فمفهوم الهوية هو مفهوم قائم على عدة أركان وهو شعور احساس بالانتماء.
وفيما يتعلق بتيمورلنك لقد وصف تيمورلنك نفسه في مذكراته انه تركي وحاكم تركستان ومذكراته طافحة بذلك.
ومثلا ذكر انه ذات مرة وهو في النجف حلم احد السادة بامير المؤمنين علي بن طالب وقال له: "احملوا لوائي الابيض الى الشاب التركي" وهذا شكل له فرحة كبيرة وامر بتخليد الواقعة في السجلات.
ولقد حكى ابن خلدون الحوار الذي جرى بينه وبين تيمورلنك ومما جاء فيه:
"وأما الترك ففي مزاحمتهم لملوك الفرس وانتزاع ملكهم أفراسياب خراسان من أيديهم شاهد بنصابهم من الملك. ولا يساويهم في عصبيتهم أحد من ملوك الأرض من كسرى، أو قيصر، أو

الإسكندر، أو بختنصر، أما كسرى فكبير الفرس ومليكهم، وأين الفرس من الترك، وأما قيصر والإسكندر فملوك الروم، وأين الروم من الترك، وأما بختنصر فكبير أهل بابل،والنبط. وأين هؤلاء من الترك، وهذا برهان ظاهر على ما ادعيته في هذا الملك".

عموما المصادر المعاصرة تضع الامبراطورية المغولية تحت تصنيف التركومغولي من باب الجمع ومراعاة الأحوال المعاصرة.

وحتى تصنف المصادر الحديثة تيمورلنك كشخص تركومغولي.

هنالك الاحظ ان هنالك اخطاء يقع فيها الكثير ممن يتناول هذه المواضيع التاريخية والسبب هو بعدهم عن المصادر التاريخية القديمة ووقوعهم في ذلك التصنيف الحدي الغير موجود.

والا لو اخذنا على سبيل المثال الشعب الهندي جميع المصادر القديمة والمعاصرة وصفتهم كشعب واحد نظرا لتشابه المشتركات الجغرافية والثقافية والدينية وغيرها فجميعهم يسكنون في نفس المنطقة ولديهم نفس الانتماء للهوية.

علما انهم يتحدثون عشرات اللغات المختلفة عن بعضها البنغالي والبنجابي والكشميرية والتاميلية وغيرها من اللغات الدرافيدية والهندوارية.

ولذلك التقسيم الموجود حاليا ما بين دول القارة الهندية هو مجرد تقسيم سياسي حديث وليس له علاقة بالهوية التاريخية.

إخبار الأوطان بحضور الفلسفة درسا وتأليفا في عصر آل عثمان

من المبالغات التي شاعت هو الزعم ان الامام الغزالي قضى على الفلسفة بشكل كامل وهذا الادعاء جرى المبالغة فيه كثيرا.

فما هو المقصود بالفلسفة في هذا الاستنتاج التاريخي ؟

هل المقصود هو المباحث الفلسفية ام الاتجاهات الفلسفية او بعض اجزاء الفلسفة ؟

فاذا كان المقصود بالمباحث الفلسفية فهذا الامر غير صحيح.

واذا كان المقصود به وجود الفلاسفة الخلّص المتخصصين في هذا المجال او اتجاهات فلسفية معينة او بعض أجزاء الفلسفة فهذا الادعاء يحتمل قدرا كبيرا من الصحة.

يتحدث العلامة ابن خلدون عن دراسة المنطق في عصره:

"ثم جاء المتأخرون فغيروا اصطلاح المنطق وألحقوا بالنظر في الكليات الخمس ثمرته وهي الكلام في الحدود والرسوم نقلوها من كتاب البرهان. وحذفوا كتاب المقولات لأن نظر المنطقي فيه بالعرض لا بالذات. وألحقوا في كتاب العبارة الكلام في العكس. وإن كان من كتاب الجدل في كتب المتقدمين لكنه من توابع الكلام في القضايا ببعض الوجوه ثم تكلموا في القياس من حيث إنتاجه للمطالب على العموم لا بحسب مادة ... وجاء المتأخرون من بعدهم من لدن الغزالي والإمام ابن الخطيب، فسامحوا في ذلك بعض الشيء. وأكب الناس على انتحاله من يومئذ إلا قليلا".

ويتحدث ابن خلدون عن مرحلة المتكلمين المتأخرين:

"ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة لاشتراكهما في المباحث، وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الإلهيات ومسائله بمسائلها فصارت كأنها فن واحد ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والإلهيات وخلطوهما فنا واحدا قدموا الكلام في الأمور العامة ثم أتبعوه بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها إلى آخر العلم كما فعله الإمام ابن الخطيب في المباحث المشرقية وجميع من بعده من علماء الكلام".

وايضا كان للفلسفة حضور في المباحث الصوفية فيما يعرف بالتصوف الفلسفي او الفلسفة العرفانية ويوجد لها نظار ومؤلفين ومدارس.

ولقد توطنت الفلسفة في بلاد الاناضول منذ عصر السلاجقة وسلاجقة الروم حيث قام السلاطين السلاجقة برعاية طلابها ودعمهم باتجاهاتهم المختلفة.

ويخبر المؤرخ ابن الاثير بالتوجهات الفكرية العامة لسلاطين سلاجقة الروم ومنهم ركن الدين بن قلج أرسلان:

" كان يقال إنه يعتقد أن مذهبه مذهب الفلاسفة، وكان كل من يرمى بهذا المذهب يأوي إليه، ولهذه الطائفة منه إحسان كثير، إلا أنه كان عاقلا يحب ستر هذا المذهب لئلا ينفر الناس عنه".

ولاحقا خلال العصر العثماني العظيم توسع ذلك وازداد الاهتمام به.
وفي صدر الدولة العثمانية قام الشيخ الحنفي داوود القيصري بتأسيس اولى المدارس العثمانية في عهد السلطان اورخان ولقد تضمنت مؤلفاته مباحث فلسفية عميقة.
وكما اسلفت كانت المباحث الفلسفية تتقاطع مع بعض العلوم.
ولقد كان الفكر العثماني مزيج من الفقه والفلسفة والكلام والتصوف.
وطلب السلطان العظيم الفاتح من الملا عبدالرحمن جامي ان يؤلف كتابا يجمع ما بين اراء الفلاسفة والمتكلمين والصوفيين.
لقد كانت الفلسفة ضمن العلوم في التقاليد العثمانية الفكرية وتم تدريس مجموعة من الاعمال الفلسفية في المدارس العثمانية مثل:
تهذيب المنطق والكلام للتفتازاني وهداية الحكمة للابهري وحكمة العين للكاتبي القزويني وغيرها.
وهذه الكتب كان يتم شرحها وكتابة الحواشي الكثيرة عليها.
وبرز في العصر العثماني العظيم الكثير من الاعلام الذين صنفوا في المباحث الفلسفية.

دولة سلاجقة الروم

لقد تأسست هذه السلطنة في فترة مبكرة من التاريخ السلجوقي وبأمر من السلطان الأعظم ملكشاه وأعطي لها حكم ذاتي وكانت تابعة للسلطنة العظمى حتى عام 1153.

لقد أراد السلاجقة العظام من تاسيس هذه السلطنة المستقلة لأمرين:

1- تخصيص فرع سلجوقي بعد معركة ملاذكرد لاستكمال فتوحات اسيا الصغرى وأخذ القسطنطينية ويكون حائط ضد امام وجه المدفع.

2- تتفرغ سلطنة السلاجقة العظام في مركزها بايران المعاصرة للبناء والتعمير. لقد كان سلاطين سلاجقة الروم في حالة جهاد دائم ضد البيزنطيين اولا ثم ضد البيزنطيين والصليبيين ثانيا. لانهم ببساطة لم يكونوا في أقصى الغرب الأوربي او في أقصى الشمال الأوربي. بل كانوا في قلب اسيا الصغرى امام وجه المدفع لأقوى دولة أوربية وهي الرومانية البيزنطية ثم امام حلفائهم الصليبيين.

ومن يقرا تاريخهم سيرى ان بعضهم مات مقتولا في المعارك وبعضهم مات مرهقا بعد العودة من المعارك. وايضا لم تكن سلطنة سلاجقة الروم معزولة عن العالم الاسلامي بل كانت في حالة اتصال دائم دينيا وسياسيا وجهاديا. ويعود اليهم الفضل بتحويل الاناضول الى منطقة تركية إسلامية.

لقد مرت سلطنة سلاجقة الروم بثلاثة مراحل:

اولا: مرحلة التأسيس والدفاع: تبدأ هذه المرحلة من عام 1077 الى عام 1155. وتنقسم الى مرحلتين:

أ- مرحلة الاندفاع الكاسح: وتبدأ من معركة ملاذكرد المصيرية عام 1071 مرورا بتأسيس السلطنة المستقلة عام 1077 الى عام 1097. وتمكن سلاجقة الروم في هذه المرحلة من السيطرة على كل اسيا الصغرى ووصلوا الى البسفور وبحر مرمرة واتخذوا من نيقية عاصمة لهم. وكان يهدف السلطان سليمان قتلمش الى توسيع حدود السلطنة وضم الجزيرة الفراتية وتمكن من فتح أنطاكية ومات في معركة الموصل.

ب- مرحلة الدفاع: في عام 1097 وصلت الجيوش الصليبية النظامية بطلب من البيزنطيين وأخذوا نيقية وغرب الاناضول. وعاد سلطان سلاجقة الروم قلج ارسلان الاول الى وسط الاناضول وكانوا في موقع الدفاع ضد الصليبين والبيزنطيين. ولقد أعلن البيزنطيون منذ اليوم الاول ان هدفهم الأساسي هو طرد الاتراك والمسلمين من الاناضول وإعادتها كمركز سياسي للإمبراطورية البيزنطية. وتمكن السلطان مسعود الاول من هزيمة جيش كونراد الثالث في معركة ضورليم. ومنذ هذه المرحلة برزت مدينة قونية كعاصمة دائمة للسلاجقة. وفي هذه المرحلة كانت الإمارات التركية مثل الدانشمند اما في حالة صلح واتحاد مع السلاجقة ضد الأعداء او في حالة سجال ومحاولة التوسع على حساب الآخر. وحدث في المرحلة هجرات القبائل التركمانية الضخمة

الى الاناضول، واضحت المناطق الشمالية والشرقية شبه خالية من السكان وهاجر معظم الارمن من شرق الاناضول الى منطقة قيليقية وأسسوا فيها مملكة. وفي هذه المرحلة أعيد تشكيل مدن الاناضول بحيث أصبحت مدن إسلامية مثل سيواس وارضروم وارزينجان وغيرها.

ثانيا: مرحلة القوة والازدهار: وتبدا من عام 1155 الى عام 1243. من عهد السلطان قلج ارسلان الثاني الى عهد السلطان كيخسرو الثاني.
ولقد تميزت هذه المرحلة بالقوة والازدهار وتبني حكامها لقب السلطان بحيث أعلنت استقلالها الكامل كسلطنة بعد وفاة السلطان السلجوقي الأعظم سنجر، وتمكن السلاطين من السيطرة على اغلب الاناضول وضم الإمارات التركية المجاورة لهم مثل دانشمند وسلدق وتوسعت حدود سلطنتهم الى الجزيرة الفراتية والقرم. وحدثت نهضة حضارية وعمرانية حيث تم بناء المدارس والمشافي والجوامع وبنيت مدن جديدة مثل اق سراي وعلائية وغيرها. ووفد اليها مجموعات من العلماء والفلاسفة والمتصوفة والشيوخ. وفرضت نفسها كأكبر قوة في الشرق الأوسط.

لقد ذكرت كتب التاريخ ان الملك بربروسا قائد الحملة الصليبية الثالثة انهم استولوا على قونية. وهذا صحيح من جهة وغير صحيح من جهة اخرى. صحيح انهم استولوا عليها لخمسة ايام فقط ثم تركوها وانطلقوا الى فلسطين هدفهم الرئيسي. ومن جهة اخرى خرج السلطان قلج ارسلان منتصرا من معركة ميريركيفالون الكبيرة وعندما رأى ضخامة الجيش الصليبي ادرك انه سيكون دخول في معركة غير محمودة العواقب، فضل السلطان مضايقة الجيش الصليبي من الأطراف دون الدخول في معركة مباشرة. ولقد حدثت في هذه المرحلة حادثة غريبة وهو ان السلطان قلج ارسلان حكم طويلا لعدة عقود وفي اواخر عمره اصابه مرض شديد ففكر بتقسيم السلطة وتوزيع المدن بين ابنائه حتى يساعدوه في الحكم ومضت السنوات الاولى بسلام ثم حدث الانقسام والانشقاق وأعاد السلطان من جديد توحيد ابنائه وبايع أصغرهم كيخسرو الاول. من حسن الحظ ان الابناء ادركوا ان الصراع سيضعف السلطنة ويرغب الأعداء لذلك تمكن السلطان ركن الدين سليمان الثاني من توحيدها سريعا.

المرحلة الثالثة: مرحلة الضعف والتبعية: وتمتد هذه المرحلة من معركة كوسي داغ عام 1243 الى عام 1304 سقوط السلطنة. بعد معركة كوسي داغ وهزيمة السلاجقة سيطرت الامبراطورية المغولية على الاناضول وكانت السلطنة على وشك السقوط حتى ذهب الوزير مهذب الدين ومعه القاضي الى بايجو نويان والتقوا بجرماغون حاكم ايران وتم عقد الصلح واتفقا معه على استمرار السلطنة مقابل شروط معينة. كان السلاطين في هذه المرحلة ضعفاء وظهر ما يعرف بالحكم المشترك. وكان للحكام المغول سطوتهم وتحكمهم بشؤون الاناضول وأعادوا تنظيمها اداريا وفق نظامهم العام.

ورغم الضعف والانقسام استمرت الأعمال الحضارية ويشهد بذلك الأعمال العمرانية الكثيرة في هذه المرحلة على الطراز السلجوقي واستمرت هجرات العلماء والمتصوفة والقبائل الى الاناضول لما تحظى به من استقرار وازدهار نسبي. بعد سقوط سلطنة سلاجقة الروم تقسمت الاناضول الى عدة إمارات تركمانية وتأسست السلطنة العثمانية.

ومن الأمور المثيرة للاهتمام حول سلطنة سلاجقة والتي دأبت كتب التاريخ الإسلامي على تداولها وهي ميلهم الى الفلسفة ودعم الفلاسفة والعلماء، جيث يذكر المؤرخ ابن الاثير في كتابه "الكامل في التاريخ" عن مؤسس فرع سلاجقة الروم سليمان بن قتلمش والتقليد الذي ارساه واستمر مع احفاده في بلاد الروم، وذلك في الميل نحو الفلسفة وعلوم الأوائل وتقريب اصحابها وتوفير الحماية لهم، قائلا: "ومن العجب أن قتلمش هذا كان يعلم علم النجوم، قد أتقنه، مع أنه تركي، ويعلم غيره من علوم القوم، ثم إن أولاده من بعده لم يزالوا يطلبون هذه العلوم الأولية، ويقربون أهلها، فنالهم بهذا غضاضة في دينهم، وسيرد من أخبارهم ما يعلم (منه ذلك) وغيره من أحوالهم".

مملكة قرغيز ينيسي

لم يكن شعب ينيسي القرغيزي بدوًا خلّص، بل كانوا على الأرجح شبه بدو كما تدل على ذلك المصادر التاريخية القديمة والدراسات المعاصرة.
حيث ذكرت السجلات الصينية أن القرغيزيين مارسوا الزراعة، وقد ثبت ذلك في علم الآثار، حيث اكتشف علماء الآثار أدوات زراعية ومحاصيل زراعية في عهد ينيسي القرغيزي.
وذكر كتاب "حدود العالم" وجود مدينة في أرض القرغيز يقيم فيها الخاقان، ويتاجرون في مواد المسك والوبر والخشب والسفن.
وتم اكتشاف العديد من النقوش الرونية القرغيزية.

وذكر المؤرخ الحمداني في كتاب "تاريخ المغول" أن أرض القرغيز زراعية وفيها بعض المدن.

ولقد اكتشف علماء الآثار مدينة قديمة في منطقة نهر ينيسي تعود إلى عصر إمبراطورية شيونغنو، وتضم قصرًا كبيرًا.

في الواقع، يكتنف الغموض تاريخ مملكة قيرغيزستان-ينيسي، لا سيما وأن الدراسات الأثرية لا تزال متأخرة في أراضي منغوليا وجنوب سيبيريا.

يُرجّح أنها كانت مملكة محلية ضمن أراضي نهر ينيسي في جنوب سيبيريا، أو ربما اكتفت بسهوب منغوليا مع جنوب سيبيريا، ثم مع توسع مملكة خيتان لياو، تراجع نفوذها إلى حدود أراضي نهر ينيسي.

يبدو أن الهجرة الكبرى للشعب القيرغيزي من جنوب سيبيريا إلى قيرغيزستان الحالية قد حدثت في أواخر العصور الوسطى أو أوائل العصر الحديث.

معركة تالاس واعتناق الاسلام

معركة تالاس عبارة عن معركة حدود صغيرة ولم تعمل اي تاثير على موازين القوى في اسيا الوسطى.
ولقد استمرت امبراطورية تانغ مسيطرة على حدودها الغربية في اسيا الوسطى.
توجد مغالطات تاريخية يتم اثارتها من الجماعات الايدولوجية:
اولا: كانت امبراطورية تانغ تحظى بسمعة ايجابية بين الشعوب التركية.
ويعتبر المؤرخين عصر امبراطورية تانغ هو عصر ذهبي شهد تفاعلات ايجابية كثيرة بين الصين والسهوب وترجح العديد من المصادر القديمة والحديثة ان سلالة تانغ تنحدر من اصل سهوبي.
وكان يوجد لامبراطورية تانغ جيش تركي ورجال دولة من اصل تركي وغيرها.
ثانيا: الذي اضعف سيطرة امبراطورية تانغ هو حدوث ثورة آن لوشان والتي استمرت سنوات طويلة.
هل تعلمون ان خاقانية اليوغور قدمت مساعدات كثيرة الى امبراطورية تانغ.
وحدثت علاقات زواج ملكية متبادلة
ثالثا: عندما حدثت معركة تالاس الصغيرة.
كان يوجد للاتراك عدة ممالك في اوراسيا ومنها:
خاقانية اليوغور في الشرق
ومملكة الخزر ومملكة البلغار في اوربا
ومملكة ترك شاهي في جنوب اسيا
وغيرها ...
وانما يتعلق الوضع ببعض الشعوب التركية في اسيا الوسطى.
رابعا: لم ينتج عن معركة تالاس الصغيرة اي تاثير ديني على الشعوب التركية.
استمرت اغلب الشعوب التركية غير مسلمة.
واعتنق الاتراك اديان اخرى مع التنغرية مثل البوذية والمانوية واليهودية وغيرها.
ذكرت كتب التاريخ والجغرافيا الاسلامية، ان الاراضي التركية هي اراضي مستقلة وغير مسلمة مثل الاوغوز والقارلوق وجكل واليغما وغيرها.
اول دولة تركية مسلمة هي الدولة القاراخانية في القرن التاسع الميلادي.
والدولة السامانية هي اول دولة سيطرت على بعض الاراضي التركية في اسيا الوسطى مثل طراز وفاراب وغيرها.

ابن تيمية والأتراك

هذا موضوع له علاقة بابن تيمية وذو بعد تاريخي مختلف.
وسوف اتناول مسألة تاريخية أثيرت كثيرا في السنوات السابقة تتعلق بتاريخ الشعوب التركية بشكل عام.
يعتبر ابن تيمية من الاعلام البارزين في التراث الاسلامي ولا يزال تأثيره مستمر الى وقتنا الحاضر، وهو شخصية جدلية يدور حولها جدل كبير ما بين ناقد وناقم ومحب له.
في السنوات الماضية اثناء تصفحي لأشهر كتب ابن تيمية وقعت على أمور تاريخية بالمصادفة وحتى قادني ذلك الى محاولة تقديم مقال يحمل صورة شاملة مبسطة عن هذا الموضوع.
لقد عاصر ابن تيمية الاجتياح التتري المغولي للعالم ومن ضمنها العالم الاسلامي، والتتار هم من الشعوب التركية وقد ذكرهم الكاشغري في موسوعته واستشهد بلغتهم وغير ذلك.
وذكر كتاب حدود العالم ان التتار هم فرع من التغزغز وغير ذلك من الأدلة القطعية والشواهد الكثيرة.
وهذا نص من بين نصوصه الكثيرة حول تلك الاحداث التي عاصرها: "وكان هذا الطوسي من أعوان الملاحدة الذين بالألموت، ثم صار من أعوان المشركين الترك، لما استولوا على البلاد".
ولكن ابن تيمية كان اكثر إنصافا حيث نظر لذلك الموضوع نظرة موضوعية وحفظ للاتراك تاريخهم وجهودهم في التاريخ الاسلامي.
وسوف اتناول بعض النقاط:
اولا: يدعي البعض ان قتيبة الباهلي ادخل جميع الاتراك بسيفه الى الإسلام وهذا كذب قبيح وتزوير بشع للتاريخ.
يدرك ذلك كل من اطلع على ابسط ابجديات التاريخ الاسلامي وما جاء في كتب التاريخ الكبيرة المرجعية كالطبري وابن الأثير والمسعودي وغيرهم.
لقد قتيبة استولى الباهلي على جزء من اسيا الوسطى في الجنوب الغربي باراضي بلاد ما وراء النهر وكانت اغلب اسيا الوسطى خارج السيطرة.
و بلاد ما وراء النهر هي جزء من تركستان وتوجد اقاليم اخرى كثيرة من تركستان في حوض تاريم والسهوب وسيبريا والفولغا وغيرها.
وهذه الاقاليم جمعها الكاشغري في خريطته حول تركستان الكبرى.
ولقد استمرت المعارك بين الممالك التركية والخلافة الى العصر العباسي الثاني.
وحدثت في عصر الخليفة هشام بن عبدالملك عدة معارك مع التوركش وتلقى الجيش الاموي فيها عدة هزائم وهذا شجع الحارث بن سريح على الالتحاق بالترك والتحالف معهم.
وارسل الخليفة هشام بن عبدالملك الذي يعتبر اخر الخلفاء الاقوياء ومن بعده سقطت الدولة الأموية رسالة الى خاقان التوركش حيث يطلب منه الدخول إلى الإسلام ورفض الخاقان طلبه.

ولقد انتشر الاسلام بشكل كبير بين الاتراك في القرن الرابع الهجري وتعتبر القاراخانية اول دولة تركية مسلمة وجرت مقدمات هذا الدخول التركي في العصر الساماني.
هنا ماذا يقول ابن تيمية عن ذلك:
ابن تيمية يعتبر الاتراك من الشعوب التي دخلت لاحقا في الاسلام حيث يقول: "وكل من دعي - أو أسلم- بعد هؤلاء، كالترك، والديلم، والبرير، والحبشة، وغيرهم ...".
ثانيا: هاجم البعض التاريخ التركي العام وحاول ان ينفي عنهم كل معاني الإنسانية والحضارات.
وليت شعري ماذا نسمي الحضارات العثمانية او السلجوقية او المملوكية او البابورية او التيمورية وغيرها.
وماذا نسمي ما تم اكتشافه علميا من حضارات في اراضي الفولجا وحوض تاريم والسهوب وغيرها.
ابن تيمية تحدث في فتاويه عن حكماء الترك حيث يقول: "وغيرهم ممن كان من حكماء الهند والترك وله علم أو زهد وعبادة في دينه وليس مؤمنا بجميع ما جاء به فهو كافر عدو لله وإن ظن طائفة أنه ولي لله كما كان حكماء الفرس من المجوس كفارا مجوسا".
ثالثا: قام البعض بتشويه الدور التركي في التاريخ الاسلامي ولم تحفظ لهم إيجابية واحدة.
ماذا يقول ابن تيمية: "وأظن مبدأ انتشار ذلك في " دولة السلاجقة ". فأول ما بنيت المدارس والرباطات للمساكين ووقفت عليها وقوف تجري على أهلها في وزارة " نظام الملك ".
وقال ايضا: "حتى جاء الترك " السلاجقة " الذين كانوا ملوك المسلمين فهزموهم وطردوهم إلى مصر وكان من أواخرهم " الشهيد نور الدين محمود " الذي فتح أكثر الشام واستنقذه من أيدي النصارى؛ ثم بعث عسكره إلى مصر لما استنجدوه على الإفرنج وتكرر دخول العسكر إليها مع صلاح الدين الذي فتح مصر؛ فأزال عنها دعوة العبيديين من القرامطة الباطنية وأظهر فيها شرائع الإسلام حتى سكنها من حينئذ من أظهر بها دين الإسلام".
رابعا: هاجم البعض الشعوب التركية بشكل عنصري.
بينما ابن تيمية له فتوى مشهورة في فرض الحجاب على الاماء التركيات خلافا للاجماع القائم بان الحجاب ممنوع على الاماء وفي ذلك يقول: "فلو أراد الرجل أن يترك الإماء التركيات الحسان يمشين بين الناس في مثل هذه البلاد والأوقات كما كان أولئك الإماء يمشين كان هذا من باب الفساد".
خامسا: كان لابن تيمية بعض التلاميذ ذوي الأصول التركية مثل المؤرخ الذهبي وغيره وعموما لا يوجد في العلوم والفكر جنسية معينة فضلا ان الدين هو عالمي لكل البشر.

جبال آلتاي

تحظى جبال التاي بقدسية خاصة لدى الاتراك القدماء وهي موجودة في الأساطير والملاحم التركية.
يحاول البعض نفي صلة الشعوب التركية بجبال التاي وبينما الثقافات القديمة المكتشفة في التاي مثل ثقافة بايزريك، جميع عناصرها موجودة بشكل كامل في الثقافات التركية، وتفند مزاعمهم.
وهؤلاء لا يمتلكون اي دليل سواء كان دليل لغوي او دليل ثقافي يدعم آرائهم العنصرية.

وايضا جبال التاي موجودة في السجلات الصينية القديمة من حيث حضورها في تواريخ امبراطورية شيونغو واتحاد تيلي وغوكتورك وغيرها.
جغرافيا جبال التاي تغطي مساحات جغرافية واسعة في السهوب وسيبريا واسيا الوسطى، حيث تندمج الكتلة الصخرية مع جبال سايان في الشمال الشرقي ، وتندمج في الهضبة العالية لصحراء جوبي بالجنوب الشرقي.

مغالطات مختلفة حول الدولة العثمانية

سوف أتناول في هذا التعليق بعض المغالطات عن الدولة العثمانية والتي تطلق هكذا بشكل عام وبدون دراسة لتفاصيلها:

1- مغالطة وصف الدولة العثمانية بأنها دولة عسكرية:
وهذا خطأ شديد الدولة العثمانية لم تكن دولة عسكرية وفق كل المعايير.
بل هي دولة ملكية حيث تقوم شرعيتها على وراثة الحكم.
وكان السلطان يستلم الحكم اذا حظي بالشرعية والقبول من الاسرة ورجال الدولة وشيخ الإسلام والعسكر وغيرهم من الاعيان.
وكان الامير العثماني منذ طفولته يخضع لمعايير صارمة في التعليم واتباع التقاليد ويتم ارساله الى مناطق معينة ليحكمها وغير ذلك.
ولا أعلم ماذا يقصدون بالعسكرية
هل يقصدون بذلك انها تقوم بالفتوحات والتوسعات.
اذا يجب اطلاق هذا المصطلح على الخلافة الراشدة والاموية لأنها قامت بالتوسعات.
وقبلها الدول الرومانية والمقدونية وغيرها
وايضا حتى على العباسية في عصرهم الاول قبل انحدارهم كانوا يقومون بالغزوات الصيفية والشتوية حتى قالوا عن الرشيد انه يغزو كل عامين.
حتى هذا المصطلح لا يطلق على الامبراطورية المغولية التترية من الناحية العلمية.
يمكن اطلاق مصطلح الدولة العسكرية على دولة المماليك لأن منظمة المماليك كانت عسكرية في الأصل وسلطانها يحظى بالحكم اذا استطاع كسب موافقتهم.
وايضا يمكن استخدام هذا المصطلح على بعض الدول المعاصرة.
وعموما التصنيف العام للدول لا يتضمن وصف العسكرية وهي خمسة اقسام تقريبا وهي: الديمقراطية والملكية والأوليغارشية والارستقراطية والطغيانية.

2- مغالطة وصف الدولة العثمانية انها غير مهتمة بالعلم والفكر:
وهذه المغالطة مبنية على المغالطة السابقة.
ولقد قمت بتفنيد ذلك في مقطع "علماء الدولة العثمانية" حيث بينت ان الدولة العثمانية اهتمت بالتعليم وبناء المدارس وعمل الترجمات بما يغني عن الاعادة.
واغلبية السلاطين بل جميعهم تلقوا تعليم على مستوى عالي ومعظمهم كان له انتاج ادبي واهتمام بالخط والزخرفة وغير ذلك.
اما تقييم المستوى الفكري والعلمي في العصر العثماني المجيد فهذا امر اخر.

المهم ان المغالطة الشائعة بعدم وجود اهتمام علمي وفكري لدى الدولة العثمانية ساقطة علميا وليس لها قبول ابدا.

3- مغالطة اللغات:

معروف تاريخيا بأن الدولة العثمانية اعتمدت ثلاثة لغات وهي التركية والعربية والفارسية.

فالتركية هي لغتهم الام وكانت هي الاولى في الاستخدام وايضا تم استخدامها في الانتاج العلمي والفكري والادبي.

وايضا تم استخدام اللغة العربية في بعض المجالات الرسمية والتعليمية والتاليفية وغيرها.

هذا فضلا ان العبادات وخطب الجمعة والاعياد وقراءة القران والشعائر الدينية كانت تجرى بالعربية.

وايضا تم استخدام اللغة الفارسية في بعض المجالات السابقة.

ولقد كانت الثقافة التركية بشكل عام متسامحة بشكل كبير مع اللغات والثقافات المختلفة واستمر ذلك مع السلاطين العثمانيين، حيث أن اقدم النقوش التركية المكتشفة حتى هذه اللحظة مكتوبة بعدة لغات، ولقد كتب السلطان سليم الاول اشعاره بالفارسية.

وابرز الاعلام العثمانيين من قلب الدولة العثمانية كتبوا مؤلفاتهم باللغات الثلاثة.

ولشيخ الاسلام ابن كمال باشا كتاب لغوي اطلعت عليه يرى فيه اللغة العربية اولا ثم الفارسية ثانيا ثم التركية ثالثا.

على الرغم انه من الناحية العلمية يعتبر هذا الترتيب غير صحيح وكل لغة هي لا تختلف عن اللغات الاخرى.

ولست ادري ما هي مشكلة هؤلاء العنصريين مع لغات الشعوب الاخرى.

هل يريدون طمس لغات جميع الشعوب والابقاء على اللغة العربية فقط ولهجتهم العربية على الارجح فهذا يخلق مشاكل خطيرة.

4- مغالطة سرقة السلطان سليم بعض الحرفيين من القاهرة:

وللأسف بعضهم بنى على ذلك استنتاج باطل مفاده ان هؤلاء الحرفيين هم من عملوا للدولة العثمانية كل شيء.

وهذا قمت بتنفيذه في احد المقاطع بالقناة عن السلطان سليم وبيان ان العمارة العثمانية تختلف بشكل كبير عن العمارة المملوكية.

وما حدث كان هو مجرد نقل لبعض الحرفيين لغرض تبادل الخبرات فقط ومن ثم عادوا وذكر ابن اياس انه استخدمهم لبناء مدرسة ومن ثم عادوا الى مصر وهذا التبادل هو امر اعتيادي يجري في الماضي والحاضر.

ومن الناحية التاريخية كان يوجد للدولة العثمانية جيش من الحرفيين والمعماريين ويوجد لديها منصب خاص بالعمارة.

وبعد فتح القسطنطينية قام السلطان الفاتح بعملية اعادة بناء كبرى للمدينة وعمل احياء جديدة وجوامع وقصور واسواق وغير ذلك.

واستمر ذلك في عصر بايزيد الثاني في الجوامع والمدارس والمنشات الكثيرة التي امر ببنائها.

وفي عصر السلطان سليمان القانوني حدثت عملية تعمير ثانية باشراف المعماري سنان باشا.

واستمر ذلك في كل الاقاليم العثمانية حتى سقوط الدولة العثمانية.

الطريقة اليسوية

لقد ولد الصوفي الشهير خوجه أحمد يسوي في تركستان في مدينة صيرام او اسبيجاب في عام 1093م ويصادف عام ميلاده ذروة الامبراطورية السلجوقية في العالم الاسلامي وذروة الدولة القاراخانية في اسيا الوسطى.

تلقى العلم والتصوف من شيوخه بابا ارسلان وابو يعقوب يوسف الهمداني.

قام بتأسيس طريقته الصوفية في تركستان مع تلامذته واتباعه الاتراك وامتزجت طريقته بالهوية التركية الخالصة وتم تدوين اشعاره وتعاليمه باللغة التركية وحظيت طريقته بالتعظيم والاجلال في تركستان وما بين الشعوب التركية المسلمة.

حتى قام فاتح العالم الامير تيمورلنك ببناء ضريح ضخم على مزاره حيث يعتبر اكبر قبة في اسيا الوسطى والحقه مع مدارس وأوقاف ومدينة وهذا ينسجم مع الطموح العالي الذي اشتهر به تيمورلنك.

ونظرا لاتساع الامبراطوريات والممالك التركية هذا ادى لاتساع وانتشار الطريقة اليسوية في اسيا الوسطى والاناضول وايران واوربا وجنوب اسيا وغيرها بحيث انبثقت منها طرق صوفية جديدة وتاثرت بها طرق صوفية اخرى ولعل من ابرز الطرق الصوفية الجديدة والتي تعتبر امتداد لليسوية هي الطريقة النقشنبدية.

الزعيم أتاتورك

كما يقال بضدها تتمايز الأشياء ...

الزعيم اتاتورك من الزعماء العظماء في التاريخ شاء من شاء وابى من ابى.

ومن الأشياء التي جعلتني اعيد النظر في التقييم حول الزعيم هو مقارنة تاريخه مع الأوضاع في الشرق الاوسط وانطلقت من ذلك لعمل قراءة محايدة وموضوعية حول هذا الزعيم وترك الخرافات المنتشرة حوله.

- اتاتورك لم يحول تركيا الى مزرعة لعائلته وعشيرته.
- اتاتورك عمل اصلاحات كبيرة في كل المجالات سابقة لعصرها.
- اتاتورك اطلق عدة مشاريع تنموية كبرى.
- اتاتورك اسس الجمهورية وسعى لوضع مبادئ المساواة والمواطنة بين جميع افراد الشعب بشتى اديانهم وطوائفهم واجناسهم واصولهم.
- اتاتورك حافظ على بناء علاقات سلمية مع العالم ولم يتورط في مغامرات خارجية.

على الرغم انه عسكري مخضرم واستاذ في الكلية العسكرية وله مؤلفات في العلوم العسكرية.

وان خلفيته العسكرية وتجاربه السابقة هي التي جعلته يدرك اهمية السلم والأمان.

- اتاتورك هو الذي حرر تركيا الاناضولية من الاستعمار وقاد حركة تحرر وطنية.

ان الزعيم اتاتورك هو مضرب في الاخلاص الوطني والفناء في خدمة الوطن.

اما الانتقادات التي توجه اليه هي عبارة عن انتقادات سطحية، ومنها:

- الغاء الدولة العثمانية وهذا امر مضحك

الدولة العثمانية اصلا سقطت وانتهى امرها ولكل دولة بداية ونهاية.

هذا مثل من يقول ان معلم رسب طالب مهمل ويرسب في كل سنواته السابقة.

علما ان اتاتورك لم يبطش بالاسرة العثمانية ولم يتخذ ضدهم اجراءات دموية ولم يدمر اثارهم وقصورهم بل حافظ عليها وحولها الى متاحف للدولة.

- تغيير الابجدية وهذا امر يتعلق باللغة وليس له علاقة بالدين مطلقا.

وهذه يحسبها الخبراء من اصلاحات اتاتورك الكثيرة.

حيث ان اللغة التركية كتبت خلال تاريخها بعدة ابجديات واحتاجت الى ابجدية جديدة لحل بعض المشكلات اللغوية الموجودة.

- استخدام اللغة التركية في أداء العبادات.

توجد اراء لبعض المذاهب اجازت استخدام اللغات الاخرى في العبادات.

وقال ابن قدامة رحمه الله: " ولا تجزئه القراءة بغير العربية، ولا إبدال لفظها بلفظ عربي، سواء أحسن قراءتها بالعربية أو لم يحسن. وبه قال الشافعي، وأبو يوسف، ومحمد.

وقال أبو حنيفة: يجوز ذلك".
علما ان الاتراك ترجموا القرآن الى لغتهم التركية منذ عصر مبكر في العصر القاراخاني وتوجد ترجمات تركية قديمة متنوعة الى العصر العثماني.
وبالنسبة لانتقاد الزعيم اتاتورك
هل تعلمون ان مظاهر التعظيم للزعيم اتاتورك حدثت بعد وفاته في الخمسينات ولولا ان له قبول شعبي واسع ما استمرت هذه المظاهر.

ختاما اقول لمناوئي اتاتورك:
لولا الجمهورية التي أسسها اتاتورك لكنتم الان على اكثر تقدير تعملون وزراء عند السلطان.
وانني احترم التاريخ العثماني والحضارة العثمانية ولكن عدم مراعاة السياق التاريخي واختلاف الاحوال والظروف وعدم التعامل مع التاريخ العثماني بانه تراث وتاريخ مضى وانتهى ويبقى تاريخها للعظة والعبرة فهذا يخلق مشكلات كبيرة ومعقدة.
ان كل من تواريخ العثمانية والجمهورية يجب ان اعتبارها جزء رئيسي في التاريخ التركي.
والجمهورية هي امتداد للعثمانية كما ان العثمانية هي امتداد للسلاجقة والسلاجقة هم امتداد للقاراخانية والقاراخية هم امتداد لخاقانية اليوغور.
وهلم جرا .....

الدولة العثمانية ما بين نمطي الدولة القديمة والدولة الحديثة

لقد تأسست الدولة العثمانية في عام 1299 ميلادي وفق سياقات العصور القديمة والوسطى.
حيث تقوم الدولة القديمة على اللامركزية الكبيرة وتهتم بشكل اكبر على حفظ الأمن والثغور ونحو ذلك هذا فضلا عن اجواء العصور القديمة والوسطى.
ونرى في كتاب الاحكام السلطانية للإمام الماوردي الشافع يعدد مهمات الخليفة والحاكم، وحيث يقول:

فصل: مهام الخليفة ومسئولياته:

والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء:

أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقرة .... .

الثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين ... .

الثالث: حماية البيضة والذب عن الحريم ... .

والرابع: إقامة الحدود ... .

والخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة ... .

والسادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة .... .

والسابع: جباية الفيء والصدقات ... .

والثامن: تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال .... .

التاسع: استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء ... .

العاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال ... .

وابن الطقطقي في كتابه الجميل الجامع ما بين التاريخ والسياسة والاحكام الشرعية "الفخري في الاداب السلطانية" يعدد مهمات الحاكم وهو قريب مما ذكره الماوردي وهي:
"وأما الحقوق الواجبة للرعية على الملك فمنها: حماية البيضة وسد الثغور وتحصين الأطراف وأمن السوابل وقمع الدعار
ومن الحقوق الواجبة للرعية على الملك: الرفق بهم، والصبر على صادرات هفواتهم.
ومما يجب للرعية على الملك: ردع قويهم عن ضعيفهم، وإنصاف ذليلهم من عزيزهم وإقامة الحدود فيهم، وإقرار حقوقهم مقارها، وإغاثة ملهوفهم، وإجابة مستصرخهم، والتسوية في حكمه بين الأبعد منهم والأقرب، والأذل والأعز".
طبعا هذا لا يعني ان الحاكم ليس من عمله الاعتناء بالعمارة والتشييد ولكنه حسب النصوص التي ذكرتها لا يعتبرونها من الاساسيات، وتقريبا كل حاكم عبر التاريخ سعى ان يترك ورائه اثر يرتبط به ومن ابرزها بناء الاهرامات على قبور ملوك مصر القديمة.
ومعظم السلاطين العثمانيين وان لم يكونوا كلهم كان لديهم ولع شديد بالعمارة والتشييد وتوجد عشرات المدن الجديدة التي اسسها السلاطين في اقليم البلقان الاوربي.

فهذه خاصية ارتبطت بقيام الدول عبر التاريخ كما ذكر ابن خلدون في مقدمته.
ولكن هنالك فرق جذري ما بين سياق العمارة في العصرين القديم والوسيط ونمط الدولة الحديثة.

حيث ان نمط الدولة القائمة على المركزية والمواطنة والقانون والرفاهية قد ظهرت بعد الثورة الفرنسية، وحتى نمط دولة الرفاهية تبلور اكثر بعد انتشار الحركة اليسارية في العالم خلال القرنين التاسع عشر والعشرين والتي سعت للقضاء كليا على الامية والمرض والفقر والتوسع في البنى التحتية والمساواة ونحو ذلك.
ولقد تحولت الدولة العثمانية الى النمط الحديث في مرحلتها الاخيرة ويعتبر عهد السلطان محمود الثاني البداية الحقيقية لهذا التحول علما انه توجد إرهاصات ومحاولات سبقت عصره.
حيث تحولت الدولة العثمانية الى دولة مركزية حسب سياق القرن التاسع عشر وقامت وزارات متخصصة واختلف وضع المواطن عن السابق وصولا الى اصدار دستور عثماني وبرلمان واحزاب وغير ذلك.
وحتى إن هذه التحولات شكلت صدمات في حينها عند شرائح مجتمعية مختلفة في عدة بلدان واقاليم وحدثت احتجاجات ضدها لان بعضهم كان يجهل التحولات او يريد استمرارية الوضع السابق وبعضهم يرفض التغيير حتى ولو كان إيجابي.
وفعلا نتج عن ذلك عدة تغييرات في بناء الجامعات وإرسال البعثات وبناء السكك الحديدية وإصدار الصحف وظهور الاحزاب وغير ذلك.
لكن كيف كان حجم هذا التحول العثماني الجديد ونسبته وصورته وانتكاساته وانعكاسه على الأرض فهذا يتطلب مبحث آخر.

اعلم ان البعض قد لا يعجبه تعليقي جزئيا او كليا ولكن الدولة الحديثة المركزية القائمة على المواطنة والتنمية والرفاهية هي فعلا ظهرت في العصر الحديث بالقرون الاخيرة هذه حقيقة تاريخية.

متى سقطت الدولة العثمانية ؟

وبحسب المزاعم التي ينشرها قد يخيل اليه منها ان الدولة العثمانية قد سقطت في عهد السلطان عثمان الأول وذلك بسبب عدم النظر الى السياق التاريخي خلال مراحل العصر العثماني.

في مسالة وراثة العرش لو ذهبنا الى كتب الاحكام السلطانية لا نجد حسما لهذه المسالة ولا نجد تحديد الطريقة المتبعة الدقيقة حيث كان الاسلوب المفضل هو المتبع في فترة الخلفاء الراشدين على الرغم من عدم وجود طريقة محددة بين بيعات الخلفاء ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم.

ومشكلة وراثة العرش هي ليست وليدة العصر العثماني بل هي مستمرة منذ العصر الاموي والعباسي والفاطمي وغيره وبسببها حدثت مشاكل وصراعات دائمة.

في بدايات الدولة العثمانية كان الاختيار يعتمد على الأجدر ومن ينتصر في المنافسة والحكم يكون هو الاجدر والصالح للحكم.

ومنذ عهد السلطان احمد الاول تغير نظام العرش الى تولية الارشد في العائلة واستمر ذلك الى سقوط الدولة العثمانية.

والفقيه الحنبلي ابن مرعي الكرمي اشاد بشكل كبير بنظام الوراثة العثماني واعده من اسباب استقرار وقوة الدولة العثمانية.

وامر اخر مهم لم يقم كل السلاطين بقتل اقاربهم وانما هي مجرد حالات معدودة ومنها كانت على حالات عصيان حقيقية.

وظاهرة الصراع على السلطة واقتتال الاقارب على كرسي العرش هي ليست اختراع عثماني بل هو امر قائم منذ اقدم العصور.

وفي مسالة الزواج من الجواري

هذا جائز شرعا حيث تقوم العلاقة مع الجارية على ثلاثة امور:

الاولى؛ التسري بها واتخاذها ملك يمين.

الثانية: الزواج بها واتخاذها أمة زوجة.

الثالثة: اتخاذها للعمل في الامور المنزلية وأشياء اخرى.

والسلاطين العثمانيون ليسوا اول من اتخذ الجواري فهذا عمل قائم ومستمر منذ بداية التاريخ الاسلامي من الحكام والاغنياء والولاة والاعيان وغيرهم.

ولقد ذكرت كتب التاريخ كيف حفلت قصور العباسيين والفاطميين والامويين وغيرهم بوجود الآلاف الجواري.

وتصوير البعض أن امور الخيانة والظلم والإسراف والتوريث تشكل حالة دائمة ومستمرة يتعارض مع استمرارية الدولة العثمانية لحوالي 600 سنة.

لقد ذكرت مصادر تاريخية عديدة لابن حجر وابن طولون وابن تغري وابن مرعي وغيرهم تصف الدولة العثمانية بانها كانت تمثل قمة العدل في عصرهم والصلاح والعفاف والوفاء ونحو ذلك.

واما الجيش الانكشاري الذي يشكل دوره اشكاليات كبيرة فهو قد لعب ادوار ايجابية كبيرة في التاريخ العثماني.

وانشاء مؤسسة الجيش الانكشاري يتناسب مع سياق ذلك العصر حيث إن نمط الجيش الحديث قد ظهر في العصر الحديث.

وهنالك اطروحات اكاديمية تعتبر ان الانكشاربة لعبت دور ايجابي كمؤسسة ضبط ضمن عوامل اخرى مجتمعية ومؤسساتية ونحوها.

ولم يكن الجيش الانكشاري هو الجيش الوحيد للدولة العثمانية حيث يوجد عدة جيوش اخرى معتمدة ومن ابرزها جيش السباهية وجيش تتار القرم.

ولاحقا تم الغاء هذه الجيوش وتاسيس جيش عثماني حديث وعندما سقطت الدولة العثمانية لم تكن الانكشارية موجودة وهذا من تناقضات المقطع واخطائه في تحليل المسار التاريخي.

واما مسالة تصدر السلاطين لامور الدولة فإن كثيرا من السلاطين العثمانيين قد شاركوا في قيادة الحرب واستشهد بعضهم في الحرب واذا كنت تقصد امور الدولة فجميعهم مارسوا شؤون الحكم وانما يوجد ما يعرف بتبادل الادوار كما ذكرت كتب احكام السلاطين مع الوزراء والولاة.

ولم يخترع السلطان سليم الثاني مسالة عدم مباشرة امور الحرب والقتال فهذه سياسة مستمرة منذ عهد الخلفاء الراشدين ومن اتى بعدهم حيث كانوا يرسلون قادة الجيوش للحرب ولم يباشروا الحروب بأنفسهم.

وما يتعلق بشكل العلاقة مع العرب هي كانت في مجملها جيدة واخوية وهذه حقيقة تاريخية.

واما الزعم ان الحركة العربية في الحرب العالمية الأولى لم تلعب دور سلبي في سقوط الدولة العثمانية.

فكما يقال حدثوا العاقل بما يعقل ...

دور الحركة العربية معروف وذلك في تحالفها مع الإمبراطورية البريطانية وحدوث هزائم كبيرة للجيش العثماني وهذه الحركة هي التي اعلنت فصل الاقاليم العربية عن مركز الدولة العثمانية وانشاء دولة جديدة مختلفة.

هذه حقيقة تاريخية وذكرتها جميع المصادر التاريخية لقد كانت الحركة العربية من ضمن عوامل السقوط وطبعا لم تكن عامل أساسي ووحيد.

وكانت الدولة العثمانية تمر في مرحلتها الأخيرة الآيلة الى السقوط مثل بقية الدول عبر التاريخ وكما سقطت امبراطوريات القيصرية الروسية والنمساوية وغيرها.
واستشهاد البعض بمقولة أتاتورك حول عدم الاكترات بمشاكل الاقليم والاهتمام بالداخل فقط ضمن عوامل سقوط الخلافة هو غير صحيح في سياقه وتم تحميلها اكثر مما تحتمل.
لقد أسس اتاتورك جمهورية وطنية حديثة تهتم بشؤون مواطنيها ضمن الحدود الجغرافية فقط.
فماذا يريد البعض ان يصرح ويقول انه سوف يهتم بشؤون المريخ مثلا.
لقد تاسست الجمهورية التركية بعد الحرب العالمية الاولى وجهود حرب التحرير والتي استمرت لعدة سنوات وبذلت فيها دماء كثيرة.
ولقد استقلت كل اقاليم الخلافة العثمانية في اوربا والشرق الاوسط وشمال افريقيا وصارت كيانات مختلفة قائمة بذاتها واصبح هنالك واقع جديد مختلف كليا.

تعامل أتاتورك مع الأسرة العثمانية

لقد كان تعامل الزعيم أتاتورك مع السلطان وحيد الدين والاسرة العثمانية هو تعامل جيد على العموم وعلما انه صدر قرار رسمي من الدولة العثمانية يقضي بإعدام اتاتورك ورفاقه.

أنظروا الى ما حدث للاسر الحاكمة خلال التاريخ من مجازر واعدامات ونحو ذلك.

انظروا الى ما فعل العباسيون بالاسرة الاموية.

انظروا الى حدث للاسرة الفاطمية.

انظروا الى ما حدث للعلويين في خلال صراعاتهم مع ابناء عمومتهم من الامويين والعباسيين.

انظروا الى ما حدث لأسرة رومانوف في روسيا واسرة البوربون في فرنسا وغيرهم من الأسر الحاكمة.

ما قام به الزعيم أتاتورك هو تصرف راقي حيث طلب من الاسرة العثمانية الرحيل عن اراضي الجمهورية التركية فقط.

واحدى اميرات الاسرة العثمانية وهي الاميرة كينز مراد أشادت بجهود الزعيم اتاتورك وقالت ان تعامله كان جيدا وافضل من البقية.

وهذا امر طبيعي جدا لانه نظام جديد الغى نظام سياسي سابق ووجود افراد من النظام السابق يمثلون تهديد وجودي للنظام الجديد.

على الرغم ان السلطان وحيد الدين والمجموعة المحيطة به مارسوا التحريض ضد حركة الاستقلال التركية واعتبروا قادتها متمردين وخارجين وان يعدموا وغير ذلك ورفضوا حركة المقاومة الوطنية ضد سيطرة الاستعمار الغربي على الأناضول ومن ضمنها إسطنبول.

ولست ادري لماذا يقوم بعض الكتاب المقربين من حكومة العدالة والتنمية بتشويه التاريخ التركي ؟

لصالح من هذا التشويه والتحريف ؟

إن الحقيقة التاريخية الساطعة تؤكد بان الدولة العثمانية في مرحلتها الأخيرة عانت من ضعف شديد في عدة جوانب والذي ساعد على استمراريتها هو اتباع السلاطين لتوازنات سياسية معينة.

والا كانت السلطنة تعاني من مشاكل اقتصادية وعسكرية وغير ذلك وعلى حافة السقوط.

حتى قام السلطان عبد الحميد الثاني بالتنازل عن جزيرة قبرص لصالح الامبراطورية البريطانية.

وقامت الامبراطورية البريطانية بالسيطرة على مصر احد اهم اقاليم الدولة العثمانية.

وسيطرت الامبراطورية على الاقاليم العثمانية في منطقة البلقان.

وغير ذلك من الأحداث...

لقد كانت الدولة العثمانية تعيش مرحلتها الاخيرة مثلها مثل باقي الإمبراطوريات في اوربا وخلال التاريخ.

حيث سقطت الامبراطورية الروسية القيصرية بعد سلسلة من الهزائم الكبيرة امام الالمان واليابان ومشاكل داخلية كبرى مع ثورات وازمات اقتصادية واجتماعية وغيرها.

وسقطت الامبراطوريتين النمساوية والالمانية لنفس الأسباب المتقاربة.

التيموريون

الامير تيمورلنك هو فعلا من ضمن الشخصيات التاريخية الكبيرة والتي يجب دراستها بعناية فائقة.
شخصية جدلية لا يمكن تجاهل انجازاته الكبيرة سواء كحاكم المؤسس للسلالة التيمورية او كقائد عسكري نجح في كل حملاته العسكرية والتي قادها بنفسه.
وعموما التيموريون بشكل عام هم اشخاص استثنائين سواء في التاريخ التركي العام او في التاريخ الانساني.
في خلال مراحلهم المختلفة في اسيا الوسطى ولاحقا عندما انتقل السلطان ظهير الدين بابر الى قلب القارة الهندية ليؤسس من جديد امبراطورية التيموريين الهندية في جنوب آسيا.
من عجائب تيمورلنك في اسيا الوسطى ما يعرف بقصر آق سراي في مدينة شهرسبز مكان ولادة تيمور.
الحجم الكلي للقصر مثير للإعجاب: الفناء الرئيسي وحده ، الذي أعيد تشكيله من المصغر ، كان بعرض 120-125 مترًا وطوله 240-250 مترًا. وارتفاع البوابة الرئيسية وصل إلى 70 مترًا. كانت تعلوها قمم مقوسة بينما كانت أبراج الزاوية على قاعدة متعددة الأوجه يبلغ ارتفاعها 80 مترًا على الأقل. كان عرض المدخل الرئيسي 50 مترًا وكانت البوابة الرئيسية كبيرة جدًا بحيث يمكن مقارنة عرض مدخلها بعرض ملعب كرة قدم. وكان القوس الأكبر من نوعه في كل آسيا الوسطى وكان طوله أكثر من 20 متراً.
استغرق تشييد مبنى القصر في شهرسبز أكثر من ربع قرن. ولقد أذهل السفير الإسباني روي غونزاليس دي كلافيجو الذي زار هذا القصر وقدم تفاصيل دقيقة عنه ووصفه بانه من أعاجيب العالم.
ولكن للأسف الشديد قام الخان الشيباني بتدمير هذا القصر الضخم.

قوانين الياسق

صحيح انه اصدرها مؤسس الامبراطورية المغولية التتارية جنكيز خان ولكنها خضعت لسلسلة طويلة من الإضافة والتنقيح خلال عصور الخاقانات الأحفاد وجرى تدوينها قطعا ولم تكن شفهية على الدوام.
ولقد ذكرت المصادر التاريخية هذه الحقائق ومن ضمنها ان خاقان المشرق قوبلاي خان اصدر مدونة قانونية كبيرة تحتوي على مئات القوانين المختلفة.
ولقد اعتمدت جميع ممالك الامبراطورية محاكم قضائية كانت تستند على هذه المدونة القانونية.
وكانت قوانين شاملة لامور كثيرة اقتصادية وعسكرية وجنائية واسرية ودينية وغيرها.
وايضا احتوت على وصايا اخلاقية وتعاليم حياتية تجاه الاباء والامهات وكبار السن والفقراء والضعفاء وغيرها.
طبعا لم يبني جنكيز خان واحفاده هذه القوانين من فراغ لقد اعتمدوا على أعراف هذه القبائل المختلفة التي وحدها ومن تراث الممالك السابقة التي حكمت هذه المنطقة السهوبية.
ومجموعة من هذه القوانين تم التعرف عليها في النقوش الرونية المكتشفة في منطقة نهر اورخون.
وايضا استفاد جنكيز خان واحفاده من الاديان التي كانت موجودة في هذه المنطقة لدى بعض القبائل كالمسيحية والبوذية والمانوية ومن تأثيرات الكونفوشيوسية وغيرها.
ويمكن اعتبار قوانين الياسق هو من ضمن التأثيرات الكبيرة التي قدمتها السهوب الاوراسية الى العالم.
طبعا البعض ينتقد طابعها القاسي ولكن يتجاهل السياقات والخلفيات المختلفة التي دعت الى إصدار هذه القوانين لضبط أوضاع الامبراطورية الشاسعة وبشهادة المؤرخين المعاصرين انه لم تكن توجد حالات سرقة وقطع الطريق واختفت كليا.
واتعجب انهم لا يعملون مقارنة مع احكام الشريعة اليهودية التي احتوت على احكام اقسى من الموجود في الياسق.
وكما طور اليهود محكمة السنهدرين التي جعلت كثير من الاحكام اليهودية القاسية في حالة وقف التنفيذ.
ايضا كان يوجد في قوانين الياسق مواد قانونية وإجراءات قضائية جعلت الكثير من هذه القوانين القاسية في حالة وقف التنفيذ.
وعموما كانت قوانين الياسق مؤثرة بشكل كبير واستمر تأثيرها لاحقا على المماليك والعثمانيين والتيموريين وغيرهم.

لأسباب وجيهة وهي ان الياسق كان صريح وحاسم في التعامل مع حالات كثيرة.
فالسرقة عندهم هي سرقة ولا يوجد عندهم قيود الحرز او الخطف وما شابه ذلك.
وقطع الطريق عندهم هو قطع الطريق وهكذا دواليك ...
ولذلك استمر تأثيرها لقرون طويلة ولقد اطلعت على نصوص تاريخية تبين بشكل صريح ان الياسق ظلت موجودة ومؤثرة حتى فترات متأخرة من التاريخ الاسلامي.

حالة الاتراك قبل اعتناق الاسلام

من المزاعم الاخرى التي تسيء الى تاريخ الشعوب التركية فضلا عما يحمله الاساءة المبطنة، هو الزعم ان الشعوب التركية لم يكونوا شيئا قبل اعتناقهم الاسلام وهذا مرفوض بشكل مطلق.

لقد كان للاتراك تاريخ عريق ممتد لاكثر من 2200 سنة.

وفي القرن السادس الميلادي كان يوجد للاتراك امبراطورية اوراسية مزدهرة حضاريا ومعروفة في المصادر البيزنطية والصينية والفارسية ووصلت حدودها الى شمال القارة الهندية وشرق اوربا.

وهي معروفة بمسمى امبراطورية الترك او غوكترك وسلالة اشينا وتشكل امتدادا لامبراطوريات الهون السابقة.

جاء في المصادر الصينية في وصف امتداد حدود امبراطورية غوكترك في عصر خاقان الاتراك الغربيين تونغ يابغو الذي حكم من عام 618 إلى 628 ميلادي.

" تونغ يهو كاغان رجل شجاع وداهية وجيد في فنون الحرب.

وهكذا سيطر على قبائل تييل في الشمال ، وواجه بلاد فارس من الغرب ، ووصل الى الحدود المرتبطة بكسميرا (كشمير حاليًا) في الجنوب.

وكل الدول تخضع له.

كان يسيطر على عشرة آلاف من الرجال بالسهام والقوس ، ليؤسس قوته على المنطقة الغربية.

احتل أرض ووسون ونقل خيمته إلى Qianquan شمال طشقند.

تولى جميع أمراء المنطقة الغربية في منصب الترك في جيليفة.

أرسل تونغ يهو كاغان أيضًا توتونًا لمراقبتها وفرضها".

وفي العصر الاسلامي الاول كان توجد عدة ممالك تركية غير اسلامية مزدهرة في الشرق والغرب.

أبدأ من اغربها وهي مملكة تركية بوذية في جنوب اسيا وتعرف باسم مملكة ترك شاهي وكانت متأثرة بالحضارة الهندية وتركت اثار كثيرة.

وفي الشرق توجد خاقانية اليوغور وهي دولة اعتقت الديانة المانوية وازدهرت حضاريا في قلب السهوب الشرقية.

وفي الغرب توجد خاقانية الخزر وهي دولة اعتنقت اليهودية وكانت مزدهرة في شرق اوربا والسهوب الغربية.

هذا فضلا عن بقايا الممالك التركية الاخرى في اوربا واسيا.

وكان يوجد تواجد تركي كبير في اراضي بلاد ما وراء النهر ومتناغم مع حضارتها العريقة وحدث توطين واسع في مدن فرغانة وطشقند وبخاري وسمرقند وخوارزم وغيرها.
ولذلك يقول الخليفة الاموي يزيد بن الوليد مفتخرا بنسبه:
أنا ابن كسرى وأبي مروان ... وقيصر جدي وجدي خاقان
والشاهد من البيت انه يذكر اهم الامبراطوريات القائمة في عصره وهي الاموية العربية والساسانية التي سقطت والبيزنطية القائمة المتراجعة والخاقانية التركية الصامدة والمستمرة في الصعود.
وعندما حدثت التوسعات الاموية مع قتيبة الباهلي هو اصطدم مع امارات منهارة سابقا وحدثت حروب كثيرة بحيث استمرت قائمة الى العصر الساماني وجرت عدة مواجهات شرسة مع خانية التوركش وسبق كتبت عنها عدة تعليقات سابقة.
فالاصح هو القول ان اعتناق الاتراك للاسلام في القرن العاشر الميلادي وما سبقه من مقدمات في العصر الساماني لقد شكل مرحلة جديدة في تاريخ الشعوب التركية وخاصة ان الدولة التركية الاسلامية ظهرت مع العصر الذهبي الاسلامي وسيطرت على منطقة الشرق الاوسط قلب التاريخ القديم واعرق الحضارات وبالتالي انتقل اليها كل ذلك الميراث الحضاري واستقبلت عناصر حضارية جديدة بجانب العناصر الحضارية التركية السابقة وبجانب التأثيرات الصينية والهندية وما وراء النهر.
وكما قلت هذا القول يناقض الاسلام حيث يقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: "الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام".
والعرب بعد اسلامهم لم يتنكروا يوما واحدا لتاريخهم القديم وظلوا يفتخرون به تجاه الشعوب الاخرى ويكتبون فيه الكتب الكثيرة وينقلون اشعار العرب وخطبهم واخبارهم وتكوينات القبائل العربية المختلفة.
وهنالك مئات الامثلة من التراث العربي الاسلامي:
ومنها مثلا: جمهرة انساب العرب لابن الكلبي وكتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي والشعر والشعراء لابن قتيبة وغيرهم.
ونلحظ ان ممن كتب في تاريخ العرب القديم وآدابهم كانوا من الموالي.
وللاسف من يحاول الترويج لهذه المزاعم الكاذبة من الذين هم محسوبين على التيار الديني.
متجاهلين ان السلاطين العثمانيين لم يتنكروا يوما لتاريخهم وجذورهم وكان السلطان سليم الأول يفتخر بكونه من نسل الب تونغا وهي شخصية مشهورة في الملاحم الادبية التركية تعود الى حقبة قديمة.
ولقد احتوى التراث العثماني على كتابات كثيرة جدا تهتم بالتاريخ التركي بمختلف مراحله والآداب التركية.

الجغطاية

يتعامل البعض مع التاريخ بسطحية شديدة كما يتم التعامل مع اية "لا تقربوا الصلاة ...".
الامير الفاتح الكبير تيمورلنك منذ ولادته مرورا بصعوده حتى وفاته كان يتبع مرجعية واحدة وهي الجغطاية.
كما ذكر ذلك جميع المؤرخين الفرس والعرب والترك الذين عاصروا الفترة التيمورية وكتبوا عنها مثل ابن عربشاه الذي عاش بين التيموريين وابن تغري وابن خلدون وابن حجر العسقلاني وغيرهم.
وهنا يكمن الفرق الهائل ما بين كلام العلماء المؤرخين وبين كلام الهواة.
والجغطاية لم تكن مجرد دولة خانية من ضمن أقسام الامبراطورية المغولية بل كانت بالإضافة الى ذلك كونفدرالية قبلية كبيرة في اسيا الوسطى وكانت قبيلة بارلاس جزء من هذا الاتحاد القبلي الكبير وكانت اللغة الشائعة بينهم هي التركية الجغطاية فهو اتحاد تركي المبنى والمعنى.
ولقد ضمت قائمة كونفدرالية الجغطاية القوائم التالية:
الاولى: القبائل التركية التي استقرت في آسيا الوسطى منذ قرون خلت حيث اندمجت ضمن هذا الاتحاد القبلي الجديد ومنهم قبائل القارلوق والتوخسي واليغما وغيرهم.
الثاني: القبائل التركية التي قدمت مع التوسعات المغولية وكانت ضمن الاتحاد الذي جمعه جنكيز خان في السهوب ومنهم قبائل النايمان ساكيز والكرايت وغيرهم.
الثالث: القبائل المغولية التي قدمت مع التوسعات المغولية وكانت من ضمن الاتحاد الجنكيزي ومنهم قبائل البورجين والتايشود وجلاير وغيرهم.
والمطلع يعلم ان الكتابة الجغطاية كانت معروفة بذاتها عن التركيات الاخرى وحتى في التراث العثماني يقولون عن فلان انه كتب كتابه بالجغطاية.
وظلت المرجعية الجغطاية هي صفة ملازمة للتيموريين واتراك اسيا الوسطى حتى تغيرت لاحقا مع سقوط التيموريين وقدوم الخانية الاوزبكية في القرن السادس عشر.
قد يطرح من لديه جهل عميق استشكال حول كيانات القبائل وذلك لانه يلبس نظارة مجتمعات الشرق الاوسط المختلفة ويحاول إسقاطها على البلاد الأخرى.
ان كيانات القبائل في اسيا الوسطى والسهوب الاوراسية ليست كيانات ثابتة حيث تتعرض كثيرا للتغيير وتندمج ضمن كيانات اكبر وتتغير اسمائها مع مرور الوقت طبقا لعوامل مختلفة وهذه مسألة يطول شرحها.
وعندما ننظر في القائمة الكبرى التي وضعها العلامة الكاشغري نجد ان بعضها صمد وظل محافظ على كياناته والاخرى تعرضت للتغيير.

وما لا يعرفه البعض ان التوسع المغولي/التتاري في بعض بلاد تركستان الممتدة على مساحة جغرافية اوراسية واسعة قد حدث بشكل سلس وبدون مشاكل كثيرة فالبعض لديه معلومات عما جرى مع الامبراطورية الخوارزمية.
مثلا مملكة اليوغور البوذية هي التي طلبت الانضمام طوعية الى جنكيز خان وجرت مصاهرة ملكية بينهم وكان اليوغور هم الذين طوروا الجهاز البيرقراطي للامبراطورية واشرفوا عليه.
والاتراك المسلمون في مملكة القاراختاي هم الذين رحبوا بالقائد الكبير جيبي ودعموه طواعية.
وغير ذلك من الامثلة العديدة ...

هندوستان

دولة الهند الاسلامية منذ عهد السلطان محمود الغزنوي الذي قام بفتوحاته الواسعة في القارة الهندية بصحبة العالم الرياضي والفلكي والفيلسوف البيروني مرورا بسلطنة دهلي منذ المؤسس السلطان قطب الدين ايبك ثم السلطنة البابورية التيمورية .
كانت الهند في معظمها تتبع المذهب السني الحنفي الماتريدي وكثير من مصادر الفقه الحنفي المهمة تم تأليفها في الهند مثل الفتاوي التتارخانية في عشرات المجلدات والفتاوي العالمكيرية وغيرها.
بل ان السلطان العظيم محمود الغزنوي كان فقيها حنفيا وله عدة مؤلفات في الفقه الحنفي ومنها كتاب التفريد وهو في غاية الجودة واحتوى على 60 الف مسالة.
وطبعا كانت اللغة الفارسية هي اللغة المشتركة طيلة الف سنة بجانب اللغات الاخرى مثل الهندية والاوردية والعربية والتركية وغيرها.
وكان الفقهاء الاحناف في القارة الهندية على عناية كبيرة بكتب الحديث وشروحه.
طبعا كان للشيعة الامامية المسلمين حضور في الهند وهذا يندرج ضمن السياسة العامة لسلاطين الهند في التعامل مع الاديان والطوائف حيث أوصى السلطان بابور أبنائه بشكل صريح : "تجاهل النزاع والتخاصم بين الشيعة والسُنَّة، ففي هذا منبتُ الضعف في الإسلام، وضُمَّ الرعايا من مُختلف العقائد حول الأُسس الأربعة بحيثُ يُصبح كيان الدولة مُحصنًا ضدَّ عوامل الضعف المُختلفة".
ونظرا للعلاقات الودية ما بين التيموريين والصفويين حيث تلقوا دعم من الصفويين دعم عسكري كبير وحصل السلطان همايون على لجوء ودعم من الصفويين وعاد الى الهند ومعه جيش من القزلباش.
واصلا كانت الهند بمثابة بلد الهجرة للقادمين من ايران واسيا الوسطى فمثلا منهاج السراج الجوزجاني قاضي القضاة في الهند صاحب كتاب طبقات ناصري التاريخي المهم قد هاجر من ايران الى الهند وايضا شاعر الهند الكبير امير خسرو قد هاجر من اسيا الوسطى الى الهند.
ولذلك كان للشيعة المسلمين الامامية عدة ممالك في حيدر اباد واوذة وغيرها ضمن السيادة الاسلامية السنية العامة على القارة الهندية حتى سقوطها وبسط المملكة البريطانية لنفوذها التام عليها بعد الثورة الهندية في عام 1857.
وايضا كان يوجد في الهند اتباع لطوائف مختلفة مثل الاسماعيلية والسلفية وغيرها وحدث تلاقح ما بين الاديان المختلفة في القارة الهندية بحيث ظهرت اديان جديدة مثل السيخية والقاديانية وغيرها.
وكان السلطان الأعظم جلال الدين اكبر صاحب مذهب فريد حكاه المؤرخ عبدالحي في كتابه نزهة الخواطر.

بل وازيد من الشعر بيتا ان الطائفة القرانية التي ترفض مصدرية الحديث بان اول ظهور لها معروف في التاريخ هو من الهند منذ القرن الثامن عشر وشكلوا فرقة جديدة قائمة بذاتها لها كتب وتنظيرات وليست مجرد آراء ولهم عدة اعلام مثل أحمد خان مؤسس جامعة عليكرة وغيره. للاسف الشديد ان القلب ليحزن وهو يرى ان تاريخ الحضارة الاسلامية في الهند الذي امتد على مدار الف سنة بكل ما فيه من تراث ضخم ومتنوع ومنجزات واعمال عظمى يتم تجنبها وتجاهلها هكذا بكل بساطة.

احمد بن طولون

اكثر شخصية تاريخية تعرضت للظلم والتجاهل في العصر الحديث هي شخصية ملك مصر والشام احمد بن طولون.
الذي ساهم في تأسيس اول دولة مستقلة في مصر بعد انقطاع طويل استمر لعدة قرون متصلة منذ انهيار دولة البطالمة المقدونية في عام 30 قبل الميلاد.
وكان شخصا شديد الدهاء والذكاء ومثقف من الطراز الرفيع وسياسي محنك ويتحرى العدل والانصاف واقام صروح ضخمة في مصر وهو اول من ادخل البيمارستان الى مصر وبنى اكبر جامع اسلامي وأسس عاصمة جديدة وغير ذلك من الاعمال الضخمة.
وتذكر كتب التاريخ انه كان يجلس مرتين في الاسبوع للاستماع الى المظالم وانصاف المظلومين وهو اول من عمل ذلك في مصر.
وايضا ذكرت التاريخ انه كان يحفظ الأشعار ويكتب الشعر باللغتين العربية والتركية.
ولذلك نالت سيرة ابن طولون الناصعة إعجاب المؤرخين وكتبوا في سيرته مؤلفات خاصة الى العصر المملوكي.
وحتى قام المؤرخ البلوي وهو من احد دعاة الاسماعيلية بتأليف كتاب جميل وكبير الحجم في سيرة ملك مصر احمد بن طولون.
وظلت سيرته مثار اعجاب الكثيرين من الخلفاء والسلاطين والحكام حتى ان الفاطميين كانوا يحرصون على مطالعة سيرته باستمرار والتعلم منها.
ومع ذلك للأسف لا نرى ظهور اعمال فنية من مسلسلات وافلام ترصد سيرته المليئة بالاثارة والتحديات والانجازات.
والله العظيم يمكن عمل مسلسل من عدة اجزاء حول سيرة ابن طولون بداية من جذور والده في اسيا الوسطى وعمله عند الامراء السامانيين ثم ذهابه الى بغداد وولادة احمد هناك وموت والده ودخوله في سلك الجندية تحت إشراف الأمراء الاتراك ثم عمله في الثغور الشامية وما حققه من انجازات عسكرية ثم ذهابه الى مصر بقرار صادر من امير الامراء التركي وعمله في سياق المنافسة مع الامراء الاتراك الآخرين واستطاعته تاسيس دولة مستقلة في مصر وغير ذلك من الاحداث التاريخية المثيرة.
هذا العمل يتطلب فريق عمل متكامل من كتاب وسيناريست وممثلين واخراج ومواقع جغرافية واستديوهات ضخمة وتكنولوجيا حديثة والتعاون مع القطاعات الفنية في الدول الاخرى.
وسوف يحدث ذلك نجاح باهر وضجة كبيرة في الوسط الفني وغير ذلك.

أسباب ضعف الدولة العباسية

البرامكة لعبت دورا كبيرا جدا في دعم حركة الترجمة وبناء المكتبات وازدهار الدولة العباسية حتى ان الدولة العباسية تراجع وضعف أداءها بعد نكبة البرامكة بشهادة المؤرخين المعاصرين وحزن الناس على ايام دولة البرامكة المزدهرة.
وهنا لدي وقفة مهمة حول الحدث ...
ياخذ البعض موقف سطحي حول انحدار الدولة العباسية بعد عصر الخليفة المتوكل العباسي ويتخذ من الجند الاتراك شماعة لما حدث وهذا فيه سطحية شديدة.
الخلافة العباسية منذ ظهورها مع الخلفاء السفاح والمنصور وهي تتراجع قوتها المركزية وتفقد سيطرتها شيئا فشيئا.
في بداية الامر فقدت سيطرتها على اراضي المغرب والاندلس لصالح الادارسة والامويين والرستميين.
وجرى في العصر العباسي الاول وضع بدعة جديدة لم يعرفها التاريخ الاسلامي عبر تفويض الوزير بكل الصلاحيات كما جرى مع البرامكة حيث كانوا هم الحكام الفعليين.
ثم تراجعت قوة الخلافة اكثر في شمال افريقيا في عهد الرشيد وسمحوا للاغالبة ان يشكلوا دولة مستقلة بشكل شبه كامل في تونس الحالية.
وبعد وفاة الرشيد تقسمت اراضي الخلافة وجرى صراع حاد بين الامين والمأمون انتهى بانتصار الخليفة المأمون.
ومن المؤكد تاريخيا ان المأمون هو الذي استعان بالجند الاتراك في الدولة العباسية وليس الخليفة المعتصم كما يخطئ البعض.
والذي جرى ان المتوكل كان ضعيفا بخلاف من سبقوه وحدث بعد مقتله في عام 247/861 انهيار كبير في الدولة باشد مما جرى بين الأمين والمامون وخلال ذلك ثبتت سيطرة الاسر السامانية والاغالبة ثم الطولونيين والصفاريين على ما بحوزتهم من اراضي تغلبوا عليها.
وحدثت حركات الزنج وغيرها بحيث ضعف كيان الدولة العباسية بشكل اشد ومع ذلك استمرت عادة تقسيم الاراضي بين الاسرة العباسية التي تسببت بصراع الامين والمأمون.
ثم جرى انتعاش جزئي وإعادة شيء من الهيبة للدولة العباسية مع عهود المعتمد والمعتضد والمكتفي بمساعدة من الجيش التركي في نطاق الاراضي العراقية القريبة من العاصمة بغداد وبعدها استعادوا مصر والشام من الطولونيين مع استمرار بقية الممالك المستقلة الاخرى عبر التبعية الاسمية.
ولكن سرعان ما تداعت الاحداث في عصر المقتدر 295/908 حيث افلست الدولة تماما وصارت دولة فاشلة جدا وسيطر الجند على مقاليد الدولة العباسية المنهارة بشكل مطلق وظهر

منصب جديد وهو امير الامراء الذي بيده الحل والعقد حتى كان يخطب له بجانب الخليفة ويضعون اسمه بجانب الخليفة في العملات الصادرة من قلب بغداد.
وظهرت حركة القرامطة واستقل الاخشيدين بمصر والشام وسيطر الفاطميين على اغلب شمال افريقيا.
وفي هذه الاثناء ظهر البويهيون من بلاد الديلم وتوسعوا وسيطروا على بغداد منذ عام 334 هجرية والمثير للانتباه ان البويهيون اعتبروا انفسهم هم امتداد لمنصب امير الامراء الذين كانوا يحكمون بغداد فعليا وبشكل كامل قبل دخول البويهيين حيث ظلوا محتفظين بهذا المنصب.
نلاحظ ذلك الانحدار الشديد المستمر في كيان الدولة العباسية خلال عقود بسيطة والذي ظهر اصلا مع بدايتها وظل مستمرا وتضاعف حتى اجتياح التتار.

آخر السلاطين العثمانيين

السلطان وحيد الدين والمجموعة المحيطة به مارسوا التحريض ضد حركة الاستقلال التركية واعتبروا قادتها متمردين وخارجين وأصدروا ضدهم احكام بالإعدام وفتاوي تحريضية وغير ذلك ورفضوا حركة المقاومة الوطنية ضد سيطرة الاستعمار الغربي على الأناضول ومن ضمنها إسطنبول وحتى اقام وحيد الدين حفلة زواج في عز الازمة الخانقة التي يمر الشعب التركي وما رافقه من سقوط الضحايا وفي الاخير هربوا مع القوات البريطانية.

وهذا كله مؤكد بالوثائق والأدلة القطعية التي لا تقبل الجدل.

ومع ذلك على الرغم من كل ما حدث لقد كان تعامل الزعيم أتاتورك مع السلطان وحيد الدين والاسرة العثمانية هو تعامل جيد بشكل عام.

أنظروا الى ما حدث للاسر الحاكمة خلال التاريخ من مجازر واعدامات ونحو ذلك.

انظروا الى ما فعل العباسيون بالاسرة الاموية.

انظروا الى حدث للاسرة الفاطمية.

انظروا الى ما حدث للعلويين في خلال صراعاتهم مع ابناء عمومتهم من الامويين والعباسيين.

انظروا الى ما حدث لأسرة رومانوف في روسيا واسرة البوربون في فرنسا وغيرهم من الأسر الحاكمة.

ما قام به الزعيم أتاتورك هو تصرف راقي حيث طلب من الاسرة العثمانية الرحيل عن اراضي الجمهورية التركية فقط.

واحدى اميرات الاسرة العثمانية وهي الاميرة كينز مراد أشادت بجهود الزعيم اتاتورك وقالت ان تعامله كان جيدا وافضل من البقية.

وهذا امر طبيعي جدا لانه نظام جديد الغى نظام سياسي سابق ووجود افراد من النظام السابق يمثلون تهديد وجودي للنظام الجديد.

ولست ادري لماذا يقوم بعض الكتاب المقربين من حكومة العدالة والتنمية بتشويه التاريخ التركي ؟

لصالح من هذا التشويه والتحريف ؟

إن الحقيقة التاريخية الساطعة تؤكد بان الدولة العثمانية في مرحلتها الأخيرة قد عانت من ضعف شديد في عدة جوانب والذي ساعد على استمراريتها هو اتباع السلاطين لتوازنات سياسية معينة.

والا كانت السلطنة تعاني من مشاكل اقتصادية وعسكرية وغير ذلك وعلى حافة السقوط.

حتى قام السلطان عبد الحميد الثاني بالتنازل عن جزيرة قبرص لصالح الامبراطورية البريطانية.

وقامت الامبراطورية البريطانية بالسيطرة على مصر احد اهم اقاليم الدولة العثمانية.

وسيطرت الامبراطورية النمساوية على الاقاليم العثمانية في منطقة البلقان.

وكانت الإمبراطورية الروسية على وشك السيطرة على عاصمة السلطنة العثمانية.
وغير ذلك من الأحداث...
لقد كانت الدولة العثمانية تعيش مرحلتها الأخيرة مثلها مثل باقي الإمبراطوريات في اوربا وخلال التاريخ.
حيث سقطت الامبراطورية الروسية القيصرية بعد سلسلة من الهزائم الكبيرة امام الالمان واليابان ومشاكل داخلية كبرى مع ثورات وازمات اقتصادية واجتماعية وغيرها.
وسقطت الامبراطوريتين النمساوية والألمانية لنفس الأسباب.
وتلك هي سنن التاريخ التي لا تحابي أحدا مهما كان.

انتقادات جوفاء

من احد الانتقادات الجوفاء التي يوجهها البعض الى سياسة الزعيم أتاتورك، انه لم يعتمد نظام الديمقراطية الليبرالية القائم على الانتخابات والتعددية الحزبية.
وهذا الانتقاد يمثل خطأ كبير.
لقد خرجت تركيا بلد مدمر من الحرب العالمية الاولى والحرب التحريرية ضد الاحتلال الاوربي والحروب الاهلية بين السكان المحليين والتي عصفت بالأناضول منذ اواخر القرن التاسع عشر.
وبعد تحقيق الانتصار في حرب الاستقلال تم إعلان الجمهورية الجديدة، وبالتالي مرحلة التأسيس تتطلب وجود استقرار كبير وممارسة قدر من السلطوية حتى يتم تثبيت النظام الجمهوري الجديد ضمن مرحلة زمنية طويلة .
ولقد مارس الزعيم اتاتورك سلطوية ناعمة وعاقب الذين تورطوا في الخيانة ومارسوا العنف فقط من خلال القانون والسلطة القضائية، وحرص على وضع أسس النظام الديمقراطي الليبرالي والذي يتمثل في ترسيخ العلمانية واعتماد القانون المدني ونشر الوعي والقضاء على الأمية وتحرير المرأة وترسيخ المواطنة ومنع العنصرية والقضاء على الطبقية والاقطاع وزيادة التنمية الاقتصادية وتحقيق السلام والانطلاق في الصناعة ووضع نظام اقتصادي حديث ليبرالي يجمع بين القطاع الخاص مع التخطيط المركزي ووضع اسس النظام البرلماني واسس حزب جديد وغير ذلك.
ولذلك أدت جهود التحديث للجمهورية الى قيام الديمقراطية الليبرالية في الخمسينات.
ولقد استند أتاتورك في شرعيته السياسية على انتخاب الجمعية الوطنية الكبرى له كرئيس للجمهورية.
واذا رجعنا الى الفكر السياسي التركي في خلال التاريخ التركي نجد ان الحاكم الجديد يحظى بالشرعية في حالات محددة وهي اذا حقق انتصار عسكري وتمكن من تقديم انجازات الى شعبه وبالتالي يحظى رضا شعبي.
والزعيم اتاتورك جمع كل مصادر الشرعية الحديثة والتركية القديمة من حيث اختيار الجمعية الوطنية والرضا الشعبي وتحقيق الانتصار العسكري وتحقيق انجازات اقتصادية واجتماعية وصناعية وتعليمية وغير ذلك.
ومثلا جنكيز خان ينحدر من قبيلة متواضعة ولا تحظى بالمكانة العالية وكان عبدا في طفولته ثم تمكن من تحقيق إنجازات عسكرية وشعبية وبالتالي من خلال انجازاته حظي جنكيز خان وعائلته بالمكانة العالية في السهوب الاوراسية.

وينحدر ارطغرل بن سليمان شاه من قبيلة متواضعة ولا تحظى بنفس مكانة قبائل الامارات التركمانية الاخرى في الاناضول وايضا لا تحظى بنفس المكانة امام الممالك التركية الاخرى مثل سلاجقة الروم وآق قوينلو وغيرها.

وايضا ينحدر تيمورلنك من قبيلة متواضعة وتمكن بواسطة انجازاته العسكرية والشعبية ان تحظى عائلته بالمكانة العالية.

وحاليا رغم مرور سبعين عاما على التجربة الديمقراطية في تركيا ولكن تعاني من مشاكل كثيرة بسبب صعود الأحزاب اليمينية والانفصاليةرمن حزب عدنان مندريس الى حزب العدالة والتنمية، والذين لديهم هوس بالعصور الوسطى والحروب التوسعية والدولة الشمولية وسيادة العنصر الواحد والدوغمائية وصناعة الأعداء وممارسة العنف المسلح وشيطنة الدولة ومحاولة الانفصال وتلقي الدعم الخارجي وغير ذلك.

تفنيد الاباطيل الشائعة حول اتاتورك

1- الزعيم اتاتورك لم يمنع الحجاب وتوجد الالاف الصور لاتاتورك مع نساء في المدن والقرى يلبسن الخمار على رؤوسهن.
وانما اعطى للمواطنة التركية استقلالها الذاتي ان تعيش حياتها كما تريد بدون فرض من الاخرين.
وقرار منع الحجاب في مؤسسات الدولة صدر في الثمانينات كردة فعل من الدولة على الجماعات المتاجرة بالدين والتي اتخذت من الحجاب شعارا للتمييز ضد الاخرين وسعت لفرض الحجاب وهو عموما كان قرارا خاطئا يتعارض مع الدستور والقوانين وكان بالإمكان معالجة المشكلة بطرق مختلفة.
2- اتاتورك لم يمنع حفظ القران ولقد امر بترجمة القران الى التركية حتى يستطيع كل تركي في المنزل والمصنع والمزرعة والمرعى وغيرها قراءته مباشرة دون وصاية خارجية وبينما في السابق الذين يقرؤون القران هم الذين يتقنون اللغة العربية فقط.
ولم يمنع الاذان في المساجد بل ترجمه الى التركية حتى يفهمه الصغير والكبير ويكون متسقا مع لغة الشعب الرسمية والله سبحانه وتعالى لا تحده اللغات.
3- الزعيم اتاتورك اقر بحرية الدين والضمير وحرر الشعب والكثير من الجماعات الدينية تعتبر اتاتورك هو محررها من الاضطهاد حيث عانت من الاضطهاد الشديد في عصر ما قبل تأسيس الجمهورية.
اخيرا الزعيم اتاتورك يستحق لقبه عن جدارة واستحقاق فهو الذي قاد حرب الاستقلال واطلق التحديث والتنمية الشاملة في كل المجالات واعطى الشعب حريته وسيادته ولقد ارتضاه الشعب التركي زعيما تاريخيا.

يقول الاديب الكبير العقاد عن شخصية الزعيم مصطفى كمال اتاتورك في مقال طويل انقل منه بعض المقتطفات:
"أحق شخصية بأن يُكتب عنها هذا الأسبوع هي شخصية الرجل العظيم، والشرقي العظيم الذي فارق الدنيا منذ أيام، ونعني بها شخصية مصطفى كمال منشئ «تركيا الحديثة»، ونافخ روح الحياة في بنية تلك الدولة التي اشتهرت زمانًا باسم الرجل المريض.
وفي اعتقادنا أن مصطفى كمال أعظم الحاكمين بأمرهم شخصية في عصرنا الحديث، ونفسر ذلك فنقول: إن فضل قدرته الشخصية في إنجاز أعماله الجليلة أعظم من كل فضل يعزى إلى قدرة رجال مثل موسوليني وهتلر ولينين.
... لكن مصطفى كمال لم ينتفع بمعونة من أشباه هذه المعونات، فقد كان السلطان ينكره ويأمر بالقبض عليه، وكان رجال الدين يُفتون بكفره، ويستبيحون دمه ويستثيرون الدهماء

لنضاله، وكان رجال تركيا الفتاة يُعادونه ولا يستريحون لنجاحه، وكان نواب المجلس يتركونه في الأناضول ويذهبون إلى الآستانة اغترارًا بوعود الحلفاء، ولم يكن له معين من الدول الأجنبية، بل كان له منها أعداء ألدَّاء ومحاربون أشداء، يحاربون بالمال والسلاح والسياسة ونشر الدعوة وكل وسيلة يملكها الأقوياء.

أراد أن يحيي تركيا والدنيا كلها تريد لها الموت، فلم يصرفه صارف ولم تقعده عقبة، ولم يزل حتى ردها إلى الحياة، وأقامها على الأساس الذي جعلت في الحقيقة لتقوم عليه فلا تصلح للقيام على أساس غيره، وذلك أن تكون تركية للترك لا دولة ذات أملاك شاسعة، ولا خلافة ذات سيادة روحية، فما في ذلك خير لها ولا لرعاياها المغصوبين ......".

المؤسس الثالث للدولة العثمانية

السلطان محمد الفاتح هو ليس من عظماء التاريخ التركي العام والإسلامي بحسب بل هو من عظماء القادة في التاريخ الإنساني كله.

وهو يعتبر بحق المؤسس الثالث للدولة العثمانية بعد عثمان وجلبي. والكثير مما احدثه من مؤسسات وقوانين ظلت تعمل بها الدولة عدة قرون وتضيف عليها الى عصر السلطان سليم الثالث ومرحلة الإصلاحات والتغريب.

وهنا سأكتب عدة نقاط متجلية عنه:

1- السلطان محمد الفاتح هو عبقرية عسكرية غنية عن التعريف وصاحب الخطة العسكرية المذهلة في فتح القسطنطينية وبناء اكبر المدافع في عصرها.

2- فتح القسطنطينية ليس حدثا عاديا لقد كان في وقته حدثا زلزاليا عالميا هز العالم كله. مدينة القسطنطينية الرومانية التي بناها الإمبراطور الروماني قسطنطين لتكون عاصمة الامبراطورية وسماها بروما الثانية. وكانت مدينة ضخمة ومعقدة التخطيط كما هو معروف عن عبقرية الرومان المعمارية النادرة وتضم الساحات والمسارح والجامعات والقصور وغيرها. وضمت لاحقا أعجوبة العالم المعمارية كاتدرائية أيا صوفيا بضخامة قبتها وسحر جمال تخطيطها وفنونها. ولقد ضاهت روما لاحقا التي تراجعت مكانتها بعد سقوط الامبراطورية في الغرب. ولقد ذكر الرحالة المسلمون ان القسطنطينية تنافس بغداد بشكل ندي في المساحة وعدد السكان. والأهم من كل ذلك انها مدينة تتمتع بموقع استراتيجي يربط القارتين الاوربية والآسيوية. ولذلك تخيلوا حجم النقلة الهائلة التي حدثت للدولة العثمانية بعد ضم اسطنبول. ولقد مثل الضم العثماني احياء جديد لمدينة اسطنبول العاصمة بعدما تعرضت للتدمير والنهب في الحملة الصليبية.

3-- السلطان الفاتح كان سلطانا مثقفا وواسع الاطلاع ويتقن عدة لغات ولقد قام بتشكيل لجنة علمية وأمرها بترجمة كل ما يقع في أيديهم من الكتب الإغريقية والبيزنطية واللاتينية. وايضا كان بالغ الاهتمام والعناية بالتراث الاسلامي.

ومثلا طلب الفاتح من خوجه زادة عمل كتاب فلسفي تقريبي بين التهافتين للغزالي وابن رشد.

4- قام السلطان الفاتح بمراسلة العلماء في جميع أنحاء العالم الاسلامي وقدم من اسيا الوسطى الى الاناضول مجموعة من كبار العلماء وعلى رأسهم على القوشجي وأسند اليهم مهام علمية كثيرة.

5- قام السلطان الفاتح بتأسيس مدارس كبيرة عديدة لنشر العلوم والمعرفة وتدرس كافة العلوم وتعد من اكبر الجامعات في عصرها.

6- قام السلطان الفاتح بتأسيس مدرسة فريدة تسمى مدرسة الاندرون وهي تعمل على تخريج وإعداد رجال الدولة.

7- قام السلطان الفاتح ببناء العديد من الجوامع الضخمة.
8- قام السلطان الفاتح ببناء احياء جديدة وعمل حركة نقل سكانية لبعث القسطنطينية من جديد الى العظمة والازدهار الكبير.
وبعدما انتهى السلطان الفاتح من فتح اسطنبول عمل على اعادة احياء وعمارة المدينة من جديد واعادة تخطيطها مرة اخرى واستحداث احياء جديدة.
وحرص السلاطين على نقل السكان من مناطق مختلفة في الاناضول واسكانهم في احياء اسطنبول الجديدة وبذلك زادت اعداد سكان اسطنبول أضعافا مضاعفة.
مثلا قام السلطان محمد الفاتح بإحضار السكان الجدد من الأناضول والروميللي وأسكنهم في بعض أجزاء المدينة ومن جاؤوا من ولايات قونيا وآق سراي وقارامان تم إسكانهم في منطقتي الفاتح وآق سراي، ومن جاؤوا من يني شهير تم إسكانهم في منطقة يني قاب.
9- قام السلطان ببناء السراي الكبير في اسطنبول وهو ذات طابع معماري فريد متاثر بعمارة اسيا الوسطى. لقد كانت اسيا الوسطى وتركستان الكبرى بثقافتها وحضارتها حاضرة دائما في معظم الحضارة العثمانية. ولقد ذكر بعض المؤرّخين المختصين في الفن ان اُسلوب تخطيط السراي الكبير بشبه تخطيط منازل اليورت الملكية.
وطبعا هذا لوحده يكفي في تفنيد اكذوبة ان الدولة العثمانية نسخة عن الدولة البيزنطية. فلو أراد العثمانيون نسخ الدولة البيزنطية لبنوا قصورهم على الأقل وفق الأسلوب البيزنطي.
ولقد كان العثمانيون في موقع قوة سياسي وحضاري حينذاك واعتبر السلاطين دولتهم هي امتداد للدولة السلجوقية وسوف أفصل في هذا الجانب لاحقا. ولقد قرات قبل شهور مقال علمي لمؤرخ يوناني منصف يفند هذه الأكذوبة. طبعا توجد بعض الاقتباسات العثمانية من الحضارة البيزنطية لان الحضارات في الاصل ذات طبيعة تراكمية.
10- كان السلطان الفاتح مشرع كبير وقام بتشريع مجموعات من القوانين. والكثير من المحاسن والفضائل في تاريخ هذا السلطان العظيم. وللأسف الشديد ظهرت مؤخرا بعض الحملات المخزية لشيطنة السلطان محمد الفاتح في تجاوز لابسط مبادئ الموضوعية. بينما كل المراجع التاريخية تجمع على عظمة هذا السلطان العظيم. ولا تخلو اي شخصية تاريخية من السلبيات. انا مع النقد التاريخي الموضوعي لتاريخ الدولة العثمانية. وعلى دراية تامة بكل النقد الذي وجه الى الدولة العثمانية. ولو ناقشني شخص يقدس الدولة العثمانية ويعطيها العصمة ويريد إحياؤها كما كانت لاذهلته بحجم السلبيات التي سأذكرها. وسبق ناقشت البعض من هذا المنطلق. ولكن الشيطنة والفجور في الخصومة امر خطير ومذموم.

شعب الاوغوز

يصح ان يُطلق عليهم لقب رسمي اخر وهو شعب الملوك.
حيث قدم شعب الاوغوز سلالات ملكية كثيرة خلال اكثر من الف سنة.
طبعا كل الشعوب التركية قدمت دول وامبراطوريات خلال اكثر من الفين سنة ولكن يحظى شعب الاوغوز بنصيب الاسد.

وفي هذه القايمة نذكر اشهر هذه الدول والامبراطوريات وهي:

1- امبراطورية السلاجقة من قبيلة قينق.
2- الامبراطورية العثمانية من قبيلة قاي.
3- الدولة الزنكية من قبيلة سالور.
4- دولة قره قويونلو من قبيلة ييوا.
5- دولة آق قويونلو من قبيلة بايندير.
6- الامبراطورية الافشارية من قبيلة افشار.
8- الامبراطورية الخوارزمية من قبيلة البغديلي بحسب بعض المصادر التاريخية.
9- الدولة الصفوية من قبايل التركمان القزلباشية.
10- الدولة القاجارية من قبيلة قاجار المتفرعة من قبيلة بيات.

طبعا هذه القايمة تطول اكثر اذا اضفنا اليها الشعوب التركية المستقلة التي تم ضمها الى اتحاد الاوغوز خلال توسعهم في اسيا الوسطى مثل الخلاج والبجناك وغيرهم.

عمق الوجود التركماني في الاناضول

توجد في جمهورية تركيا الالاف القرى والبلدات المرتبطة بمستوطنات التركمان الاوغوز والمرتبطة ايصا مع امارات الاناضول التركية والامبراطوريات والدول التركية الاخرى.
لقد سمعنا موخرا تصريحات غير موضوعية حول معركة ملاذكرد وللاسف يعاني علم التاريخ من تدخلات السياسيين ومحاولة فرض اجنداتهم الضيقة.
هنالك مثل مشهور وهو للنصر الف اب واما الهزيمة فهي يتيمة.
معركة ملاذكرت مع البيزنطيين كانت مصيرية بالنسبة الى الامبراطورية السلجوقية ولو حدثت الهزيمة للسلاجقة لكان ادى تلقاييا الى سقوطها.
وان السلطان الب ارسلان مع قادته التركمان هو من وضعوا خطة النصر وقادوا المعركة التي ادت الى انتصارهم الساحق.
علما ان معظم الجيش السلجوقي في هذه المعركة كان من الاتراك الاوغوز والبجناك حسب المصادر الوسيطة المختلفة.
وجميع نتايج معركة ملاذكرت كانت لصالح السلاجقة حيث ادت الى ضم الاناضول الى اراضي الامبراطورية السلجوقية وفتحت الباب امام هجرات التركمان الكبرى وتحويل الاناضول الى وطن جديد للاتراك.
ولو فرضنا جدلا ان البيزنطيين انتصروا في معركة ملاذكرد هل سوف يحسبون هذا الانتصار للاتراك لان ثلث الجيش البيزنطي او نصفه كان من الاتراك.
او هل انتصارات الامبراطورية الرومانية يمكن ان تحسب على الجرمان او السلتيك او الشاميين لان الجيش الروماني قد ضم فيالق من هذه الشعوب.
لقد رايت بعض المعلقين يحاول الترويج لفرضية تاريخية تزعم ان العثمانيين ادعوا الانتساب الى قبيلة الكايي في عهد مراد الثاني وذلك بسبب انتقادات الفاتح العظيم تيمورلنك وهذا غير صحيح مطلقا.
اولا: تيمورلنك لم يشكك في تركية العثمانيين وبل انه اكد على ان العثمانيين اتراك ووصفهم في احدى رسايله الى بايزيد يلدريم انهم تركمان.
وانما كان تيمورلنك يحاول الاثبات انه يحظى بالشرعية الاكبر التي تجعله يكون الاحق بلقب خاقا الاتراك مقارنة مع العثمانيين.
ثانيا: لقد تم اكتشاف عشرات الادلة الاثرية التي تتضمن ختم الكايي في العصر العثماني الاول بالقرن الرابع عشر الميلادي.
ثالثا: الذي يميز العثمانيين عن باقي امارات الاناضول انهم انتبهوا مبكرا الى اهمية التدوين التاريخي وسجلوا تاريخهم.

وبينما معظم حكام امارات الاناضول لم يتنبهوا لاهمية ذلك رغم معرفتنا اليقينية انهم من الاتراك.
ويرتكب البعض خطأ عظيم عندما يحاول الاستشهاد بكتاب "قارامان نامه" وهذا مجرد كتاب حكايات لمولف مجهول وصدر في منتصف القرن السادس عشر ولا يمكن الاعتماد عليه مطلقا لتقرير حقايق تاريخية، وهذا مثل من يحاول الاستسهاد بكتاب حكايات "الف ليلة وليلة" فقط لدراسة تاريخ الخليفة العباسي هارون الرشيد.
المنهج التاريخي يقوم على الاعتماد بدراسة عشرات المصادر التاريخية المختلفة ومع مصادر الادب الشفهي والمكتوب والادلة الاثرية وغيرها.

المعتصم بالله العباسي والأتراك

الزعم ان الخليفة المعتصم بالله قد استعان بالجند الأتراك لان والدته تركية ليس بصحيح لان والدته ليست تركية الأصل وانما كانت سغدية كما نص على ذلك كتب التاريخ.
نقل الطبري في تاريخه: "وذكر عن الفضل بن مروان، أنه قال: كانت أم المعتصم ماردة سغدية، وكان أبوها نشأ بالسواد، قال: أحسبه بالبندنيجين.".
ولم يذكر كبار المؤرخين كالمسعودي والذهبي والخطيب البغدادي وغيرهم ان والدة المعتصم كانت تركية.
والقول الصحيح ان الاستعانة بالأتراك في شؤون الدولة المختلفة هي سياسة بدأها الخليفة العباسي المؤسس ابي جعفر المنصور وتوسع فيها الخليفة المأمون كما ذكر ذلك المسعودي والجاحظ وغيرهم.
وعندما تحدث المؤرخ المسعودي عن توسع المعتصم في الاستعانة بالجند الأتراك لم يذكر ان ذلك حدث لان والدته تركية وانما ذكر اسباب اخرى مختلفة تتعلق بشؤون الدولة المختلفة.
ولم يكن لأصول امهات الخلفاء اي علاقة بذلك بدليل قاطع ان والدة الواثق كان رومية ووالدة المتوكل كانت خوارزمية وغيرهم.
ولقد جرت العادة ان الاماء والجواري ليس لهن تاثير كبير في تشكيل عصبة جديدة للدولة بخلاف الحرائر اللاتي لهن القدرة في تغيير سياسيات الدولة بشكل كبير.

مغالطة المصطلح الثقافة التركية-الفارسية

من الخرافات التي روجها المتطرفين الآريين هو محاولتهم ضم الدول التركية اليهم عبر الاستخدام المسيء للمصطلح الثقافة التركية-الفارسية (Turco-Persian tradition).
ان مصطلح الثقافة التركية-الفارسية يصف دول تركية بحتة من جميع النواحي كالسلاجقة والصفويين والتيموريين وغيرهم قامت باستخدام اللغة الفارسية على درجات متفاوتة ضمن مجال ثقافي مشترك وليس يعني ان هذه الدول هي دول فارسية الأصل والفصل كما يحاول المتطرفيين الاريين تروجه في الوقت الحالي، كما كان الحال مع الممالك الجرمانية في العصور والتي استخدمت اللغة اللاتينية ضمن مجتل الثقافة المسيحية الوسيطة.
مثلا تصف المصادر التاريخية القديمة ان اللغة التركية كانت لغة الأمراء والجيش في الدولة الغزنوية وان السلاطين الغزنويين كانوا يدعمون إلقاء الشعر التركي في بلاطهم.
وايضا كانت التركية هي لغة وثقافة السلاجقة والصفويين والتيموريين وغيرهم.
ونرى مدى تناقض المتطرفين الآريين امام الدول الايرانية في العصور الوسطى الاسلامية والتي استخدمت اللغة العربية كلغة أساسية ومشتركة بشكل كامل مثل الطاهريين والبويهيين وغيرهم، وحتى السامانيين والصفاريين حافظوا على استخدام العربية كلغة مشتركة رغم استخدامهم الفارسية الوسطى بشكل جزئي.

قبيلة بيات التركمانية

يبدو من المصادر التاريخية انه من ضمن قائمة القبائل التي استطاع جنكيز خان العظيم توحيدها في السهوب الشرقية توجد هنالك قبيلة تحمل اسم بيات! وهذا يعطي انطباع انه بقيت بعض من قبائل وعشائر الاوغوز في السهوب الشرقية الى عصر جنكيز خان ولم تهاجر كل عشائر وقبائل الاوغوز الى الغرب.

طبعا نعرف ان الاوغوز هو اتحاد قبلي كبير تشكل خلال فترة طويلة ترافقت مع التوسع والدمج حتى اكتمل في القرن الثامن الميلادي مع دولة اوغوز يابقو في اسيا الوسطى.

وايضا من الاشياء المثيرة انه يوجد في العراق اتحاد قبلي كبير يحمل اسم بيات وهم اتحاد تركماني الاصل تشكل في العراق وانضمت اليه بعض العشاير العربية.

وبل حتى يوجد مقام موسيقي شرقي يحمل اسم بيات.

هنالك قبيلة اخرى من الاوغوز تحمل اسم اولايندلغ ومن المثير للاهتمام ان المفردة تتطابق تماما من حيث الاسم والمعنى مع اسم قبيلة لواندي من شيونغنو ولديها تاريخ طويل مدون في السجلات الصينية في عصور الهان ووي الشمالية وغوكترك وغيرها.

بالنسبة لقبيلة ييوا ترجح اغلب المصادر ان الاسرة الحاكمة في اوغوز يابقو هم من ييوا ولقد اسسوا لاحقا مملكة قره قويونلو.

ولقد لعبت قره قويونلو دورا مهما في تاريخ القارة الهندية حيث شكلوا القادة والمستشارين والمثقفين في سلطنة هندوستان البابورية.

وتنحدر مملكة قطب شاهي في الدكن ونواب عوض في شمال غرب الهند من قره قويونلو.

الأتراك والتحليل الجيني

لقد شاهدت الفيلم الوثائقي الذي بثته قناة ناشونال جيوغرافيك حول المدينة العثمانية في المجر وقبر السلطان سليمان القانوني المحتمل، وظهر في هذا الفيلم الامير العثماني الذي اخذوا منه عينة دم لاجراء تحليل جيني.
ولقد استنكرت تاخر ظهور نتائج هذه الدراسة التحليلية لعدة سنوات حول جذور الاسرة العثمانية التركمانية.
ولكن عندي استغراب: لماذا الشعب التركي هو يكاد يكون الشعب الوحيد المطالب انه يعمل تحليل جيني حتى يثبت اصوله التركية وبينما اغلب شعوب العالم لا تهتم بذلك.
على الرغم ان جميع المصادر التاريخية في العصور الوسطى توكد حدوث هجرة تركية كبيرة الى الاناضول.
شخص تركي يعرف انه تركي الاصل من خلال عائلته ومن تاريخ قبيلته وعشيرته ومن سجلات قريته ومدينته، لماذا يضطر ان يعمل تحليل جيني حتى يثبت انه تركي الاصل.
دستور الجمهورية التركية المقرر منذ عصر الزعيم اتاتورك ينص بشكل صريح على ان كل من حمل الجنسية هو تركي وليس بحسب التحليل الجيني.
ومعروف ان كل شعوب العالم تشكلت عن طريق التكوين العرقي، الذي يقوم على اندماج المجموعات السكانية مع بعضها للحصول على هوية مشتركة.
عموما انا اتفهم قرار الشخص وحريته في عمل التحليل الجيني او في عمل دراسات علمية لاغراض تاريخيّة بحتة ولكن ارجو الا يتحول ذلك الى هوس جماعي قد يودي إلى مشاكل كبيرة.
وعلما انه الى حد الان لم يتم نمذجة كل المجموعات الجينية القديمة في شمال شرق اسيا واسيا الرسطى.
وهنا اتذكر نكتة لطيفة وهي حول شخص سوري ينحدر من عايلة من اصل تركماني معروف في المصادر التاريخية العثمانية.
ولقد اجرى بحث جيني وتوصل التحليل الى ان مجموعته الجينية مرتبطة مع مجموعة في منغوليا من عصر شيونغنو ومع ذلك هذا الشخص لانه قومي عربي اصر على ان مجموعته الجينية قادمة من الجزيرة العربية.

ثورات السهوب الكبرى

لقد حدثت في السهوب الشرقية ثلاثة ثورات انسانية كبرى ادت الى حدوث تحولات عميقة على مستوى العالم.

الثورة الاولى: ثورة مودو شانيو موسس امبراطورية شيونغنو والتي امتدت على مساحة شاسعة على اراضي اوراسيا واستمر تاثيرها الى عدة قرون وتمكن من تاسيس المدن والشبكات التجارية والجيش والموسسات السياسية وغيرها والتي تحولت الى ارث حضاري راسخ انتقل لاحقا الى الهون وTabgatch وغوكترك واليوغور والجنكيزيين والقاراخانيين والسلاجقة وغيرهم.

الثورة الثانية: ثورة الخاقان بيومين التي ادت الى سقوط خاثانية خوان خوان وتاسيس امبراطورية شاسعة وصلت الى شرق اوربا وشمال الهند وشرق ايران وجنوب القوقاز وغير ذلك.

تضمنت ثورة بيومين احداث نقلات نوعية في موسسات الجيش والعلاقات التجارية والدبلوماسية وادارة المدن ودعم الاديان المختلفة وغيرها واسس ارث حضاري عميق ولقد انتقا لاحقا الى الخزر واليوغور والسلاجقة وغيرهم.

وتذكر السجلات الصينية عن اتحاد اشينا قبل تاسيس غوكترك انهم مهرة في الاعمال الحرفية المعدنية ويعتمدون على التجارة فقط وليس على اعمال السلب والنهب.

الثورة الثالثة: ثورة الفاتح العالمي جنكيز خان الغني عن التعريف والذي قام باكبر ثورة حققت انتشار عالمي وتمكن من تحديث الموسسات العسكرية والقضايية والسياسية ودعم تجارة طريق الحرير والمراكز العلمية والتسامح مع الاديان وتاسيس نظام حكم شبه علماني وغيرها.

وتمكنت الثورة الجنكيزية من تاسيس ارث حضاري عميق انتقل لاحقا الى التيموريين والعثمانيين والصفويين وغيرهم.

اتراك الشاتو

هم يشكلون حقبة مهمة في التاريخ التركي ويوجد تجاهل متعمد لهم.
كانت اراضيهم تقع في منغوليا الداخلية واجزاء من شمال الصين ولقد اسس الشاتو عدة سلالات في شمال الصين واعتنقوا المسيحية السريانية وكتبوا اللغة التركية بالحروف السريانية وقد شكلوا قوة عسكرية ضاربة لسلالة الجين المنشورية.
ولقد لعب الشاتو دور مهم في دعم جنكيز خان ضد خانات النايمان وكرايت.
ولقد اقر لهم جنكيز خان واحفاده في سلالة قوبلاي خان بسلالة خانية في منغوليا الداخلية والتي احتوت على مدينتين وكانت لهم كنيسة معتمدة لدى فرع الكنيسة الشرقية.
ومن المثير ان السجلات الصينية كانت تربط قبايل المغول والتتار باصل الشاتو وكانت تعتبر قبيلة كيات هي من اصل قبيلة شاتو هاجرت من الجنوب الى الاراضي الواقعة ضمن جبال خينتي.

أصل شيونغنو

اعتقد ان بعض الأكاديميين قد تأثروا بالاطروحة اليسارية التي تحاول ان تجعل كل الشعوب الحالية الموجودة في كوكب الارض قد لعبت دورا مؤثرا في تاريخ الانسانية في الماضي وهذا ليس بصحيح على الإطلاق.
بعض الشعوب هي التي استطاعت ان تلعب دورا مؤثرا في تاريخ الانسانية لعوامل جغرافية وثقافية واقتصادية وعسكرية كانت موجودة لديها وأتاحت لها ان تلعب هذا الدور المحوري، وبينما لم يكن ذلك متاح لباقي الشعوب حول العالم.
لماذا لدى البعض هوس جنوني بتحقيق المساواة بين الشعوب في مجال التاريخ ؟
إن المساواة المطلقة مجرد خرافة ووهم.
نحن مع حقوق الانسان ولكننا ضد مساواة العشرة مع الواحد وضد تحريف التاريخ وذلك لاغراض خدمة اجندة معينة.
وطبعا من حق الباحث ان يطرح فرضيات معينة ويحاول مناقشتها واثباتها وفق الادلة والمعطيات.
وبالنسبة لموضوع امبراطورية شيونغنو العظيمة وعلاقتها مع هون اوربا واسيا الوسطى.
من جمال ابداع المؤرخين الصينين انه اذا حكمت سلالة معينة جزءا من الصين ثم سقطت يستمرون في متابعة اخبارها لاحقا.
مثلا سلالة لياو الخيطان بعد سقوطها توجه فرع منها الى اسيا الوسطى واقامت دولة القاراخيتاي ومع ذلك استمر المؤرخين الصينين في متابعة اخبارهم واطلقوا عليها لقب لياو الغربية.
ولقد ظل المؤرخين الصينين يتتبعون تاريخ سلالات غوكترك في المناطق الغربية حتى انهم نقلوا اخبار مملكة الخزر في القرن التاسع الميلادي.
وفيما يتعلق بشيونغنو لقد استمر المؤرخين الصينين في تتبع اخبارهم الى القرن السادس الميلادي، وحتى ذكرت الحوليات الصينية في القرن الرابع الميلادي ان شيونغنو سيطروا على بلاد ما وراء النهر في اسيا الوسطى واراضي شعب اللان في شمال القوقاز.
واما بالنسبة لعلاقة شيونغنو مع الاتراك او شعب ينيسي سيبريا.
إذا عدنا الى السجلات الصينية القديمة التي تعاملت مع شيونغنو عن قرب نظرا لان شيونغنو قد حكمت اجزاء من الصين.
نجد انها تقر بشكل صريح بعلاقة الاتراك المباشرة مع شيونغنو من نواحي اللغة والثقافة والعادات والدين والعرق ونحوها.

تقول السجلات الصينية عن لغة شعب تييلي: " من ناحية اللغة، لغة شيونغنو ولغة تييلي هي نفسها".
ولا ينتهي الأمر عند ذلك ...
بعد سقوط امبراطورية شيونغنو في القرن الاول الميلادي انقسمت الى عدة اجزاء شمالية وجنوبية وغربية، وهنالك جزء من شيونغنو هاجر الى اسيا الوسطى واستقر في منطقة وادي جيتسو في جنوب شرق كازاخستان وهو شعب Yueban (وهذا رد تاريخي على من يزعم ان الاتراك وصلوا الى اسيا الوسطى على متن المركبات الفضائية بعد فتوحات جنكيز خان العظيم).
تذكر السجلات الصينية عنهم: "كانت عاداتهم ولغتهم مشابهة لعادات شعب الجاوتشي.."
توجد قبيلة من شيونغنو الجنوبية تم اجبارها على الخضوع لاتحاد شيانبي واسمها يوين موهواي ونظرا لكونها قبيلة نبيلة فقد استطاعت ان تحصل على مكانة مهمة وحكمت المناطق الشرقية الى منشوريا، ولقد ذكرت السجلات الصينية اختلافهم عن شيانبي في الثقافة والعادات والتقاليد ومنها:
"كانت لغتهم مختلفة تمامًا عن لغة شيانبي .."
ولم تقل السجلات الصينية عبارات مثل مختلفة فقط او غير مفهومة بشكل متبادل ونحوها من الكلمات التي يمكن تفسيرها على انها اختلاف في نفس اللغة، وإنما صرحت بأنها مختلفة بشكل كامل ولم تدع اي مجال للتفسير.

تاريخ المسيحية في تركستان

لقد كان التبشير المسيحي النسطوري في اسيا الوسطى نشطا منذ اوائل العصور الوسطى وكانت توجد مراكز كنسية نسطورية في طشقند وكاشغر وسمرقند وغيرها حتى كان الملوك الهون الهياطلة يدعمون انشطة التبشير المسيحي بحيث اعتنقت بعض قبائل الاتراك المسيحية منذ القرن السادس الميلادي كالاوغوز والقارلوق واليوغور وغيرهم.

ولقد كانت المسيحية ديانة معروفة بين الاتراك ولها اتباع ولها مطران خاص في الكنيسة النسطورية يحظى بلقب "مطران الاتراك".

ولقد اكتشف علماء الاثار مؤخرا كنيسة نسطورية خاصة بالترك القارلوق في جنوب كازاخستان تعود الى القرن الثامن الميلادي. وايضا اكتشف علماء الآثار مؤخرا كنيسة نسطورية في عاصمة مملكة اليوغور البوذية وتحتوي على حمام روماني.

ومعروف ان اغلب قبائل الاتراك في اوربا الشرقية قد اعتنقت المسيحية كالبلغار والبشنك والكومان وغيرهم. ومثلا ذكر المؤرخ السرياني ميخائيل الكبير ان شعب الكومان في اوربا قد اعتنق الديانة المسيحية. وكما هو معروف كانت توجد في وسط اوربا مملكة المجر الكبرى التي أسستها قبائل المجر المهاجرة من السهوب وكانوا متحالفين مع القبائل التركية ولقد استقرت بعض القبائل التركية في اراضي مملكة المجر واعتنقت المسيحية ولا تزال أنسابهم وعشائرهم معروفة في هنغاريا وما جاورها.

ومما يدلل على اتساع انشطة التبشير المسيحي في السهوب خلال العصور الوسطى ان معظم القبائل التي استطاع جنكيز خان توحيدها في مملكته في عام 1206 كانت مسيحية نسطورية ولذلك استخدموا الحروف السريانية لكتابة اللغة التركية.

طبعا هذا الملف التاريخي حول تاريخ المسيحية في اسيا الوسطى وبين الأتراك خصوصا تقريبا شبه محظور للاسف الشديد ونادرا ما يتم التطرق اليه ومناقشته. على الرغم انه لا تزال تتواجد شعوب تركية تعتنق المسيحية حاليا مثل الغاغوز والشوفاش وغيرهم.

وبل ان بعض القبائل التركية في وسط الأناضول قد اعتنقت المسيحية منذ العصر السلجوقي وكانت لهم كنيستهم الخاصة بهم ويستخدمون الحروف اليونانية لكتابة اللغة التركية ولهم كتاب مقدس مكتوب بلغتهم التركية وهم شعب القرمانليين المسيحي ولقد حاول الزعيم اتاتورك عدم وضعهم ضمن التبادل السكاني وأعتبرهم مواطنين اتراك علما ان أعدادهم كانت تصل إلى حوالي نصف مليون شخص حسب بعض الأحصائيات ولكن اليونان كانت مصرة على ان يكون التبادل حسب الانتماء الديني واضطر اتاتورك لكونه رجل دولة مقتدر ان يلتزم بالشروط ولقد حزن اتاتورك كثيرا على رحيلهم.